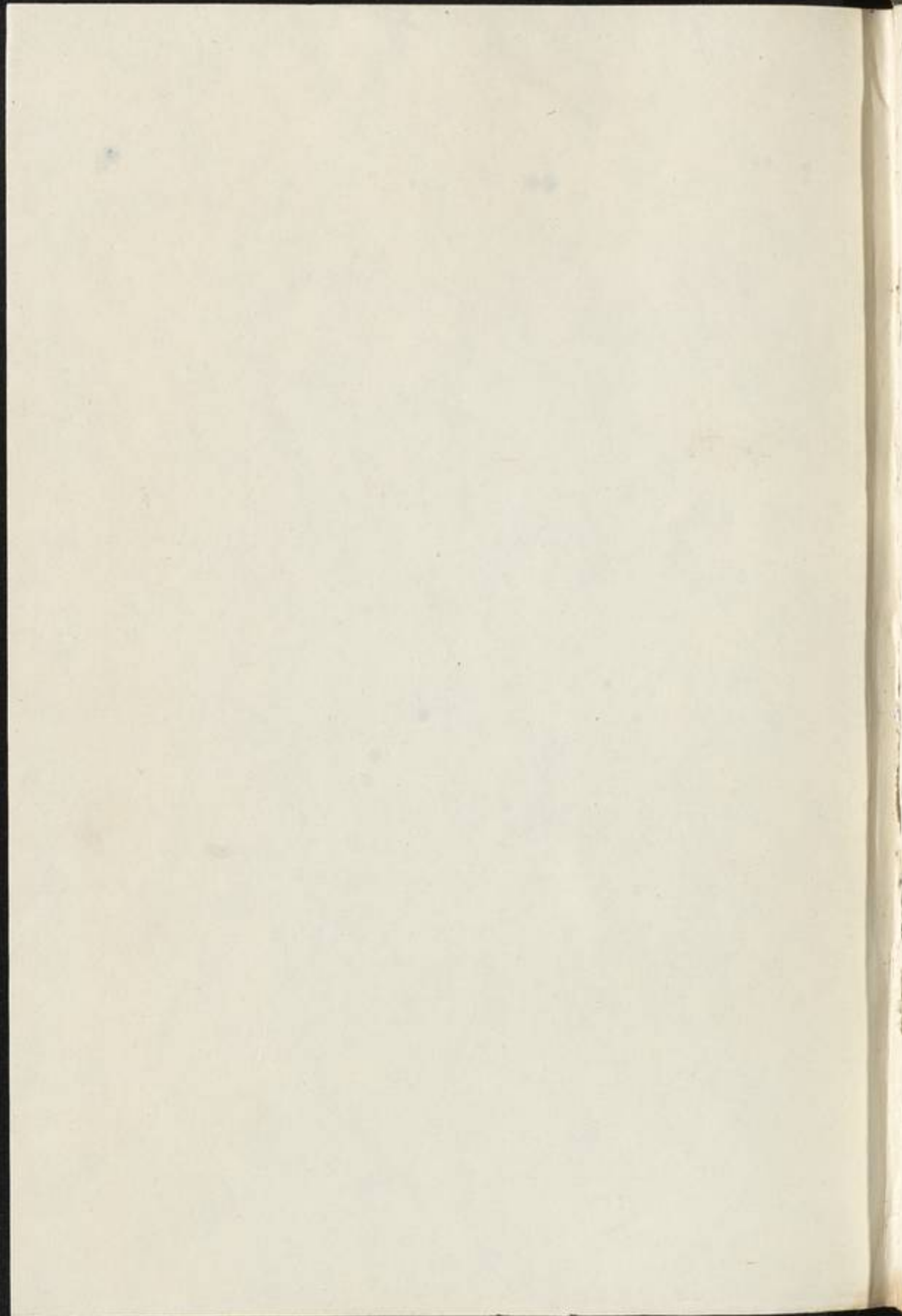


BP
196
.5
S3
S52
1965

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY



BOUGHT WITH THE INCOME
OF THE SAGE ENDOWMENT
FUND GIVEN IN 1891 BY
HENRY WILLIAMS SAGE



VAR-8518 al-Shahrastānī,

السيدُ هبة الدين الشهرستاني

الهيئة والأسلام



تقديم وإشراف - السيد أحمد الحسيني



الهيئة والأسلام

تأليف

تباحثة الامام الحجة
السيد هبة الدين الحسيني الشيرازي

تقديم و اشراف

السيد محمد الحسيني

مطبعة الآداب

النجف الاشرف - تلفون: ٨٩٨٠

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م



al-Shahrastānī, Hibat al-Dīn Muhammad.

الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ

الطبعة الثانية سنة ١٣٨١ هـ

الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٤ هـ

13797657

55

S
ds

تصميم الغلاف بريشة الفنان يحيى جواد الخطاط

تقديم

بقلم

السيد احمد الحسيني

(١)

أحمد الله تعالى على ما نال مجهودي المتواضع الذي بذلته في سبيل احياء هذا الكتاب القيم في طبعته السابقة من اعجاب العلماء وأرباب الفضل وسائر المعنيين بالكتب العلمية الاسلامية ...
وأشكره سبحانه على ما لقي عملي هذا من تشجيع المؤلف سماحة الحجة الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني - حفظه الله وأطال أيام حياته الغالية - وتقديره للمساعي المبذولة في احياء هذا الاثر الاسلامي العظيم الذي طالما تشوقت الى بعثه من جديد نفوس ليفي كبير من المثقفين في أرجاء العالم ...
ولقد سرنى كثيراً ما وجدت من الاقبال والتلهف على الطبعة التي كان لي شرف الاشراف عليها وتصحيحها ونقادها في أشهر قلائل وشدة الطلب عليها من البلدان العراقية والخارج ، وترجمة هذه الطبعة بالذات الى الفارسية

بقلم فضيلة الأستاذ العلامة السيد هادي الخسروشاهي وطبعت الترجمة في إيران سنة ١٣٨٣ هـ .

كنت بذلت أياماً طويلة في تنسيق هذا الكتاب وإخراجه بالحلة القشبية التي رآها القراء الأعزاء في الطبعة السابقة ، وأنا مقتبط إذ كان النجاح حليفي في القيام بهذا العمل ولم تذهب أيامي سدى .

(٢)

طبع هذا الكتاب القيم لأول مرة سنة ١٣٢٨ هـ فأحدث ضجة كبيرة في الأوساط العلمية ، وأقبل على قراءته جماهير كثيرة من العلماء ، وقرضه أساطين العلم وكبار أصحاب القلم والشعر ، ونشرت عنه سائر المجلات في مختلف البلدان الاسلامية وغيرها ، وتكدست لدى سماحة المؤلف رسائل عديدة من مقدرى العلم وعارفي الفضل وأهله ، وكان من المستحسن أن نذكر هذه الكتب والرسائل والقصائد التي انشئت في تبجيل هذا الكتاب وتجميل مؤلفه ، ولكن مقدمة عابرة قصيرة كهذه لا تسع لذكر أمثال هذه التقارير ، فلنكتف بسرد بعض ما قيل :

كتب العالم الروسي الكبير طالبوف من روسيا الى المؤلف :

« انني وجدت ظالتي المنشودة في كتاب الهيئة والاسلام ، واتأسف على ما أصاب عيني وحرمني من القيام بترجمته الى اللغة الروسية حتى يرى العالم سرعة انقياد علماء الروس للاسلام ، وحقاً أن المسلمين يجب أن يفخروا بك لأنك في كشفياتك الدينية تفوق علماء أوروبا في كشفياتهم الفنية . »

وكتب الأستاذ الكبير ميخائيل نعمة من نيويورك :

« ان ما أدركه الشرق منذ أجيال بإيمانه واختباراته الروحية يحاول الغرب اليوم أن يتوصل اليه بتلاسكوبه ومكروسكوبه ، ومن العبر أن الغربي كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهور وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب في هذه الأيام عن فلسفات الصين والهند والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما أقفل في وجهه من أسرار الوجود ... » .

وكتب الفريق محمد باشا المستشهد سنة ١٣٣٥ هـ :

« مضى على ستون سنة لا يزول الشك من قلبي في أن الاسلام كيف يمكن موافقته مع حركة الارض وكيف يمكننا التوفيق بين دين الاسلام مع الكشفيات الجديدة حتى وجدت في سنة ١٣٣٣ هـ نسخة من الهيئة والاسلام في السكوفة فسجدت لله شكراً وأقسمت أن أسعى بعد الحرب العمومية في ترجمة هذا الكتاب الى التركية واطبع الاصل مع الترجمة في الأستانة ونشرهما مجاناً على تلامذة المدارس الجديدة لأنني أعلم انهم مصابون بأشد مما أصابني . » .

وكتب أحد العلماء الكبار :

« ان الهيئة والاسلام صير الهيئة اليونانية هباءاً ورماداً ودفعها الى دار الفناء والعدم ، لأنها في القرون الأخيرة لم تكن قائمة في الحقيقة بمجسطيها بل قائمة بما في أدمغة المسلمين من انها هي الموافقة لدينهم ، فلما راج كتاب الهيئة والاسلام وتلآلات آياته وبياناته في أنظار ذوى العلم أضحى الهيئة اليونانية كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ووات مدبرة كأن لم تكن ، وعمدة وأقوى سلاح في هذا الكتاب هو شرحه لأربعة مضامين هي مما ثبت

عن دين الاسلام بلا شك : ١ - آية اشتغال السماء على الدواب ، ٢ - حديث القباب ، ٣ - دحو الارض ، ٤ - خبر الرضا في الارضين . كانت هذه المضامين قطعية غير أن غموض معانيها حجبتها عن الأنظار ، فلما فسرهما الشهرستاني بأحسن التفسير حازت منزلتها العليا لدى التأثير .

وكتب الكاتب المصرى الكبير الشيخ عبدالعزيز الجاويش فى كتابه (الاسلام دين الفطرة) :

« هنا يجمل أن اذكر بالخير أحد مجتهدى الشيعة هبة الدين المشهور بالشهرستاني وهو من علماء عصرنا ، فقد وضع كتاباً قيماً بين ما فى الهيئته الحديثه والاسلام من الاتصال ، فأتى على بعض مباحث قيمة مفيدة يحسن أن أقتبس منها ما جاء له من بيان معنى السماء فى القرآن ... » .

وكتبت مجلة الأثار اللبنانية فى العدد الثانى المجلد الثانى لسنة ١٣٣٠ هـ :

« الهيئته والاسلام هو كتاب يبحث فى استخراج مسائل الهيئته الجديدة من ظواهر الكتاب والسنة تأليف حضرة .. السيد هبة الدين الشهرستاني من كبار علماء بغداد .. استقرى فيه جميع ما يتعلق بفن الهيئته مستشهداً بأقوال كبار الفلكيين .. وبحث فيه أبحاث مفيدة جديدة بأن يطالعها كل مولع بالفلك وآثاره ... » .

الى غير ذلك من التقارير الكثيرة التى لم يحضرنا الآن كلها ، وقد طبع بعضها فى مجلة (العلم) السنة الأولى والثانية .

(٣)

وكان من شدة الإعجاب بهذا الكتاب أن بادر لفيف من العلماء الى

- ترجمته الى اللغات الأخرى نذكر فيما يلي بعض ما اطلعنا عليه من الترجمات :
- ١ - ترجمة السيد محمد هارون الهندي الى الأردوية ، وسماها (البدر النمام في ترجمة الهيثة والاسلام) وطبعت هذه الترجمة في لاهور سنة ١٣٢٩ هـ .
 - ٢ - ترجمة حاكم منطقة غرب في ايران محمد باقر ميرزا الى الفارسية سنة ١٣٢٩ هـ .
 - ٣ - ترجمة السيد احمد بن السيد ابراهيم الهندي الى اللغة الهندية ، وسماها (فلسفة الاسلام) وطبعت هذه الترجمة في لاهور سنة ١٣٣٠ هـ .
 - ٤ - ترجمة ميرزا محمود الشهابي الى الفارسية ، وكان المترجم من أساتذة كلية المعقول والمنقول في طهران ، وكانت الترجمة سنة ١٣٤٠ هـ .
 - ٥ - ترجمة الفردوسي الفراهاني الى الفارسية ، وطبعت هذه الترجمة لأول مرة في جريدة (العراق) التي كانت تصدر في سلطان آباد ، ثم طبعت الترجمة مستقلة سنة ١٣٥٦ هـ في النجف الاشرف .
 - ٦ - ترجمة السيد مير علي الهندي التبريزي الى الانجليزية ، وتوفي المترجم قبل اكمال الترجمة .
 - ٧ - ترجمة السيد هادي الخسروشاهي الى الفارسية ، وطبعت هذه الترجمة سنة ١٣٨٣ هـ في ايران .

(٤)

ومؤلف هذه الدررة الثمينة والسفر القيم هو نابغة الدهر وفيلسوف العصر سماحة السيد محمد علي (هبة الدين) الشهرستاني .

ولد السيد سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٨٣ م في مدينة سامراء ونشأ بها نشأة
صالحة تحت كف والدته الحجة السيد حسين العابد كانت تبشر بمستقبل زاهر
ثم هاجر الى النجف الأشرف سنة ١٣٢٠ هـ وكان عمره يومذاك ١٩ سنة
فبدأ يحضر عند وحيد عصره الآخوند الخراساني والآية اليزدي وشيخ
الشريعة الأصفهاني ، وكان موضع حفاوة ورعاية أساتذته منذ ورد
النجف الأشرف .

ولهجرتة الى النجف الأشرف قصة طريفة لا بأس بذكرها :

لما توفي والده في كربلاء سنة ١٣١٩ هـ حضر العلامة المشهور المحدث
السيد مرتضى الكشميري من النجف ليعزيه بفقد والده وأصر عليه الهجرة
الى النجف لتكميل دروسه بها ، وبعد تردد طويل تفأل بالقرآن الكريم
فجاءت هذه الآية المباركة : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين وآويناها الى ربوة
ذات قرار ومعين ﴾ (١) فعزم السيد على الذهاب الى النجف والبقاء هناك .
ولم يكتف السيد في أيام دراسته بالدروس الدينية والكتب الدراسية
التي كانت تدرس في المجامع العلمية ، بل أخذ يقرأ ويدرس كثيراً من العلوم
القديمة والعصرية الأخرى ، وخاصة الفلسفة وما يتصل بها من المباحث التي
كتبها علماء الشرق والغرب مسلمون وغير مسلمين .

وكانت ثقافته ثقافة مزيجية من شتى العلوم والفنون ، مرتوية من
المناهل العذبة السائغة ، لم تقف عند حد ولم تقنع بمقدار معين ، وظهرت

(١) من الطريف في هذه القصة ان ام سماحة السيد كانت تسمى
(مريم) فكان في هذه الآية اشارة لطيفة .

هذه الثقافة العالية في مؤلفاته القيمة التي كانت آية كبرى ونوراً ساطعاً للباحثين الاسلاميين الذين يريدون تفهم الاسلام تفهماً فيه شيء من العمق والاحاطة .

(٥)

وكان سماحة السيد مجدداً في كتاباته ومؤلفاته ، نابذاً وراه الطريقة القديمة الملتوية ومتبعاً الأسلوب العصري الحديث ، فكان يكتب المواضيع العلمية الهامة المعقدة بأسلوب قريب من الأفهام ، واسلوبه الى جانب انه كان سهلاً ليس فيه شيء من الصعوبة كان يتسم بسمة العمق في التفكير والتزوي في الحكم والاحاطة بجوانب البحث .

وبداً سماحته بالتأليف والتصنيف في سن باكراً جداً ، ولولا فاجعة عينيه التي أصيب بهما في سنة ١٣٤٥ هـ لكان اكثر تأليفاً وتصنيفاً من العلامة الحلي والسيوطي اللذين اشتهرا بضخامة المؤلفات .

وقائمة مؤلفات سماحة السيد تربو على الثلاثمائة والخمسين كتاباً نذكر هنا نزرأ يسيراً من تلك الكتب القيمة :

١ - المحيط في تفسير القرآن الكريم ، ويحتوي على خلاصة النظريات والكشفيات .

٢ - تفسير سورة الواقعة ، نشر في مجلة المرشد البغدادية .

٣ - المعارف العالية للمدارس الراقية .

٤ - توحيد أهل التوحيد ، طبع ببغداد سنة ١٣٤١ هـ وقررت وزارة

المعارف العراقية تدريسه في مدارسها الرسمية آنذاك ، وترجمه السيد صادق

خان الى الفارسية وطبعت الترجمة سنة ١٣٥٢ هـ .

- ٥ - فيض الباري أو اصلاح منظومة السبزواري ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ .
- ٦ - مواهب المشاهد في واجبات العقائد ، ارجوزة طبعت بطهران سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٧ - منهاج الحاج ، وهو منسك الامام زين العابدين برواية ابنه زيد الشهيد ، طبع ببغداد ١٣٤٢ هـ .
- ٨ - تحريم نقل الجنائز المتغيرة ، طبع سنة ١٣٤٢ هـ .
- ٩ - وقاية المحصول في شرح كسفاية الاصول ، وهو مشتمل على ما أفاده استاذه الآخوند في مجلس درسه .
- ١٠ - الهيمّة والاسلام ، وهو هذا الكتاب الذي طبع عدة مرات وترجم الى لغات شتى .
- ١١ - الشريعة والطبيعة ، وهو في التوفيق بين ظواهر الشريعة ومظاهر الطبيعة .
- ١٢ - فيصل الدلائل في أجوبة المسائل ، وهي أجوبة على أسئلة فيصل ابن زكي سلطان مسقط وامام عمان .
- ١٣ - جبل قاف ، طبع مستقلا وفي آخر هذا الكتاب .
- ١٤ - نهضة الحسين ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٥ هـ وفي النجف مكرراً ، وترجم الى الانكليزية والفارسية .
- ١٥ - ثقات الرواة ، في رواة صحاح الشيعة الاربعة .
- ١٦ - ترجمة جابر بن حيان ، طبع شيء من هذه الترجمة في مجلة الاصلاح البغدادية ثم طبعت مستقلا .
- ١٧ - طي العوالم في أحوال شيخه المولى محمد كاظم الخراساني الشهير

ب (الآخوند) ، نشر شيء منه في مجلة العلم .

- ١٨ - رواشح الفيوض في علم العروض ، طبع بطهران سنة ١٣٢٤ هـ .
- ١٩ - فغان اسلام ، رسالة اصلاحية فارسية طبعت سنة ١٣٣١ هـ .
- ٢٠ - أضرار التدخين ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ .
- ٢١ - التذكرة لآل محمد الخيرة طبع ببغداد سنة ١٣٤٠ هـ ، وترجم الى لغة ملايو وطبعت الترجمة مع الاصل سنة ١٣٤٥ في سورابايا .
- ٢٢ - الدلائل والمسائل في أجوبة المسائل المختلفة طبعت ببغداد .
- ٢٣ - حلال المشاكل في جوابات مختلفة لأسئلة متعددة .
- ٢٤ - رسالة ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج .
- ٢٥ - اصفى المشارب في حلق اللحي وتطويل الشارب .
- ٢٦ - التنبيه في حرمة التشبه ، طبع ببغداد سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٢٧ - حكمة الاحكام ، وهو يبحث عن فلسفة التشريع الاسلامي .
- ٢٨ - دليل القضاة ، مجلدان .
- ٢٩ - رسالة في وجوب صلاة الجمعة .
- ٣٠ - زينة السكراكب في هيئة الافلاك والثواب ، نشر فصول منه في مجلة العلم النجفية .
- ٣١ - أمير المؤمنين علي عليه السلام ، عرض لحياة أمير المؤمنين وما قيل فيه .
- ٣٢ - زيد الشهيد .
- ٣٣ - سلالة السادات ، في انساب البيوتات المشهورة من ذرية علي عليه السلام .
- ٣٤ - أدعية القرآن الكريم .

- ٣٥ - ماهو نهج البلاغة ، طبع في بغداد والنجف .
 ٣٦ - فلسفة هبة الدين ، في المحاكاة بين الفلسفة القديمة والحديثة .
 ٣٧ - الهادى الى المهدي ، بحث مستفيض عن المهدي والمهدوية .
 ٣٨ - المعجزة الخالدة ، في اعجاز القرآن الكريم ، طبع ببغداد مكرراً .
 ٣٩ - مسيح الانجيل أو مسيح القرآن ، رد على النصارى .
 ٤٠ - سيرة خيرة البشر ، بحوث مفصلة عن حياة الرسول الاعظم (ص)
 ومواقفه الحاسمة .
- هذا سرد مختصر عن بعض المؤلفات التي دبرتها يراعة سيدنا الحجة
 ولم نأت على أسماء كل هاتيك المؤلفات روماً للاختصار ، وهي كما حدثناك
 تربو على ثلاثمائة وخمسين مؤلفاً .

(٦)

والى جانب هذه البحوث العلمية والمؤلفات القيمة الكثيرة اشغل
 سماحته مناصب حكومية هامة كان لها الأثر البعيد في وضع الخطط الاساسية
 للسير عليها ، وهي :

- ١ - وزارة المعارف لسنة ١٩٢١-١٩٢٢ .
 - ٢ - رئاسة المجلس التمييز الشرعي لسنة ١٩٢٣-١٩٣٤ .
 - ٣ - نيابة بغداد في البرلمان العراقي لسنة ١٩٣٤-١٩٣٥ .
- وكان في جميع أدواره السياسية مثالا رائعا للرجل السياسي المحنك
 الذي يقدم مصالح الشعب على مصالحة الخاصة ويخدم المجتمع خدمات جليلة
 مهما واثته الظروف .

ولم يعزب عن باله أن يأخذ دائماً في كل خطواته بالتعاليم الإسلامية ويجعل نصب عينيه القرآن والسنة النبوية ، فكانت أعماله كلها تهدف الى نشر الاسلام واعلاء كلمة المسلمين واقامة الحق وامانة الباطل .
 وكان حريصاً في أيام وزارته أشد الحرص على أن ينشأ أطفال اليوم ورجال الغد مسلمون مرتوون من نعيم الدين العذب غير منحرفين عن الطريق الديني القويم ، وله في هذه المجالات الإسلامية خطوات واسعة مشهورة يرددها التاريخ فيشكرها .
 وأصلحاته الاجتماعية الخطيرة التي سعى الى تحقيقها لم يكن عدها في هذه العجالة وتعدادها في هذه المقدمة .
 ومختصر القول : انه لم ينس في كل الحالات الواجبات التي ألقيت على عاتقه ، فقام بها أحسن قيام ولم يتوان عنها طرفة عين .

(٧)

ولا بأس أن نذكر هنا سبب تأليف هذا الكتاب القيم مختصرين لما كتبه العلامة الحاج سراج الأنصاري في مقدمته للترجمة الفارسية المطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٥٦ هـ ، قال :

قرأ المؤلف في سنة ١٣٢٣ هـ شرح الچغميني عند الحاج شيخ محمد باقر الاصطهباناتي وأثرت مسائل الهيئة القديمة في السيد تأثيراً قوياً ألف على أثره كتابه (أداء الفرض في اثبات سكون الأرض) ، وقبل أن يتم تأليف هذا الكتاب عثر على كتاب (الموائد) الذي ألفه الحاج الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني والذي طبع في الهند ، فأخذ السيد في قراءة هذا

الكتاب وعدل عن رأيه السابق فكتب كتاب (نقض الفرض في اثبات حركة الأرض) ، وقبل اتمام هذا الكتاب بدأ يفكر في تأليف (الهيئة والاسلام) ولكنه كان يتخوف من بيئته ويرى الأخطار محدقة بهذا العمل .

وكان جماعة من العلماء وخاصة السيد عبدالله البلادى البوشهرى يشجعونه على الاقدام لهذا العمل العلمى ويصرون على انجازه ، حتى رأى السيد ليلة فى منامه كأنه فى واد من أودية النجف الأشرف وأوراق القرآن الكريم مبعثرة فى ذلك الوادى ، فكان يجمع الأوراق وينظر الى جمال نقوشها وحسن خطها وورقها ويتأسف على عدم مساعدته فى جمع هذه الأوراق الثمينة ، وفى هذا الوقت ظهر سيد من ناحية الكوفة وقال له : تعال نجمع هذه الأوراق حتى لا تبقى تحت الاقدام .

فسر السيد المؤلف بمجيء ذلك السيد وبدا معاً بجمع تلك الأوراق المبعثرة .

فتيقض السيد من نومه فى حالة انشغاله بالجمع ، وقص هذه الرؤيا للسيد عبدالله البلادى ، فعبر السيد البلادى النوم : أن جمع أوراق القرآن هو اكمل تأليف هذا الكتاب وتساعدك الفيوضات الغيبية ، ومن هنا زاد فى تشجيع المؤلف حتى اكمل التأليف وطبع فى بغداد سنة ١٣٢٨ هـ .

(٨)

وهناك سؤال هام كثيراً ما يتبادر الى الأذهان ويدور فى خلد كثير من الناس لا بد من ذكره والجواب عليه ، وهو : ان النظريات الفلكية كثيرة

التغير والتبدل ، فترى ان نظرية جديدة حدثت في هذا اليوم وجاء نقضها في غد ، ومكتشف قال باكتشاف شيء ما وتفرع على هذا الكشف عدة أمور لها نتائج علمية واسكن سرعان ما جاء مكتشف آخر بين ما في هذا الكشف من مراضع الأضعف والخطأ ، فانهار الصرح العالى الذى كانوا قد شيدهوه على هذا الأساس الواهى .. وهكذا دواليك فى الكشف والنقض . فاذن المسائل التى هى عصرية فى هذا اليوم تصبح قديمة غداً ، فاذن تعنون من تكرار (العصرى والقديم) فى هذا الكتاب وما المراد من هاتين الكلمتين ؟

لقد تظن سماحة المؤلف الى هذا السؤال قبل سنين طويلة ، فكان قد كتب جواباً عنه فى نسخته التى وصفناها فى مقدمتنا للطبعة السابقة ، واليك نصه :

« مرادنا من الهيئة العصرية إنما هو الفن المتداول من علم الفلك ضد الهيئة القديمة - أعنى مجموعة مسائل مبنية على حركة الأرض ، ومركزية الشمس ، وسيارية المذنبات ، وعنصرية عوالم النجوم ، ونفى الجسم الفلكى . هذا الفن المؤسس على هذه الأصول الختمة المعتمد على التلسكوب ، والميكروسكوب والسبكتروسكوب - سواء تبدت بقية مسائله كل يوم أو لم تتبدل - هو الذى يسمى بالهيئة العصرية ، .

(٩)

وفى هذه الطبعة التى تقدم الى القراء الكرام رجعت الى النسخة التى وصفتها فى مقدمتى للطبعة السابقة والتى كانت مشحونة بخطوط المؤلف أيام كان له النشاط القوى للبطاعة والقراءة ..

وكان بودى أن يلاحظ سماحة المؤلف من جديد في هذا الكتاب ويعيد النظر في تلك الآراء التي أثبتها بالحجج القوية قبل خمسين سنة ويزيد في معلومات القارئ لهذا الكتاب وينير لهم الطريق أكثر من ذي قبل ويقدم لهم الحجج الجديدة التي استجدت في هذه الفترة المليئة بالمكتشفات وأسرار العلوم الطبيعية، ولكن عوارض الشيخوخة التي عرضت على سماحته حالت دون هذه الأمنية واضطرتنا الى تقديم الكتاب كما كتب في حينه مع بعض الاضافات التي وجدناها في تلك النسخة الأثرية الثمينة .

وهذه الآراء التي أثبتها سماحته في هذا الكتاب ربما قد تغير كثير منها وحل في محلها آراء أخرى ، ولكن الآراء المتغيرة لم تكن من صميم الموضوع من جهة ومن جهة أخرى نعدّ هذه المحاولة محاولة علمية كان لها قيمتها يوم نشرت في أرجاء العالم وسوف تبقى لها قيمتها وطابعها العلمي الى مدى بعيد غير معلوم ، وتكون مرآة صافية للجهود الجبارة التي كان يبذلها رجال العلم والدين في سبيل احياء التراث الاسلامي الخالد .

(١٠)

ولا يسعني في الختام إلا ان أقدم آيات الشكر والثناء الى أصحاب (مطبعة الآداب) حيث بذلوا كل ما في وسعهم في اخراج هذا الكتاب بهذا المظهر اللائق البهيج .

فأسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير انه خير مأمول ومسؤول .

النجف الأشرف ١١/٧/١٣٨٤ هـ

السيد أحمد الحسيني

بين يدي الكتاب

يرجع عهدي بهذا الكتاب القيم إلى سنين متهادية ، إذ كنت احضر حينذاك حلقة درس في الآداب في احد المساجد بالنجف الأشرف وأرى في زاوية ذلك المسجد أوراقا مبعثرة كثيرة مطبوعة ومخطوطة . وفي ذات يوم لم يأت الاستاذ ساعة الدرس وبعد الانتظار والياس حداني حب الاستطلاع الى النظر في تلك الأوراق فرحت افتش فيها واقلبها بترو ودقة حتى عثرت على اوراق مطبوعة من كتاب فارسي يبحث في الهيئته الحديثه ويوفق بينها وبين ماورد من هذا العلم في الآيات القرآنية وأحاديث النبي الكريم وأهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام .

استلقت نظري هذه الأوراق وصرت لا اتمسك من اهمالها كما اهملت كثيراً من الأوراق التي اطلمت عليها هناك ، بل استغرقت في القراءة ولم ألتفت الى المواعيد المسبوقه بيئي وبين آخرين للبحث والدرس والتدريس ولم ينهني شيء إلا آذان الظهر واقامة الجماعة في ذلك المسجد ، فاستصعبت معي تلك الأوراق الى البيت ولم أقم بعمل في ذلك اليوم حتى استوعبت قراءتها عن آخرها ، وعند ذلك صرت افتش عن اسم الكتاب ومؤلفه ونسخة كاملة منه ، فساقني القدر الى صديق عزيز قال لي : إن هذا الكتاب هو ترجمة كتاب (الهيئته والاسلام) ومؤلف الاصل العربي سماحة الحجة العلامة الأكبر السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ، ويوجد لدى نسخة من الاصل العربي يمكنني اعارتها اياك لمدة اسبوع واحد فقط .

هكذا تعرفت بهذا الكتاب وكنت أترقب الفرص للتعرف بمؤلفه حتى ساعدني التوفيق على المشول بين يديه ولثم أنامله الكريمة في مكتبته العامة العامرة (مكتبة الجوادين) في الكاظمية ، فوجدت سماحته أعظم بكثير مما كنت قد سمعته من معارفه وما قرأت عنه في الكتب والمجلات والجرائد ، رأيت به جراً زاخراً يفيض علماً وثقافة ومعرفة . لمست منه شخصية علمية كبيرة عارفة بحاجيات العصر وما يتطلبه الزمن من رجال العلم والدين ، وكيف لا وهو ريب مهد العلوم الدينية (جامعة النجف الأشرف) تلك المدينة المقدسة التي رفعت منار العلم منذ ألف سنة وضمنت بين جوانحها باب مدينة علم الرسول الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

سررت كثيراً بهذا التعارف المبارك وجعلت أزوره يوماً وأتروى من منله العذب كلما سنحت لي الفرصة أيام إقامتي في الكاظمية المشرفة ولم أقطع رسائلي عنه أيام بقائي في النجف الأشرف ، كما ان السيد شملني بالطفاه ولم يتوان عن الاجابة على رسائلي التي أرسلتها اليه بين حين وحين ، واحتفظ الى الآن - بكل فخر واعتزاز - ما كتبه الي من الكتب والرسائل .

وفي إحدى مقابلاتي طلبت من سماحته أن يأذن لي في طبع بعض كتبه وذكرت في جملة تلك الكتب (الهيئة والاسلام) وقلت له : اني قد شعفت كثيراً بهذا الكتاب وأود أن يعاد طبعه حتى يفتح لشبابنا باب جديد من العلم ويتيحاً لهم جو ثقافي اسلامي لسكى يفهموا الاسلام كما هو عليه لا كما عرفه المهرجون وأعداء الدين .

فأجابني : ان هذا الكتاب قد طبع قبل نصف قرن وأنا تتبعت بعد طبعه الكشفيات المستحدثة وما استجد في الهيئة وكتبتها على هوامش نسخة مطبوعة بصورة غير منظمة حتى أحفظ ما يتجدد في مجموعة أستعين بها عندما

يوفقني الله تعالى لاعادة طبع الكتاب ، ولكن هذا عمل شاق لم أوفق للقيام بهبته حتى الآن لسكثرة أشغالي وانحراف صحتي وشيخوختي ، واني لا أعلم انه هل يقوم شخص بهذا العمل الذي يحتاج الى مثابة طويلة وتضحية وقت كثير حتى أعطيك نسخة معدة للطبع أم لا ؟
فقلت : انني مستعد لانجاز هذه المهمة إذا كنت عند ثقتم .

* * *

كان لهذا الكلام وقع حسن في نفس سماحته فأمر خادمه أن يحضر الكتاب ، فلما رأيت النسخة في يدي كدت أطيّر من الفرح ، إذ رأيت أمنية من أمانبي تتحقق بعد طول الانتظار .. قلبت النسخة وجعلت أتصفحها فاذا الهوامش مملوءة بالكتابة وربما الهامش لم يسع الموضوع المطلوب بحته فزيد بين الكتاب ورقة بيضاء أو أوراق متعددة للكتابة فيها .
في هذا الوقت شعرت ان المسؤولية التي ألقيت على عاتق عظمة جداً والقيام بها يحتاج الى عمل جدى متواصل ، لأن الكتاب قد شوه تماماً وأصبح شيئاً آخر في الوضع والترتيب ، بالإضافة الى أن الطبعة الأولى ليست بصورة تناسب والطباعة الحديثة ، ولسكني استصغرت كل هذه المتاعب والصعوبات فشرعت في العمل فيه .

* * *

- قسمنا ما كان مكتوباً على الهوامش الى ثلاثة أقسام :
- ١ - أشياء تنسجم مع موضوع الكتاب تماماً فأدرجناها في الكتاب نفسه .
 - ٢ - أشياء تناسب موضوع الكتاب ولكنها ليست من صلب الموضوع فجعلناها في الهامش .

٣ - ما لم يناسب الموضوع أصلاً بل هي مذكرات متفرقة كتبها المؤلف في حينه فرأينا حذفها أنسب فحذفناها .
ولم نفس الاستفادة من الترجمة الفارسية للكتاب حيث كان المترجم والناشر قد استدركا بعض الكشفيات والآراء الحديثة على الكتاب فترجمناها الى العربية ووضعناها في الهامش ، ورمزنا لها بحرف (ف) .
وحاولنا جهدنا أن يكون التنسيق علمياً فكابدنا المتاعب والمشاق لتحقيق هذا الغرض واضطررنا الى كتابة الكتاب من أوله الى آخره باليد ومراجعته مراراً وتكراراً حتى لا يذهب عنا شيء من الكتاب أو مما كتبه سماحة المؤلف فيما بعد ، ونحن نعلم ان هناك أغلظاً وهفوات وقعت من دون اختيارنا نرجو من الناظر المحترم الغض عنها فان الانسان لا يخلو من العلط والاشتباه ، وسبحان من لا ينسى .

* * *

وبعد :

فانني إذ أقدم هذا المجهود المتواضع الى أرباب العلم وعشاق الفضيلة أننهن الفرصة فأقدم شكري المتواصل الى سماحة المؤلف - أطال الله أيام حياته - إذ جعلني موضع ثقته وهياً لي العمل على أحسن وجه حينما قدم لي نخته الثمينة الفريدة وزودني بمعلومات قيمة ذلت أمامي المصاعب ، كما انني أقدم ثنائي العاطر الى الاخ النبيل محمد الكنتبي صاحب (مكتبة الثقافة الدينية) حيث ساعدني على إكمال هذا المشروع العلمي الجليل وطبعه بهذه الحلة القشبية .

السيد احمد الحسيني

النجف الأشرف ١٦ ج ١ ١٣٨١ هـ

مقدمة المؤلف للطبعة الثانية

لقد وفقت - والشكر لله - قبل خمسين عاماً لتأليف كتابي الموسوم بـ (الهينة والاسلام) في استنباط مسائل الهيئة الحاضرة وكشفيات الغربيين الفاخرة من ظواهر آي الذكر الحكيم وأحاديث رسوله الكريم وعترته الطاهرة - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - ذلك الكتاب القيم الذي كان الأول من نوعه، وتحملت الجهود الجبارة في تأليف منقولاته من مختلف المصادر وتصنيف مسائله الفنية من كتب الأوائل والأواخر، فما انتشر إلا واشتهر تلك الشهرة الواسعة وتواردت علينا تقارير كثيرة من القريب والغريب، ونهض لترجمته إلى اللغات المختلفة لفيف من أهل العلم والفضل حتى ترجمه إلى اللغة الهندية ثلثة من الفضلاء وترجمه إلى الفارسية جماعة من العلماء والأدباء وذاع صيت أولئك المترجمين في الآفاق كما ذاع صيت الأصل العربي وحسنت شهرته في المجتمع الاسلامي وقرظه أصحاب مجلة المقتطف المصرية بقولهم: « إن هذا الكتاب لو يترجم إلى لغة غربية يوقع دويماً في الأندية العالمية ... » .

أجل، أثار هذا الكتاب في كل وسط وبلد شعوراً حسناً نحو دين الاسلام ومذهب أهل البيت النبوي (ع) كما أثار شوقاً عظيماً في النفوس نحو اقتباس العلوم الحديثة وكشفياتها الجديدة وروحاً قوية للتمدن الشرقي، كما جدد شعوراً طيباً نحو التمسك بالدين والتوفيق بينه وبين افكار المتجددين حتى قال لي رئيس الشيعة وشيخ الشريعة سماحة المغفور له المولى فتح الله

الاصفهانى : « إن هذا الكتاب صار همزة وصل بين القديم والجديد .. » .
فقال هذا السفر النفيس - والله الحمد - حسن اقبال من العامة عامة ومن
الخاصة خاصة .

وفى خلال هذه المدة وردتني اقتراحات عدة فى تلخيص هذا الكتاب
واختصاره ، كما وردتني اقتراحات فى توسيع نطاقه وتفصيل أبحاثه وتأييد
مكتشفاته ، فضايق صدرى وابتهلت الى ربى فى توفير الاسباب والوسائل
لإعادة طبعه وتقديمه الى المتشوقين إلى العلم معتقداً بأن لله سبحانه عناية عامة
ورعاية تامة لدينه القويم وتقويته فى كل عصر بوسائل القوة المناسبة له ، فلا
بد وأن يهيم لذلك نفوساً صالحة لنشر ربه ومؤيدات تعززه وتروجه كما
ولا شك انه سيقبض رجالاتنا لمساعدتى فى تعظيم شعائر الدين ومعاضدة كل من
ينوى خيراً وخدمة للمسلمين .

بينما احدث نفسى وأمنها واسليها إذ طلب منى الشاب النابه فضيلة
الاستاذ الأديب السيد احمد الحسينى اجازة تجديد طبع الكتاب ، فوجدت
ضالتي المنشودة فيه فشكرته و « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » .
وإنى إذ لبيت طلبه وأجزت له إعادة طبعه اتهم الفرصة لإدخال
إضافات قيمة وكشفيات جديدة وتصاوير فنية مفيدة ، فوق ما هنالك من
تصحيح وتنقيح وتكملة وتوضيح ، مؤملاً من وجه الله الكريم أن يتقبلها
منى ومنه بقبول حسن انه سميع الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أظهر بكتاب الاسلام أسرار العوالم وهيئة الاجرام ،
ووفقنا لتفصيل المجمل مما تبين من ظواهر الكتاب والسنة ومظاهر علوم
الوحي والالهام ، والصلاة والسلام على المبعوث بأعظم المعجزات محمد وآله
الهداة ما دامت الأرضون والسموات .

أما بعد :

فيقول خادم العلم والدين هبة الدين محمد علي بن حسين الحسيني الشهير
بالشهرستاني أحسن الله حاله وآله وبلغه آماله : إن الدواعي التي دعنتني الى
تأليف كتابي (الهيئة والاسلام) هي أغراض أربعة أخصها فيما يلي .
١ - صيانة عقائد المشتغلين بالفنون الفلسفية لا سيما الهيئة العصرية ،
سواء الاساتذة والتلامذة في المدارس والمستمعون للمحاضرات والخطابات
وقراء الصحف والمجلات والمتطلعون على المكتشفات الغربية . ففي الناس
أناس غرتهم الشبهات والنظريات فزعموا سلوك أولياء الشريعة مسلك
الحكماء في مباحث الفلك والطبيعة ، وفيهم من ظن ان الهيئة القديمة هي الموافقة
للشريعة الاسلاميه القويمه ، فتراهم اذا اعتقدوا بطلان تلك الفلسفة الغابرة
ضعف إيمانهم بنواميس الشريعة الطاهرة . فقصدت من تصنيف هذا الكتاب
إيضاح كون الاسلام بمعزل عن طرق الفلاسفة بل تهدم مقالاته معظم المباني
من الهيئة السالفة وتخالف مذاهب الأوائل أشد المخالفة .

فعلى هذا ينبغي أن يكون تصديق الناس للعلوم سبب قوة إيمانهم بالمعارف الإسلامية ومزيد يقينهم بصدق البقية من مقالات النبي الأمين والأئمة من آله الميامين - صلى الله عليهم أجمعين .

٢ - إتمام الحجة على من خالفنا في المذهب والدين ، وأنكر على المسلمين تصديقهم بما جاء به محمد خاتم المرسلين ﷺ - ذلك الرجل المتخرج من بادية العرب أمياً بين أميين لا يعرفون الكتب والمكتابة ولا درسوا على علماء الشرق والغرب - فان ما شرحته في هذا الكتاب من كلماته وكلمات صحابته وقرابته وحفاظ شرعه أخبار غيبية وأنباء سرية وخفية ، لا تستند الى أدوات فنية دقيقة ولا على الآلات المستحدثة الرقيقة .

إذن ، فهى موحات من عوالم الغيب بلا ريب ، فالذى يخبر بصورة جدية عن حقائق خفية لا يقتضى وجودها عقل ولا يدركها حس هو ولى الله المحيط بأسرار هذه العوالم . فدراسة أبحاث هذا الكتاب خير وسيلة لأفهام المخالفين كما هو خير وسيلة لتنوير أفهام المنصفين وخير طريقة لتصديق أمناء الاسلام من أقصر الطرق وأقصد السبل .

ألا ترى أن الامام المرشد المخبر بوجود أقمار وشموس وراء المحسوس قبل وجود المنظمات ووسائل الاكتشافات بألف سنة يدعن له القلب السليم والعقل المستقيم بأنه هو الولى الربانى والمرتبى الروحانى المتصل بالعالم النورانى إذ لا يشك أحد فى أن الاصول العلمية الحديثة والمكتشفات الجديدة أمور لا يرشد اليها دليل عقلى قبل إحساسها ولا تحس إلا بواسطة الآلات الدقيقة والأدوات المستحدثة ، ومعلوم أيضاً حدوث اختراع هذه الوسائط والأدوات بأسرها وتأخر زمان ظهورها بعد الألف الهجرى نعرف مخترعيها وتواريخ صنعها واختراعها ولم يكن منها فى صدر الاسلام أثر ولا خبر ،

بل كانت في أيدي العرب بعض التجارب والخرافات عن السماوات والفلكيات
والنجوم والطب (غير ما جاء الاسلام به كتاباً وسنة) حتى ترجمت الى العربية
بعد المائة الاولى كتب الفرس والهند وعلوم اليونان والاعريق .

فما شرحته في هذا الكتاب خير برهان وآية لصحة الاسلام واتصال
علومه بالوحي والالهام ، ولا يجدن المنصف المتحرى مثله في سائر الشرائع
والمذاهب ، وان كشف الدين عن الخفايا والمغيبات آية صدقه عند الجميع في
كل ملة ونحلة .

٣ - تنزيه ساحة النبي الامي ﷺ ودفع ما يتوهمه بعض الزنادقة
والمشككين الزاعمين فيه ﷺ انه كان ترجماناً لآراء غيره من فلاسفة البشر وقراء
كتب السلف ولساناً معرباً عن أفكارهم . ومن المعلوم أن الميزة بين الانبياء العظام
وبين الفلاسفة هي من أهم أبحاث الأديان ولا أظن كفيلاً لفصل هذه المعضلة أصح
وأوضح من علم الغيب وبيان الشريعة لأسرار الاجتماع وخفايا الطبيعة ،
فقصدت بهذا التأليف إثبات أن النبي ﷺ لم يوافق فلاسفة عصره ومن
قبلهم حتى يظن فيه الاكتساب منهم والانتساب اليهم ، بل عارضهم في كثير
وناقضهم في اكثر . بل أظهر - وهو أمي - رموزاً من عوالم الاجتماع
وأسرار الطبيعة والفلك وكامنات الكائنات هي بالضد مما كان عليه حكام عهده
والأقدمون .

نعم ، كشف ﷺ - وهو ابن الصحراء - للتمدنين من خفايا الأرض
والسما ما مصره اليوم في الغرب والشرق في المجالس والمدارس والمراسد
والمختبرات بالعقول والأقلام والألسن . حتى ظن البعض في مكتشفات
الافرنج أنها مقتبسة من مصابيح ظواهر القرآن والحديث .

وان مؤلفات استاذ الحكماء جابر بن حيان السكوني الصوفي المتوفى سنة

١٦١ هـ - التي طبعت في بازل وسائر مدن الافرنج في عصر (كوبر نيكوس)
الاماني وغيره - هي التي أوجدت نهضتهم العلمية ونهت أساتذة الهيئة والطب
الى أصولها الحديثة .

اللهم انا خسرنا افتخار هاتيك الكشفيات من قبل ، أى حينما كثر
المتفسفون في صدر الاسلام وأخذوا بتأويل الآيات والروايات وتحريف
ظواهرها نحو نظرياتهم ، حيث استغربوا حقائقها من قصور في معارفهم ، إذ
كانت أدواتهم العلمية ناقصة يومئذ كأدواتهم الحربية فستروا بأغشية تأويلاتهم
محاسن الحقيقة ، والتبس الأمر على القاصرين فزعموا أن ظواهر الشريعة
ترجمة للأراء الفلسفية - وهذا الظن إثم - فكم لزعم شرعنا بالتأويل معنى لم يحرم
حوله فهم مدرك قبله .

٤ - هدفنا الأخير أن نجعل كتابنا هذا مفسراً جديداً للمأثورات الدين
ومهد طريقة جديدة لمسلك إصلاحى يحل مشكلات الكتاب والسنة ويتكفل
تفسير الآيات المشككة وتوضيح الروايات المعضلة - تلك اللواتى حسبن
الجمهور من المتشابهات ، إذ وجدوا ظواهرها لا تقاد لعلومهم فخاضوا في
تفسيرها وتكلفوا في تناسبها بتأويلات رديئة ومعان خفية ، وصيروا ظواهر
الحديث والقرآن أساساً لاختلاف الرأى وبأباً لتثبيت الكلمة ومفتاح لتفرق
الامة وعقبة تمنع سير الافكار في مضمار الارتقاء وقصب السبق . كل ذلك
من أجل أنهم لم يشموا نفحة من العلوم والمكتشفات العصرية ولم يتفطنوا
بعضها على المأثورات الاسلامية .

ولقد جاء - والحمد لله - كتابى هذا شارحاً لا كثر هاتيك المشكلات
والمتشابهات ، رافعاً عن محيا أسرارها أستارها كالجمهر المتين فى ايضاح جوهر
الدين ، وسيلوح لك أفقه المبين واضحاً فى طيات الكتاب .

وانى أظن ان منشأ الاختلافات الحادثة في صدر الاسلام - التي أوجبت انشعاب الدين القويم الى هذه المذاهب الوافرة والمشارب المتنافرة - إنما هي أمور أقواها انتشار آراء الفلاسفة الماضين بين المسلمين ، وثقتهم بفلسفتهم من غير اجتهاد وإعمال للفكر في الاقوال الصادرة عن الفلاسفة ، ثم وجدوا أصول الاسلام وظواهره مخالفة لما أيقنوا بصحته من الآراء الفلسفية فنفر قوا من ذلك أيادى سببا ، فأنكر بعضهم أصول الشريعة الاسلامية جهراً وأخذ الآخر يؤل ظواهرها كيف ما يوجد عليه فكره ورأيه ، وأنكر بعضهم انكار الشريعة خفية - كذئب بزى شاة - يحدث في الدين أنواع المفساد والبدع . ولعمري ان الفلسفة المستحدثة والمبادئ العصرية ستعمل بالناس ما فعلته القديمة لنقص فيهم وفيها ، إلا اذا تصدى المحققون اصلاح فاسدها ونهضوا لدفع مفسدها ، وبذلوا الجهد البليغ في ترويح العقائد الحققة وتمقيحها عن الأباطيل والزوائد .

وما ذكرته من التأثير إنما هو في النفوس الناقصة والعقول القاصرة والقلوب المتزلزلة ، وأما المعتصم بحبل الله ورسوله والمستمسك بظاهر السنة والفرقان الذى لا يأتيه الباطل - لا سيما الذى أكمل تحريه في العلوم - فهو في عز الأمان ، لا تزيده الفلسفة الحديثة إلا بصيرة في الدين وتفكراً فيما جاء به نبي الاسلام وما قاله ذريته - عليهم السلام - .

وأسأل الله تعالى أن يجعل الانتفاع بهذا الكتاب عاماً وأن يغفر لى

يوم الدين ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

ولا بد قبل الشروع في أصل الموضوع من تقديم مقدمات وهى :

«المقدمة الاولى»

(طريق الاطمئنان الى الأقوال المنقولة ومصادر الكتاب)

حدثني بعض الأبرار قال : ان شخصاً سمع حديثاً ناطقاً ببعض الخفايا المكتشفة في هذه العصور فاستغرب وقال : لو كنت على يقين من صدور هذا المقال عن نبي الإسلام أو أحد أوصيائه لآمنت بشريعته وصدقته .

أقول : لا ريب في أن الاطلاع على قول أى شخص كان إنما يحصل بطرق أتقنها سماعه عن لسان قائله ، وهذا مختص بمن أدرك حضرته دون من تأخر عنه زمانه أو تقاصى عنه مكانه .

الطريق الثانى - أن ترى خط المتكلم المعلوم نسبته اليه بالتواتر أو بقرائن قطعية .

الطريق الثالث - أن ينقل اليك قوله بنحو التواتر ، وهو إخبار جمع لا يجوز تواطؤهم أو تقاؤلهم على الكذب .

الطريق الرابع - أن ينقل قوله اليك من تثق بصدق سماعه من قائله ، ولا فرق في المنقول بواسطة بين قلة الوسائط وكثرتها . نعم يجب أن يكون كل واحد منهم ثقة فى الصدق والامانة .

وهذه الطرق الأربعة تورث الاطمئنان والاعتقاد بصدور ذلك القول عن قائله ، وعليها تدور رحى الاعمال والمحاكمات والمعاملات عند العرف والعقلاء من غير تكبر ، وليس الاعتماد عليها أمراً مختصاً بالمسلمين . وقد يجمع أقوال شخص أو أشخاص فى كتاب ونحوه ليخلد ذكرهم أو علومهم فى الدهر ، مثل كتب الحكماء والسكيب المقدسة ونحوها لتحدث فى المقام نسبتان :

(الأولى) - نسبة مؤلف الكتاب تلك الاقوال الى أصحابها باحدى الطرق الاربعة المذكورة ، فان ثبتت بأحدها كان الكتاب معتبراً من هذه الجهة فارغاً من هذه الحيثية .

(الثانية) - اسناده هذا الكتاب الى ذلك المؤلف ، ويثبت ذلك بأحد الوجوه الخمسة الآتية المعمولة بين المؤرخين والعقلاء من كل صنف وملة ، ولا يسلك المسلمون في هذه الامور العامة وغيرها غير مسالك العقلاء ، بل نجد محافظتهم على أمثال ذلك أشد .

فاسأل أصحاب الأديان والملل المتمدنة والمؤرخين قاطبة فان كان لهم في معرفة أقوال العلماء والحكام وأحوالهم غير الطرق المعمولة بين المسلمين مما ذكرته أو سأذكره فاني ضامن لاتيان مثله أو الاكمل منه لنقل أقوال علمائنا وكلمات أو آياء شرعنا ، فلو لم تثق مع هذا بما نقوله وننقله فيلزمك أن لا تثق بكتب العلماء والتواريخ الغابرة بالطريق الاولى إلا أن يحملك التعصب - والعياذ بالله .

تذييل

ان المقالات التي نعتمد عليها في الشريعة الاسلامية المنقولة في هذا الكتاب إنما هي على أربعة اصناف :

(١) - كلمات الله سبحانه المنقولة الى نبينا محمد ﷺ بطريق الوحي ، وهي مجموعة في الكتاب المقدس المعروف بالقرآن ، وهو مقدس عند المسلمين بأشد من تقدس التوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى ، وتواتره عن النبي محمد ﷺ أظهر من الشمس في وسط السماء .

(٢) - مقالات النبي محمد ﷺ وكثير منها مضبوط في كتب الحفاظ والعلماء . وقد وصلت تلك اليهم بأحد الطرق الاربعة الماضية فدونها في كتبهم ووصلت لنا بأحد الوجوه التي سنذكرها .

(٣) - مقالات خلفاء النبي محمد والأوصياء الأئمة من أهل بيته الذين نص على خلافتهم وتقديسهم نبينا محمد ﷺ ، وهم عندنا معشر المسلمين الامامين اثني عشر اماماً ، وهم :

١ - اخو النبي وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب .

٢ - الحسن بن علي المجتبي .

٣ - الحسين بن علي الشهيد .

٤ - علي بن الحسين السجاد .

٥ - محمد بن علي الباقر .

٦ - جعفر بن محمد الصادق .

٧ - موسى بن جعفر الكاظم .

٨ - علي بن موسى الرضا .

٩ - محمد بن علي الجواد .

١٠ - علي بن محمد الهادي .

١١ - الحسن بن علي العسكري .

١٢ - محمد بن الحسن المهدي القائم (١) .

(٤) - مقالات الصحابة الفاضلين بصحبة النبي محمد ﷺ المقتبس من

حضراته وحضرة أوصيائه أصول العلوم والمباني وأسرار حقائق الاعيان

(١) لم ينقل في المسائل الهيوية عن كل الأئمة بل المنقول فيها عن

الإمام علي عليه السلام الى الرضا ، وأما بقية الأئمة فلم ينقل عنهم شيء يخص الهيئة .

والمعاني كابن عباس وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري ومقداد بن الاسود السكندی وجابر الجعفي وغيرهم ، إذ مقالات هؤلاء في أمثال هذه المغيبات تشعر بكونها مأخوذة من معدن الوحي ومهبط جبرائيل الامين .

وهذه الاصناف الأربعة من المقالات المتبوعة مضبوطا أكثرها في كتب حفاظ المسلمين بالطرق المعمولة بين العقلاء ، وكتبهم أيضاً معتمدة بينهم ثابت نسبتها بأحد وجوه خمسة :

(الوجه الأول) - التواتر ، أعني به إخبار الجمهور من أهل عصر وطبقة بأنهم سمعوا نسبة الكتاب الفلاني الى صاحبه المعلوم من جمهور طبقة ثانية سابقة عليها ، والطبقة الثانية سمعت تلك النسبة بعينها من جمهور طبقة ثالثة سابقة وهكذا يسمع جمهور كل طبقة عن جمهور مثلهم من طبقة سابقة حتى يتصلوا بعصر صاحب الكتاب . وهؤلاء الجمهور في كل عصر قد يكونون من طائفة العلماء والحفاظ خاصة وقد يكونون من سائر طوائف الناس ، كتواتر الصحاح الست الحديثية الى أصحابها وتواتر صحاحنا الأربعة الحديثية الى أصحابها ، وهي الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه .

(الوجه الثاني) - تصريحات المؤرخين والمترجمين لأحوال المؤلفين من عصر ذلك المؤلف وبعده بأن الكتاب الفلاني إنما هو لفلان بن فلان . وجميع العلماء والعقلاء والمنصفين من كل أمة يطمثون بهذا الوجه في نسبة الكتاب الى صاحبه .

(الوجه الثالث) - سلسلة الرواية ، وهي ان تأخذ نسبة الكتاب الى صاحبه عن ثقة ضابط أخذها عن مثله حتى تنتهي سلسلة هذه الرواية والأخذ الى صاحب الكتاب ، سواء كانت هذه الرواية في الخطاب أو في الكتاب .

(الوجه الرابع) - طبع الكتاب في حياة مؤلفه أو في مطبعة رسمية

يطمئن الانسان بصحة نسبه الى مؤلفه من استبعاد كذب هذا النحو من الطبع .

(الوجه الخامس) - شهادة القرائن المعبرة عند العقلاء المقوية لصحة نسبة الكتاب الى صاحبه ، كنقل عبارات ذلك الكتاب في الكتب المعبرة عند الرد على مؤلفه أو جرحه أو مدحه أو قدحه أو غير ذلك ، ومثل ان تجد الكتاب بخط مؤلفه أو يكون خطه عليه أو تكون النسخة عتيقة عليها آثار إعتبار المعلوم أو الشهرة أو نحوها .

إن الطرق المتداولة بين الناس موجودة بأجمعها بين المسلمين لمعرفة آثار أسلافهم واخبارهم ، بل هي لديهم اكمل ، بل ندعى امتياز المسلمين عن غيرهم بحفظ كثير من هذه الطرق مع فوتها عن غيرهم ، فان العلم والدراسة والتحفظ على الآثار والاخبار كانت معهودة متداولة بين المسلمين من صدر الاسلام الى هذه الايام ، وأما سائر الملل فقد اعتراهما من عظامم الغير والتفرق والتمزق ما تفصح عنه صحائف التواريخ والصحف ، حتى اشتهر ان اليهود ونحوهم لا تصح دعوى التواتر منهم لوقوع القتل والفتن الممزقة بينهم بحيث خلى بعض اعصارهم عن يقوم به التواتر ، وغلب الجهل على الافرنج وغيرهم عصوراً طويلاً حتى اشرقت عليهم أنوار العلوم من افق المسلمين .

والافرنج هم انفسهم يعترفون بذلك ، فقد قال المستر د وزويرس سميث ، الانكليزي ما معناه : بينما كانت اوربا غارقة في ظلمات الجهل والعرب مدة خمسة قرون ينيرون العالم والانسانية بصباح العلوم ، فهم الذين أعادوا شباب الآداب وعلوم الكلام بعد هزمها وترجموا أقوال اليونان ورقوا علم الزراعة والفلك وأوجدوا على الجبر والمقابلة والحكيم وزينوا مدائنهم

بالمكتاب والمدارس كما ملؤها بالمساجد وعلوها أروبا مذاهب الفلسفة من قرطبة - يعني فلسفة ابن رشد ...

أقول : وهذه العلوم قد انتشرت بين المسلمين بعد اسلام الفرس ولكنهم كانوا يؤلفون الكتب باللغة العربية لانضباطها واتساعها فنسب الأفرنج هذه العلوم الى العرب . وقيل : نسب الأفرنج هذه العلوم الى العرب لأن علماء الأندلس هم الذين نشروها في أروبا .

وقال المؤرخ «دروى» (١) : بينما أهل أروبا تائهون في دجى الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوى من جانب الملة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد ، حيث كانت بلادهم مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت في الأمم واغتم منها أروبا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفتونا عظيمة .

وجاء في هامش مشهد الكائنات : ان مكتبة القاهرة سنة ١٣٢٥ تضمنت من كتب العرب في فن النجوم ستة آلاف وخمسمائة كتاب .

أقول : لا ريب ان اهتمام المسلمين من بدء البعثة الى تلك السنين إنما كان في طلب العلوم الدينية ونشرها دون العلوم الرياضية ، لا سيما النجوم المعروف عندهم بجلب الفقر والهموم ، فاذا كان لهم في مكتبة واحدة من بلد واحد ستة آلاف كتاب في خصوص علم النجوم فما ظنك بكتبهم الدينية في مكاتب البلاد ومدارسها الخاوية لمقالات نبهم والائمة من بعده التي أضحي الجمهور عاكفين عليها يتقربون الى الخلق والخالق بحفظها ونشرها ، فطرق الاطلاع على أقوال نبي الاسلام وأوليائه - عليهم السلام - أوضح وأصح من الجميع عند الانصاف .

(١) كذا جاء في بعض اعداد مجلة العرفان لسنها الأولى ، والذي أظنه

انه المؤرخ «دوزى» ، الهولندى الذى له (تاريخ الفرق الاسلامية) .

وقد وجب علينا الآن أن نسمى الكتب التي وجدت فيها آراء القديما والمتأخرين، والتي وجدت فيها مقالات النبي محمد (ص) ومقالات أسننة وحيه وحفاظ شرعه - عليهم السلام .

أما الكتب المنقولة عنها في هذا الكتاب مقالات النبي وحفاظ شرعه فالعمدة من بينها تنقسم الى ثلاث طوائف :

(الأولى) - ما ثبت عندنا نسبته الى صاحبه بجميع الأوجه الخمسة المتقدمة، أو صار تواتر اسنادها في الوضوح والاشتهار كالشمس في وسط النهار، وهي سبعة كتب :

١ - كتاب (الكافي) بجميع مجلداته، للحافظ الجليل ثقة الاسلام (محمد ابن يعقوب الكليني) المتوفى ببغداد سنة ٣٢٩ عام تناثر النجوم، وكتابه أصح معتبرتنا الحديثية وعليه مدار أحكام المسلمين الاماميين من عصر تأليفه الى الآن، ونسخه العتيقة الصحيحة كثيرة جداً .

٢ - كتاب (نهج البلاغة) في المختار من كلمات الامام أمير المؤمنين علي (ع) ومؤلف هذا الكتاب هو الحافظ الفاضل الامامى (محمد الشريف الرضى) المتوفى سنة ٤٠٦ هـ، وشروح هذا الكتاب متواترة أيضاً كشرح الفاضل ابن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٩٧، وشرح الحافظ عبد الحميد بن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ . وعندى نسخة من نهج البلاغة قديمة الخط تاريخ قراءتها على السيد العلامة يوسف الاصبهاني سنة ٧٦٠ هـ (١) .

٣ - كتاب (بجمع البيان) في تفسير القرآن . للحافظ الامامى أمين

(١) وقد عثرت بعد ذلك على نسخة من كتاب نهج البلاغة كتبت سنة

٤٣٠ هـ، والنسخة توجد في مكتبة الامام الرضا (ع) بطوس وهي

بخط ياقوت المستعصم المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

الإسلام (فضل بن الحسن بن فضل الطبرسي) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ. وفي مكتبة شيخنا النوري نسخة منه كتبها عبدالعزيز الترمذى سنة ٧٢٥ .

٤ - كتاب (تفسير القمى) للحافظ (على بن ابراهيم القمى) من علمائنا فى القرن الرابع . وقد ادعى تواتر نسبه الى مؤلفه جملة من العلماء وشهرته لا تنكر ، ولقد وجدت نسخة منه كتبت سنة ٨٦٦ .

٥ - كتاب (بحار الأنوار) للعلامة الحافظ مولانا (محمد باقر المجلسى) من أعظم علماء الامامية توفى سنة ١١١١ هـ . وهذا الكتاب ستة وعشرون مجلداً ضخماً يحوى مقالات شرعنا فى كل علم وباب آية أو رواية أو حكمة أو تحقيق أو تاريخ ، لم يعمل مثله فى الاسلام حتى الآن .

٦ - كتاب (الأنوار النعمانية) للحافظ الامامى (السيد نعمه الله الجزائرى) المتوفى سنة ١١١٢ هـ .

٧ - كتاب (الوافى) كتاب كبير جامع لأخبار كتبنا المعتمدة فى كل فن ، للحافظ الفاضل (محمد محسن الفيض) الكاشانى المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وتواتر كتابه عنه مسلم .

(الطائفة الثانية) - ما ثبت نسبه عندنا الى صاحبه بغير التواتر من اكثر الأوجه الخمسة المتقدمة ، وهى ثمانية كتب : (كتاب التوحيد) و (علل الشرائع) و (الخصال) و (عيون أخبار الرضا) و (معانى الاخبار) و (الامالى) وجميع هذه الكتب الستة للحافظ الصدوق (محمد بن بابويه) القمى من أجلة علماء الامامية المتوفى سنة ٣٨١ هـ . ورأيت هذه الكتب بخطوط عتيقة وهى مطبوعة مكرراً .

و (الاحتجاج) للحافظ (أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى) من علمائنا فى القرن الخامس الهجرى . قال تلميذه رشيد الدين محمد بن على بن

شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ في كتاب المناقب: وجدت بخط أبي طالب الطبرسي كتابه الاحتجاج .

و (الدر المنثور) للحافظ (عبدالرحمن جلال الدين السيوطي) الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

(الطائفة الثالثة) - ما ثبت اسناده الى صاحبه ببعض الأوجه الخمسة المتقدمة وذلك ستة :

١ - (تفسير العياشي) للحافظ (محمد بن مسعود) من علمائنا في القرن الرابع الهجري .

٢ - (بصائر الدرجات) للحافظ (محمد بن الحسن) القمي الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ من علمائنا الفائزين بصحبة العسكري (ع) . وجدت نسخة منه كتبت سنة ١٠٦٨ م بوبة على ١٦٣ باب .

٣ - (منتخب البصائر) للفاضل صاحب كتاب « المحتضر » (الحسن ابن سليمان) من علمائنا في القرن الثامن الهجري . انتخب فيه كتاب بصائر الدرجات للحافظ الامامى سعد بن عبدالله القمي المتوفى سنة ٢٩٩ هـ .

٤ - (كتاب الاختصاص) للمحقق العلامة قطب الشيعة (محمد بن محمد ابن النعمان) المفيد المتوفى ببغداد سنة ٤١٣ هـ . وله كتب تبلغ المئات منها « الارشاد » و « المقالات » . ولقد وجدت في مكتبة شيخنا المحدث ميرزا حسين النورى المتوفى سنة ١٣٢٠ نسخة منتخبة من كتاب الاختصاص أولها: « الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد ... » انتخبها الشيخ أبو على أحمد بن الحسن ابن أحمد بن عمران الامامى وكتبت سنة ١٠٥٥ هـ .

٥ - (كتاب النجوم) واسمه فرج المهموم للحافظ السيد (على بن طاوس) من أجلة علمائنا المتوفى سنة ٦٦٤ هـ .

٦ - (نور الثقلين) تفسير للحافظ الشيخ (عبد علي بن جمعة العروسي)
من علمائنا في القرن الحادي عشر . وجدت منه نسخة كتبت سنة ١٠٦٥ هـ .

* * *

وأما كتب الحكماء والفلاسفة التي أنقل منها في الاكثر ماقاله المتأخرون
والقدماء فهي :

(الشفاء) لشيخ الحكماء رئيس فلاسفة المسلمين (أبي علي الحسين
ابن سينا) المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وكتابه متواتر مشهور عند المسلمين وغيرهم .
(اصول الهيئة) ، (ارواء الظماء في القبة الزرقاء) ، (النقش في الحجر
في فنون الفلسفة العصرية) للفيلسوف الفاضل (كرينليوس فاندريك) المسيحي
الهولندي أصلاً الامريكى مولداً ثم البيروني المتوفى سنة ١٨٩٥ م .

(مشهد الكائنات في الخالق والمخلوقات) لمدرس الخطابة (ميخائيل
مشافة) المسيحي المتوفى سنة ١٨٨٨ م (١) وله كتاب (أساطير الأولين) .
(هيئة فلامريون الفرنسية) من مشاهير فلاسفة أواخر القرن التاسع
عشر ، بترجمة الفاضل (عبدالرحيم التبريزي) الشهير بطالب اوف المتوفى
سنة ١٣٢٠ هـ .

(هيئة فيلكس ورنه الفونساوي) من مشاهير القرن التاسع عشر ،
بترجمة الفاضل (نجم الدولة) الفلكي الطهراني المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ .
(دائرة المعارف) للعلامة (بطرس البستاني) المسيحي المتوفى سنة
١٨٨٣ م . ويشتمل هذا الكتاب على مجلدات ضخمة معروفة .

(١) قال اسكندر معلوف في مجلته (الآثار) منتقداً : ان ميخائيل
غيريل اللبناني الخوري هو مؤلف هذين الكتابين وليس ميخائيل مشافة
الدمشقي ... وهو أدري .

- (تاريخ علم الفلك) مجموعة محاضرات للسنيور (كرولونينو) الايطالى
 الاستاذ بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بايطاليا ، ألقاها سنة ١٩٠٩-١٩١٠ م
 وطبعها في روما بايطاليا سنة ١٩١١ م .
- كتاب في وصف الكون ، أى (السماء والعالم) طبع في غوتنغن
 ١٨٤٩ م . ومؤلفه كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) في الجغرافية والهيئة
 التاريخية طبعه (وستنفلد) في غوتنغن سنة ١٨٤٨ م .
- (عجائب المخلوقات) للفاضل القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود
 الأنصارى) المتوفى سنة ٩٨٢ هـ ١٢٨٣ م .
- (التصريح فى شرح التشرىح) المشهور ، لامام الدين بن لطف الله اللاهورى
 ألفه سنة ١١٠٣ هـ ١٦٩٢ م .
- (حدائق النجوم) مجلدان ضخمان فى الهيئة الجديدة بالفارسية للفاضل
 دبير الملك (هشيار جنك) الهندى سنة ١٢٥٣ هـ .
- (الآيات البينات فى عجائب الأرضين والسموات) للفاضل (ابراهيم
 أفندى) الحورانى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٣ م (١) .
- فاستبان مما سلف ان الطالب لتصحیح نسبة السکتب الاسلاميه وتوثيق
 مقالات شرعنا الاقدس يجد لمقصده طرقاً واضحة متقنة كالطرق المتعارفة
 بين سائر الامم بل اكل منها . فلو لم تثق يا صاح بعدئذ بما نقل عن شرع
 الاسلام لزمك ان لا تثق بما ينقل اليك من غيره حتى مقالات الحكماء
 وتواريخ الملل .

(١) وقد نقلنا أشياء كثيرة من غير هذه المصادر كالأخبار الناصرية ،
 المقتطف ، الهلال ، تقويم المؤيد ، تقويم الحاج نجم الدولة ، مختصر الهيئة
 لابن افرات ، المباحث المصرية ، تحفة النجوم ، سياحة المعارف ، المقتبس .

« المقدمة الثانية »

(طريق ترجيح أحد المتعارضين)

اعلم ان العاقل عبد لما أيقن به فيعمل على وفقه ان كان عملياً ويقنع باعتقاده ان كان علمياً ، ولا يتزلزل يقينه الحاصل إلا بسبب أقوى يورث يقيناً مخالفاً لما حصل قبله . فلو أيقنت بموت زيد مثلاً باخبار ألوف من الثقات فهذا اليقين لا يزول عند الشك من إخبار عشرة بجياته إلا أن يقترن خبر العشرة بشواهد قوية يرجحها العقل ، فالعقل تابع دائماً لأقوى الاعتقادين ومخطف لأضعف الطريقتين ويعالج أيضاً بأخف العلاجين .

فلو سمعت رجلاً يحدّثك عن موسى النبي (ع) انه جوز الجمع بين الضدين وأنت عالم برسالة موسى (ع) وعصمته من الخطأ وعالم باستحالة الجمع بين الضدين فلا شك انك تقول الخبر أولاً الى معنى صحيح فان صعب عليك تأييله تكذب المخبر في خبره أو تعالج بالأخف مؤنة . ولا تعتمد أولاً الى تكذيب موسى (ع) ولا الى تصديق الجمع بين الضدين ، إذ اليقين في هذين الأخيرين أقوى من اليقين بصدور ذلك الخبر من موسى (ع) وأقوى من اليقين بالظاهر من ذلك الخبر ، ولا يطرح الأقوى بغير الأقوى .

فعلى هذه الطريقة العقلية لو كان في مقالات شرع الاسلام بعد الايمان به - كلام ينافي ظاهره أمراً يقينياً لوجب علينا العمل بتلك الطريقة العقلانية ، أعنى المعالجة بأخف الأدوية وترجيح أقوى الاعتقادين ، أى نجتهد في تأويل ذلك الكلام أولاً الى معنى مناسب ولو عجزنا عن هذا العلاج كذبنا ناقل هذا الخبر ، مع ان الاسلام قد اختص أقواله بخاصية لا يضطر بعد العلم بها

الى تكذيب الناقل ، وهى انا وجدنا فى هذه العصور وقبلها مقالات فى شرع الاسلام تنافى ما علم فى الفلسكيات والفلسفيات والسياسيات وغيرها ، ولاجل تلك المنافيات رأينا علماءنا السلف أوّلوا ظواهر تلك المقالات الى معانى صحيحة عملا بأخف المعالجات ، ثم من بعد اطلعنا على الكشفيات الجديدة والآراء السديدة علمنا ان ظواهر تلك المقالات كانت ناطقة بهذه الكشفيات وكان تأويلها من فساد معلوماتنا السالفة لا من جهة نقصان ظواهر المقالات ، وسيضحك الخلف ببعض علومنا كما نضحك بعلوم السلف الأقدمين .

فاذا اتضح لديك المقصد قلنا لك : ان العقل بعدئذ لو ظفر فى شرعنا على كلام ينافى ظاهره ما علمه فهو يجوز أو لا خطأ علمه ، ويقول : لعل اتساع دوائر العلم وتكميل الادوات يظهر لنا فى المستقبل حقيقة هذا الكلام كما أظهر ألوفا من قبيله ، فانى اتركه على سنبله واضمره لمجىء أهله فكم ترك الاول للآخر ونال الغائب ما فات الحاضر ، ثم اذا جزم العقل بحكم ولم يجوز خلافه أصلا - مع ندره هذا الجزم من الحكيم - فعلاج العقل عند ذلك تأويل الكلام الى معنى صحيح ، ثم لو عجز عن التأويل بعد الاجتهاد فعلاجه تكذيب ناقل الكلام عن الاولياء عليهم السلام .

« المقدمة الثالثة »

(الشواهد الداخلية على صحة النسبة)

إن اليقين بصدور الكلام عن صاحبه قد يحصل بسماعه عنه أو بثقات ناقله - كما في الخبر المتواتر أو خبر من ترى عصمته وتقديسه عن الخطأ - وقد يحصل من أمور آخر : مثلما لو أخبروك بمقالة في غاية البلاغة عن شخص متناه في البلاغة فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم فرضاً انه ابلغ المتكلمين كما تعلم انها ابلغ المقالات ، فلو جوزت كونها من غيره فلا تنقض يقينك بأنه ابلغ - وهذا خلاف المفروض - فلا بد من تصديقك بأنها منه ، وهكذا لو أخبروك عن الولي بمقالة غيبية تنطق بما لا يقتضيه العقل ولا تدركه الحواس فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم ان الاخبار بما لا تدركه الحواس ولا يقتضيه العقل شأن الولي فقط ، فانه المحيط بحقائق السكون حيطة غيبية مستمدة من المجرّدات الروحانية ، فلو جوزت ان تكون المقالة من غيره فقد نقضت علمك ويقينك (١) .

ومقصودنا من هذا الكلام ان الاخبار التي نرويها في هذا الكتاب عن النبي (ص) وأوصيائه (ع) إذا تضمنت كشف الغيب قبل انكشافه بالآلات فلا يهمننا البحث عن نقلة الخبر وانهم ثقات أو ضعفاء وان الكتاب المنقول عنه معتبر عند الأصحاب أو غير معتبر ، فان هذا الباب غير سائر الابواب ، حتى أنه لو وجد مثل هذا الخبر في أو هن كتاب عن أضعف الناقلين لكان ذلك مقبولاً لدينا - إذا تقدم تاريخ الكتاب على تاريخ الغيب المكتشف -

(١) علم الغيب مختص بالله تعالى ولا يعلمه غيره إلا باعلام منه، كما قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .. ﴾

لأننا نعلم انه اخبار عن المغيب فرضاً ونعلم ان المغيب لا يخبر عنه الاولى الله المرتبط به .

وهاتان المقدمتان المفيدتان تلازمان الخبر نفسه كيفما كان ناقله ولا ينقضهما شيء إلا تأخر تاريخ الكتاب عن وقت كشفت فيه الأذوات برقع الخفاء عن وجه مضمون الخبر، فمراعاة هذا الأمر أهم من كل شيء .
ولذلك ترى حكما الأفرنج إذا تلى عليهم خبر يتضمن كشف مغيب يجتهدون في تحصيل نسخة عتيقة الخط تتضمن ذلك الخبر ولا ينظرون الى ناقله قط، ولا أجل هذه النكته تجدى ساعياً في تكثير اسامي الكتب الشاملة للخبر مبيناً تواريخ نسخها في المقدمة الاولى لتطمئن القلوب بتقدم الخبر على زمان ظهور المغيب المخبر عنه، فأذكر الخبر مثلاً عن كتاب الكافي وتفسير القمي والاحتجاج وجمع البيان والبحار والبصائر وغيرها . فيخال الناظر ان ذلك الخبر مروى في كل من هذه الكتب بسند غير ما في الآخر والحالة انه في الجميع بسند واحد، فالوجه في ذلك ان المقصود إنما هو ايجاد العلم بأن مضمون هذا الخبر صادر قبل زمان انكشافه للحكماء المتأخرين، وهذا المقصد يحصل بذكر الكتب المتعددة الشاملة لهذا الخبر المكتوبة أو المؤلفة قبل زمان اختراع الأذوات الكاشفة عن تلك الحقائق .

ومن علم تاريخ سراية علوم الغربيين إلى أقطار الشرق فقد استغنى عما قدمناه، فان العلوم العصرية والكشفيات الغربية لم ينتقل شيء منها إلى أبناء الشرق إلى القرن الثاني عشر الهجرى . والمنقول من المؤرخين هو ان القطر المصرى والسورى أول بقعة في الشرق طلعت عليها شمس العلوم الغربية بواسطة (بونابرت نابليون) الفرنسى المتوفى سنة ١٨٢١ م إذ حسب تسخير الشرق بنشر علومهم فيه، ثم القطر الياباني دبت فيه العلوم الافرنجية وهى

ذات ثروة فاضلة وصنائع كاملة وحكومة ذكية ، فاستقبلت العلم بترحاب
وانتخبت من ملتها رجالا للاغتراب ، ثم القطر الهندي ثم القطر الفارسي
سرت فيه في عصر الخاقان (فتحعلي شاه) فظهرت في عصر حفيده ناصر الدين
شاه وأثمرت في عصرنا الزاهر الذي نرى فيه ملل الاسلام باقتضاء دينهم
يتسابقون الى اعادة مجدهم وازاءة الوطن بنور العلم وفضل الدستور . والى
الله ترجع الأمور .

«المقدمة الاربعة»

(الفرق بين التفرس وكشف المغيب)

اعلم أن كشف المغيب الذى هو حجة الأنبياء والاولياء هو اظهار مالا يدركه الحس ولا يقتضيه العقل كقول نبينا (ص) بأن الهواء فيه خلق وقول وصيه على (ع) : « لا تبل فى الماء فان للماء أهلاً ، (١) ونحو ذلك بما لا تدركه حاسة مجردة ولا كان يقتضيه دليل عقلى كما لم يكن مقتضياً لعدمه . فمثل هذا الامر لا ينطق به إلا المحيط بحقائق الكون المنكشف لديه أسرارها - كالله تعالى ومن أوحى اليه منه تعالى - فن ادعى النبوة والولاية وأظهر المغيبات التى يعجز الحس والعقل عن كشفها فهو صادق لدى أبناء كل شريعة ، إذ لا يقدر على ذلك غير الولى الكامل والولى منزه عن الكذب والخيانة على الأصول المقررة فى علم العقائد .

وأما التفرس فهو مغاير لكشف الغيب ، فان التفرس إنما هو اظهار أمر خفى من علاماته ولوازمه الدقيقة ، فان كان الامر من صفات النفس ونحوها سمي التفرس (قيافة) كتفرس الحلق فى عريض القفا وتفرس الفطانة فى القصير ونحو ذلك ، وان كان من الحوادث الآتية خصوصاً أو عموماً سمي (التنبوء) كتفرس السياسيين مستقبل أحوال الأمم وما سيحدث فى العالم .

(١) وقال (ع) فى بعض خطبه : « ورب هذه الأرض التى جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوام والأنعام ومالا يحصى بما يرى وما لا يرى .. ، فما لا يرى هو المكروب المشهور المشار اليه فى آية : « ويخلق مالا تعلمون ،

والنفرس بجميع أقسامه لا يكون دليلاً على شيء مما ذكرناه ، لأن
منشأؤه الحدس والتروى في الاسباب الخفية والعلل المعدة للتدريج والقياس
على النظائر والاشباه .

° ° °

وفي شرعنا القدسي مقالات في اظهار ما سيحدث يحتمل فيه الوجهان
مع الغض عن شاهد يخصها بأحدهما، كخيار القرآن بغلبة الروم بعد مغلوبيتهم
فان الاجنبي يحتمل فيه انه اخبار عن مغيب لا يدركه حس ولا يقتضيه عقل،
ويحتمل فيه أيضاً انه تنبؤ منشأه النظر في الاسباب الخفية والحدس القوي،
لكن الشاهد على كونه كشفاً للمغيب هو : ان التفرسات السياسية تفيد الظن ،
وبعيد جداً أن يذكر مدعى النبوة بين أعاديته في كتابه الذي هو معجزه الباقي
أمراً ظنياً وحادثة حدسية ويخبر عنها بصور الجزم فيقول : (ألم . غلبت
الروم . في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) (١) .

وكيفما كان فللاسلام مقالات وافرة من قسم كشف الغيب ، كتصريح
الرضا (ع) بوجود أرض فوقنا في السماوات ، وتصريح الباقر (ع) بوجود
أقمار عديدة بعد قرنا المحسوس ، وكذلك التصريح بكثرة العوالم والشموس
وتصريح علي (ع) بنجمة اروس ، وغير ذلك مما لا محمل له عند الانصاف
إلا الوحي والارتباط بخالق العالم والمحيط بأسراره ، إذ لا نرتاب في أن
هذه الامور يعجز الحس المجرد والعقل عن ادراكها ، وإنما توصل
المتأخرون الى فهمها بالادوات القوية المخترعة بعد الالف الهجرى .

° ° °

فان قلت : نجد هذه الآيات والروايات بعضها صريحاً واضح الانطباق

على الكشفيات الجديدة وبعضها بجملا يحتاج الى بيان ، فأى وجه للعدول فيه من التوضيح الى الاجمال ؟

قلت : لا ريب ان الكلام قد يخلو بمجمله عن كل مانع فنجده واضحا أكمل توضيح ، وقد يقترن بشواهد مقامية أو عقلية يستغنى المتكلم بسببها من تطويل الكلام فيستوفى الحاضرون مرام المتكلم لاحاطتهم بالشواهد ولا يستوفيه الغائب لقوات الشواهد منه فيحتاج الى بيان ، وقد يحصل الاجمال من اختلاف اللغات وخفاء بعض الصفات ، فيصف المتكلم شيئا بلغة عصره ومصره ثم يعثر على هذا الكلام أبناء سائر الأعصار والامصار فلا يأمنون بمساق الكلام أو لا يفهمون الصفات والعلامات المذكورة فيه لاختلاف اللغة أو اختفاء الصفة ، كما في الروايات الناطقة عن أمتنا (ع) : « إن لله تعالى مدينتين عظيمتين في أرضنا أحدهما بالمشرق اسمها جابلقا والاخرى بالمغرب اسمها جابرسا وفيهما خلق لا يعرفون آدم ولا ولده ، فإني احتمل ان تكون الاولى اشارة الى جزيرة اوستراليا التي اكتشفها (دويفنك) القبطان سنة ١٦٠٦ م ولذلك تسمى بالهولند الجديدة وهي في شرق جزيرة العرب التي هي مصدر كلمات الشريعة ، وتكون الثانية اشارة الى جزيرة امريكا التي اكتشفها (كولومبس) و (امريك) سنة ١٤٩٢ م وهي في غرب جزيرة العرب قبل نصف الدور ، فهذا التطبيق لا يبعده غير اختلاف اللغات والاسامى وبعض الصفات الخفية (١) .

ثم ان المتكلم قد يرى المانع من توضيح كلامه فيكسو قوله حلة الايجاز كما لو توقف شرح الكلام على مقدمات غير موجودة بحيث لو كانت المقدمات (١) ويجوز أن تحمل المدينتان على كرتين في خارج أرضنا . وانظر مجلة المقتبس ج ٩ المجلد ٤ ص ٥٧٠ فان فيها مقالا هاما عن جابلص وجابلق .

لأفاد الشرح للمخاطبين . وأما مع فقدتها فقد يضر بجاهلهم أو بشأن المتكلم حيث انهم يكذبونه أو يمينونه من استغراقهم في الضلال والجمالة ومن غرابة أصل المعنى حتى قرب من الاستحالة فكيف يصدق به من لا يحسه ولا يتصوره فيكسو المتكلم عندئذ حلة التشبيه أو الإيجاز حتى لا تعطى غرابة كلامه مسكاً بيد العدو العالم أو المحب الجاهل - أعاذنا الله منهما - فيتولد من ذلك ما يفوت الأغراض المقدسة التي كانت على عهدة المتكلم .

ومما اكتسى ثوب التشبيه قول النبي (ص) : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » (١) فإن أطباء الأفرنج كشفوا عن موضع الجذام وإذا فيه مكروب على صورة الأسد تنتشر في الهواء المجاور للمجذوم فتدخل من مجرى النفس فيمن يقترب منه فتؤثر فيه بهض الاحيان . فتشبيه النبي (ص) فرارنا عن المجذوم بالفرار عن الأسد يعطى المرام بنحو من اللطافة .

فككتة

أكثر الحقائق الخفية نجدها في شرع الاسلام تدرجت لدى ظهورها على السنة الشريعة ، فالمطلب الغامض البعيد عن عقول الجمهور نجد القرآن الكريم يوصي اليه باجمال ، وكذلك النبي (ص) يشير اليه في ظواهر كلماته ، وأما الأئمة (ع) فيظهرونها للناس بالتصريح تدريجاً . فتحرك الأرض مثلاً (١) وفي من لا يحضره الفقيه : « انه (ص) كره أن يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع » .

يومي إليه القرآن بكسوة التشبيه تارة بأنها مهد أو ذلول وبكسوة الاجمال
أخرى في قوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب ﴾ (١) وأما الآية (ع) فيصرحون بالتحرك كما سيأتي .

وأيضاً تعدد الارضين يشير إليه القرآن بقوله تعالى : ﴿ ومن الأرض
مثلهن ﴾ (٢) ويصرح الاوصياء بأنها سبع أرضين وانها فوقنا وفيها
كذا وكذا .

وأيضاً كثرة الشمس والاقار والعوالم يومي اليها القرآن بقوله تعالى :
﴿ رب العالمين ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ (٤) ونحوها، ويصرح
الآئمة بأن من وراء هذه الشمس المحسوسة شمس وأقار عديدة وخلف عالمنا
عوالم كثيرة فيها خلق كثير .

وهكذا أكثر الابواب نجد السنة فيها أصرح من الكتاب . ولعل
الوجه فيه أمور :

(منها) ان القرآن كتاب عام لا يخص عصراً ولا مصراً ، فينبغي له
المشى المتوسط بحيث يرغب اليه الكل في كل عصر ويتدبرونه برغبة حتى
يسلموا بهداه . كما قد جرى رأى أهل عصره في محل القوة الدراكة ، فانهم
كانوا يحسبون ان محلها الصدر والقلب فسايرهم القرآن في ذلك حكمة وسياسة ،
فقال تعالى : ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ (٥) وقال : ﴿ ونزعنا ما في

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) سورة الطلاق آية ١٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٢ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٥) سورة يونس آية ٥٧ .

صدورهم من غل) (١) وقال : (فانها من تقوى القلوب) (٢) .
 (ومنها) ان هذه الشريعة نشأت في قوم استغرقتهم الجهالة واستعبدتهم
 الخرافات ، فلو فاجأتهم بتكذيب جميع خرافاتهم دفعة ونسخت كل عقائدهم
 بغتة في العبادات والمعاملات والالهيات وأسرار السكون لما تقدموا اليه شبراً
 فوجب نشر العلم فيهم شيئاً فشيئاً وابطال عقائدهم تدريجاً مقدار ما تستنير
 عقولهم وتحمله أفهامهم القاصرة . قال النبي (ص) : « إنا معاشر الأنبياء امرنا أن
 نكلم الناس على قدر عقولهم ، فالذين يرمونه بالجنون - لأنه جعل الآلهة
 إلهاً واحداً - كيف يسكتون عنه إذا قال لهم مثلاً : ان نجمة المشتري هي
 أرض مثل أرضنا ألف مرة وفيها بحار وأشجار وعمار وديار ، فهل تقتضى
 سياسة العقلاء إلا المباشرة معهم وتنوير عقولهم بالتدريج ! فالنبي (ص)
 يحرك العقول نحو هذه الغرائب والأوصياء يثونها مشروحة .

* * *

فان قلت : سيأتى ان اظهر هذه الامور خارج عن وظيفة النبي (ص)
 ولا يجب عليه ، فما كان الباعث له في ابداء هذه الأسرار حتى يقارب الأخطار
 ولم لم يسكت عنها كباقي الأديان ؟

قلت : إن في ذلك أسراراً ومصالح وافرة ، ولا ينبغي لنا قياس
 الاسلام بباقي الشرائع ، فان الاسلام دين يبقى الى الأبد ويتكفل تكميل البشر
 من كل وجهة ، وينبغي أن يتدبر الناس في معاجزه وآياته في كل عصر
 ومصر ، ومعجزاته الحسية ترشد الحاضرين عند الرسول (ص) ويلزم
 للغائبين وأبناء القرون الآتية معاجز متجانسة على اختلاف مشارب العقلاء .

(١) سورة الاعراف آية ٤٣ .

(٢) سورة الحج آية ٣٢ .

ألا ترى حكام الافرنج لا يهتدون اليوم بنقل تكلم الضبي والضب وانفلاق الحجر وانشقاق القمر ونحوها من معاجز نبينا ، ولسكنهم إذا تدبروا القرآن وشاهدوا مثلاً الآيات الناطقة بأن الذكورة والانوثة وناموس اللقاح لا تختص بالحيوان بل تعمه وتعم النباتات والجمادات كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (٢) تعجبوا من ذلك واتخذوه مصدقاً لرسالة محمد (ص) من دون التفات الى سائر المعجزات أو بلاغة القرآن .

ولعمري ان مقالات الشريعة الاسلامية يحملها ومفصلها ملاسكت قلوب العارفين في كل مكان وزمان وصارت في النفوس الكاملة أشد تأثيراً من شهود خوارق العادات لغيرهم ، فاللهيون قديماً وحديثاً يستنيزون من حقائقها متعجبين من دقائقها وكذلك فلاسفة الطبيعة والفلك ودواهي البلغاء والمؤرخين من القدماء والمتأخرين ، فلكل قوم أصبح الاسلام هادياً بمعاجز معنوية تناسب مشاربهم .

وأما السياسيون من الافرنج وغيرهم فحسبك اعتراف كثير منهم بأن التمدن الغربى الذى أضحي نخبة لافكار ملايين الألوف من الحكماء أكثر من ستمائة سنة بتشكيل آلاف الألوف من المجالس والجمعيات الكاملة لم يبلغ بعد ذلك كمال التمدن الاسلامى الذى أظهره رجل واحد ، إذ لا يشذ عنه شيء من محاسن مدينة الغرب أصولها وفروعها بل يفوقها ويزيد عليها ، وليس فيه شيء من مفاسد تلك المدينة التى أعجب الحكماء رفعها .

تدبر آفات المدينة الحديثة فكل كمال فى التمدن الحاضر تجسد الاسلام

(١) سورة الحج آية ٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٤٩ .

حاوياً له وكل نقص يوجد فيه تجدد الإسلام بعيداً عنه وناهماً إياه) ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (١) .
 قال القس (لوازن) فى خطبة ألقاها فى مصر ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ م :
 « ... وليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها
 والتى تحت الحل ما يغير هذه الحقائق الاسلامية الوضاعة ... ولهذا فان
 التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاصر المسيحيين ايجاده بين العقل والاعتقاد
 فى ديننا المسيحى هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » .

« المقدمة الخامسة »

(سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية)

ان الغرض من بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب إنما هو إرشاد العباد الى عبادة الرب تعالى ونصحهم للعمل بما يحبه وترك ما يكرهه من الأفعال ليبقى نظام الاجتماع وتحفظ الأشخاص والأنواع وتكمل النفوس وتصفى القلوب ويتميأون لحضرة الرب عظيم شأنه ، فلا يجوز للرسول الاخلال بشيء من هذه الوظائف المقدسة المختصة بهم ، وأما إرشاد الناس الى وسائل المعاش وطرق تكميل الدنيا وتجملاتها أو تعليم العلوم المنعقد تكليف بيانها على ذمة الحس مع العقل كالحساب والهندسة والطب ونحوها فجميع هذه الأمور خارجة عن وظائف الرسل ، فلو بينوا شيئاً منها فاحسان منهم وتفضل بمقدار ما ينبغي لهم أو يقتضى الحال فاقداً للموانع بحيث لا يزرى بشأنهم ولا يخل بمقصدهم الاصلى .

وهذا الذى أقوله يعتقد كل حكيم متبحر . جاء فى المقتطف ص ٥٤٧ سنة ١٣١٤ هـ : أما نحن فقد قلنا مراراً أن ليس غرض الكتاب السماوى تعليم العلوم الطبيعية ولا نقضها ، فان وافقها أو خالفها فالموافقة والمخالفة عرضيتان كما اننا فى معاملاتنا اليومية نوافق العلوم الطبيعية مرة ونخالفها أخرى .

ويجب فى مشهد الكائنات متردداً سأله : لماذا لم يذكر موسى النبي (ع) ما رأيناه بتامه (يعنى الكشفيات الجديدة) ؟ فقال فى جوابه : ان النبي لم

يتحرر إلا تاريخ الانسان ولهذا تراه ذكر بالاجمال عن كيفية السماء والارض .
أقول : وأما نينا وأصياؤه - الذينهم السنة الشرع الاسلامي -
فقد شرحوا لنا مبادئ العلوم المفيدة غالباً ونطقوا بكشفيات الحكماء كثيراً
لكن المنقول منها بين الحفاظ قليل والواصل الينا أقل ، وهو مع قلته يغلب
المحيط نداه ويفوق الرعود صيته وصداه . وليس قلة المنقول لتقصير من
الأولياء (ع) بل لقصور أو تقصير من أصحابهم الراقدين ، فان المصيبة
انهم - عليهم السلام - انبعثوا بين اناس جاهلين لا يعرفون قدر المعارف ولا
أثمان الكلمات ، تشهد لبعضهم قلوباً كالحجارة أو أشد قسوة .
ولو نبغ هذا الدين في غير جاهلية العرب لاكتسبوا من أنواره
وعلمه ما يغنى الناس ويضيء العالم ، ومن ذلك صار أكثر حملة العلم في
الاسلام الفرس كما صرح به المؤرخ الكامل جرجي زيدان وغيره . وقصدي
من هذا الكلام ان الشريعة الدائمة وأولياءها (ع) أتوا الأمة فوق ما تحتاج اليه
من العلوم والكلمات ، ولكنها قصرت في ضبطها ونقلها على ما ينبغي فقائمتها
الكثير وبقي القليل ، ولكن (قليلك لا يقال له قليل) .

المقدمة السادسة

(في المتفق عليه والمفترق من الهيئات)

ان المسلم بين الفلكيين بل وعند الناس أجمعين في أبواب الفلكيات إنما هو وجود الاجرام السماوية المحسوسة وظهور الشمس والقمر والنجوم بعد خفائها وخفاؤها بعد ظهورها في كل يوم وليلة وتشكلات القمر وسائر أحواله المحسوسة وقرب الشمس وبعدها عن شمال الأرض أو جنوبها في السنة مرة وتبدل أوضاع الثوابت المجتمعة في شهور السنة وعودها الى أوضاعها بعد سنة وأمثال ذلك من التغيرات التي لا ينكرها حيوان فضلا عن انسان . وإنما الخلاف في الأسباب الحقيقية لهذه الأمور وتميز الوهمي منها والحسي وتفارقة المجازي من الحقيقي ، فاختلفت الحكماء في هذا المقام من سالف الأيام واختار كل مسلكا ونظاما وهيئة وأحكاما . والمنقول من هاتيك الهيئات ستة :

١ - هيئة ذيمقر اطيس

وبجمل هذه الهيئة على ما في مشهد الكائنات ان الفضاء مملوء من الهواء والكواكب كلها منشورة في الهواء غير ثابتة في جرم وتتحرك بمقتضى طبيعتها بسبب جذب الهواء ، فكلما كان الكوكب قريبا من مركز الأرض كان أبطأ سيرا وكلما كان أبعد كان أسرع ، كما هو شأن الكرة المتحركة على مركزها في نفس الامر دون ظاهر الحس . ومن ذلك صارت الثوابت لديه أسرع سيرا من الجميع دائرة حول الأرض في يوم وليلة ... الخ .

٢ - هيئة بطليموس

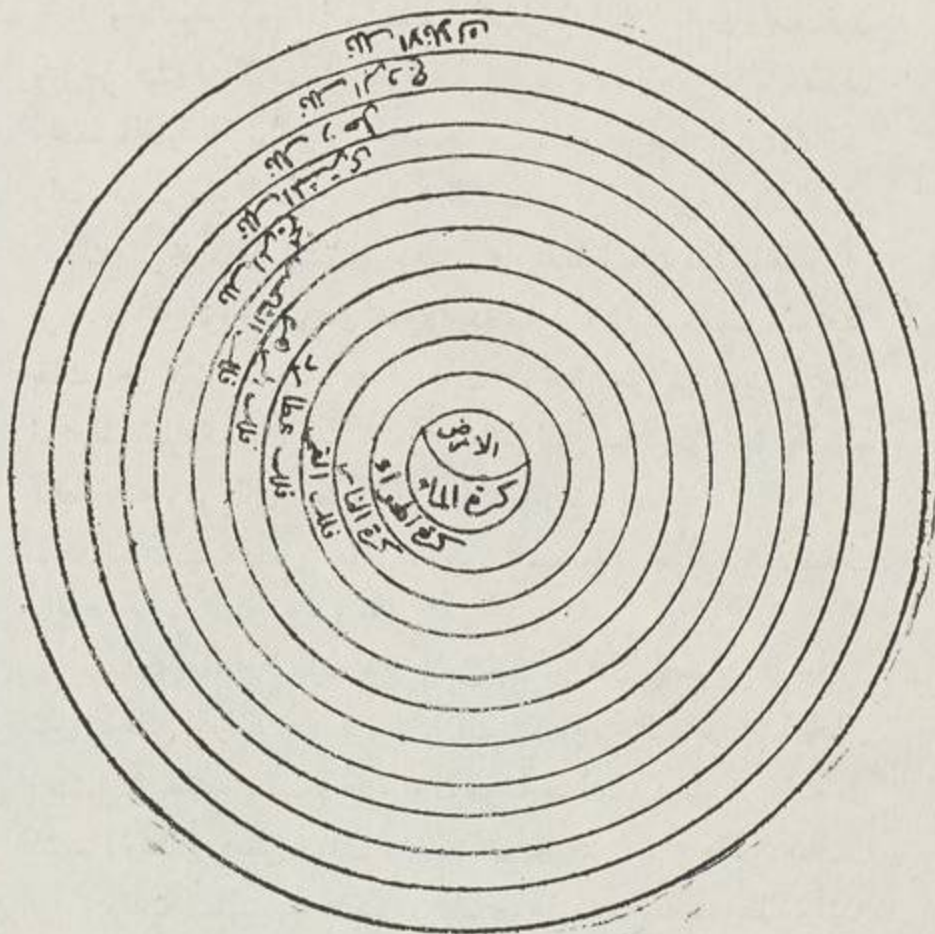
وبطليموس (١) هذا هو مصنف المجسطى قبل الميلاد بقرن ونصف قرن وموجز هيئته ان الارض كرة ساكنة في الوسط يستر الماء أرباعاً من سطحها وتحيط بالمجموع كرة الهواء ثم تحيط بالهواء كرة النار ثم يحيط بالنار فلك القمر وليس فيه شيء غير القمر ثم يحيط به فلك عطارد ثم فلك زهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل يحيط كل فلك منها سابقه ، ولن يوجد في ثخن الواحد منها غير نجمة واحدة بها يعرف ذلك الفلك ، ثم يحيط بفلك زحل فلك عظيم ثامن قد ارتكزت في ثخنه الكواكب الثابتة بأجمعها ، ثم يحيط بفلك الثوابت فلك تاسع اسمه أطلس ليس فيه نجم أصلاً ولا نهاية لاقطار ثخنه وهو المالى لفضاء العالم كله ولا يعلم محبده إلا الله تعالى ، وهو في سرعة الحركة بمثابة يدور حول الأرض بجميع ما في جوفه من الأفلاك والاجرام مرة في كل يوم وليلة . انظر شكل (١)

ولكل نجمة غير الثوابت سير خاص تبعاً لسير فلكه المخصوص على خلاف سير الأطلس ، ولذلك سميت بالسيارات السبعة وتختلف حركاتها جداً ، ويشتمل كل فلك من السبعة على أفلاك جزئية قد أطب في شرحها القدماء في كتبهم ، وسنذكر بعض مبادئهم واعتقاداتهم في ضمن مسائل هذا الكتاب .
والهيئة البطليموسية هذه كانت لعمرى على أحسن تلفيق ونظام وأشبه بالحقيقة لو لم تعارضها نتائج الآلات الحديثة والكشفيات الأخيرة ، لذلك تراها نسخت جميع النظمات والأقوال من حين ظهورها وارتضاها جماهير

(١) المشهور بين القدماء في ضبطه تقديم الميم على الياء المثناة وأما عند

العوام فبالعكس والصحيح هو الأول .

الحكام وصار له في العالم المتمدن مجالا لأصحابها ، وهي التي نسميها بالهيئة
القديمة (١) .



(ش - ١) النظام الشمسي البطليموسى

(١) ان الهيئة البطليموسية مع كثرة أنصارها انهدمت بمساعي أربعة من
فلاسفة أوروبا وهم (١) كوبرنيك بترويجه حركة الأرض (٢) كبلر بترويجه
بيضيوية الأفلاك (٣) غاليله بترويجه التلسكوب (٤) نيوتن بترويجه قوانين
الجاذبية العمومية .

٣ - هيئة المصريين

وتخالف هيئة بطليموس إلا في جعل عطارد والزهرة قمرين للشمس يدوران حولها خاصة والشمس تدور بصحابة باقى الاجرام حول الأرض . نقل ذلك فاندريك .

٤ - هيئة تيخو براهه

وتيخو براهه هو العالم الدانماركى المتوفى سنة ١٦٠١ م (١) وموجزها ان الأرض ساكنة في مركز الحركات كما مر عن بطليموس ، والقمر دائر حول الأرض والسيارات كلها كأقمار دائرة حول الشمس ، والشمس مع هذه السيارات سائرة حول الأرض . نقل ذلك فاندريك وجاء في دائرة المعارف أيضاً . وذهب الى هذا النظام (ليكو منطافوس) غير انه قال بحركة الأرض .

٥ - هيئة فيثاغورس

وهو الفيلسوف اليونانى المتولد في ساموس سنة ٥٩٠ ق م . وبمجلها على ما في تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ ان أشرف مكان الكون إذ كان لأشرف عنصر وكان المركز والمحيط أشرفا الامكنة كانت النار فيها ، ففي المركز جرم نارى تدور حوله جماعة الاجرام العشر الالهية ، وهى الثوابت أولا ثم السيارات السبع ثم الأرض من بعد القمر تاسعة ثم الانجم الخيالية التى توهمها

(١) أخذ تيخو براهه علم النجوم في مدرسة ليبسيك بالمانيا وولع بالزيج الالفتسى والزيج البروسى ، ثم أقام في مرصد الدنيمرك عشرين سنه وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة (٤٥) وزيجات شمسية دقيقة وأصلح الزيجات القمرية ، وأثبت ان أفلاك المذنبات وراء القمر ، وعين مواقع (٧٧٧) نجماً من الثوابت . وأبقى ارسادا كثيرة للسيارات على الهيئة القديمة استخدمها تليذه كبلر في اثبات الهيئة الكوبرنيكية .

الفيثاغورسيون مكملة للنظام السكوني ، فتكون الارض دائرة حول النار المركزية على دائرة مائلة ، ثم تدور هي على نفسها حول خط وهمي بين قطبيها محور دورة توجد الليل والنهار .

وبدل (أرسطارك) من أصحابه نار المحيط بالفضاء الفاقد للنهاية كما بدل نار المركز بالشمس ، فأضحت هذه الهيئة أقرب الى الهيئة العصرية من الجميع .
٦ - الهيئة الجديدة

وهي من فلاسفة أوروبا الناهضين نحو العلوم بعد نهضة المسلمين ، ومن ذلك تسمى (نظاماً حديثاً وهيئة عصرية أو غربية جديدة) وغير ذلك .
ويمكننا القول بأن هذه الهيئة الجديدة هي الهيئة الواردة في أخبار آل محمد عليهم السلام وذلك لان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المشهور بذكر المغيبات قد تحقق انه تكلم في فنون الهيئة والكيمياء ومباحث الطبيعة كما يظهر من كتب تلميذه جابر بن حيان المطبوع كثير منها في المانيا قبل ظهور نوايغ الهيئة الجديدة (١) .

والمعروف أن (كوبرنيك) كان ذا اطلاع على الكتب الشرقية وانه كان يأخذ منها المطالب ثم يسندها الى نفسه ، فيظهر اذن مما تقدم ان علماء الهيئة والكيمياء من أهالي أوروبا وألمانيا عرفوا نظام الهيئة الجديدة والكيمياء

(١) قال ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان عند ترجمته للامام الصادق عليه السلام : انه أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الامامية ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفال ، وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهي خمسمائة رسالة .

من كتب علماء الشرق القدماء الذين أخذوا علومهم من آل محمد عليهم السلام ، ثم
وقال كرنيلوس فاندريك في مقالته (أطباء الشرق) المنشورة ص ١٢٣
من مجلة المقتطف لعام ١٨٧٦ م ما لفظه : أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي
الصادق السادس من الأئمة المستورين العلويين الف في الهيئة والكيمياء والرمل
وتوفى في المدينة سنة ١٤٨ هـ ، ٧٦٥ م ، وأبو موسى جابر بن حيان الصوفي
الطوسي مولد الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق ، واشتهر في الكيمياء
وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ألف صفحة طبع مؤلفه في
ستراسبورج سنة ١٥٣٠ م وطبع أصول الكيمياء لجابر في بازل سنة ١٥٧٢ م
وكتاب له في الهيئة طبع في نورسبرج .

وفي كشف الظنون بعد تصريحه بكون جابر تلميذ جعفر الصادق قال :
وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد .
أقول : لا بد وان يراد من تلميذه علي خالد استفادته من كتب خالد ، كما أن
الجلدكي المتأخر كثيراً عن جابر يعد نفسه من تلامذة جابر ، ضرورة تأخر
عصر جابر عن عصر خالد المتوفى سنة ٨٥ هـ أي في أواخر القرن السابع الميلادي
حينما توفى جابر سنة ١٦١ هـ أي بعد وفاة خالد بنحو ثمانين سنة ، وقد صرح
أدوارد بن فاندريك بأن جابراً ولد في أوائل القرن الثامن الميلادي .
والصحيح تلميذ جابر على جعفر الصادق عليه السلام كما صرح به هو وغيره ، وجاء في
الشعر المنقول في كشف الظنون :

حسمة أورثناها جابر عن امام صادق القول وفي

وذكر في كشف الظنون أيضاً ان جابراً خص بالتقدمة من بين كتبه
كتابه المسمى بالخمسمائة . وهذا إشارة الى ما ذكر من أن له خمسمائة رسالة من
رسائل جعفر في ألف ورقة .

من بعد ما اهتموا الى نظام الفنون الطبيعية صاروا يؤيدون أقوالهم بالأدوات والآلات . ويؤيد ذلك ان ظهور الهيئة الجديدة في أوروبا كانت أولاً قبل اكتشاف النظارات وبقية الأدوات .

ولما كان أساس هذه الهيئة الجديدة حركة الأرض والسيارات حول الشمس حركة وضعية وانتقالية ، وكان أول المبرهنين على هذه المسائل (كوبرنيك) البروسي المتوفى سنة ١٥٤٤ م اسندت هذه الهيئة اليه ، مع انه لم يكتشف أموراً جديدة في الهيئة وقد سبقه في أكثر أقواله أساطين الحكمة من المسلمين واليونان والافرنج ، لكنه امتاز من بينهم باقامة البراهين والتوضيحات اللازمة فاتبعته الحكماء سراً وجرراً وعد بذلك مؤسساً للهيئة الجديدة وصار لقوله دوى عظيم ، لكنه أخطأ في مدارات السيارات إذ فرضها بركارية ، أي دوائر حقيقية تبعاً للمتقدمين .

ومنذ أن نشأ الحكيم الشهير (كبلر) الألماني سنة ١٦٥٠ م وكشف قواعد الجاذبية وحكم بأن المدارات بيضوية أو اهليلجية صحت المحسوبات والارصاد ومع ذلك كله لم يكن لهذه النظرية رمق باهر ولا روفق ظاهر حتى قام (غاليله) الايطالى واخترع النظارات المسكبرة والمقربة وتفرع منها أدوات كاملة ، فنشطت بهامباني هذا الفن وظهرت خفاياه وأحسوا بأصولهم الحدسية وتطابرت نفوس الحكماء الى تكميل هذا الفن من كل فج عميق حتى بلغوا هذا المبلغ العظيم المحير للعقول .

ويجب علينا أن نذكر موجزاً من الهيئة العصرية لتكون على بصيرة، وهو ان الشمس عندهم كرة نورانية بذاتها نارية بنفسها ثابتة في وسط أفلاك السيارات كاللحمة في البيضة، وجميع السيارات كرات مستديرة من الشمس مجذوبة لها دائرة حولها وحول أنفسها كأرضنا في أكثر الجهات معلقة في الفضاء لكل

منها جبال وبحار وهواء ، وأقرب هذه السيارات نجمة (فلكان) بعدها عن الشمس ١٣ مليون ميلا ودورها المحورى ١٨ ساعة ودورها حول الشمس عشرون يوماً ولم تزل أحكامها مجهولة لصعوبة رصدها .

ثم نجمة (عطارد) وبعدها عن الشمس ٣٥ مليون ميلا ودورانها المحورى ٢٤ س ٥ق (١) ودورها حول الشمس ٨٨ يوماً وحجمها أصغر من الارض ٢٤ مرة وفسلكها الاستوائى مائل على دائرة البروج قليلا .

ثم نجمة (زهرة) وبعدها عن الشمس ٦٦ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٣ س ٢٢ ق ودورها حول الشمس ٢٢٥ يوماً وحجمها قريب من الارض على نسبة ١٠،٤٩ وميل فلكها خمسون درجة .

ثم أرضنا وبعدها عن الشمس ٩٣ مليون ميلا وقطرها ٨٠٠٠ ميل ودورها المحورى ٢٤ ساعة ودورها حول الشمس ٣٦٥ يوماً وميل فلكها ٢٣ درجة ونصف .

ثم نجمة (المريخ) وبعدها عن الشمس ١٤٠ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٤ س ٣٨ ق ودورها حول الشمس ٦٨٧ يوماً وحجمها أصغر من الارض ست مرات ولها قران وميل فلكها ٢٩ درجة .

ثم نجمة (المشتري) وبعدها عن الشمس ٤٧٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الارض ١٤٠٠ مرة ودورها المحورى ١٠ س ودورها حول الشمس ١٢ سنة ولها ثمانية أقمار وميل فلكها أربع درجات .

ثم نجمة (زحل) وبعدها عن الشمس ٨٧٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الارض ٧٦٠ مرة وميل فلكها ٢٨ درجة ودورها المحورى ١٠ س ١٥ ق

(١) قد أثبت (شياپرلى) ان عطارد لا يدور على محوره ٢٤ س ٥ق بل يتمايل تمايل القمر ويدور مثله على محوره في المدة التي يدور فيها حول الشمس

ودورها حول الشمس ٢٩ سنة ونصف ولها تسعة أقمار (١) وحلقة نيرة عظيمة مؤلفة من ثلاث حلقات تحيط بها من بعيد كالنطاق .

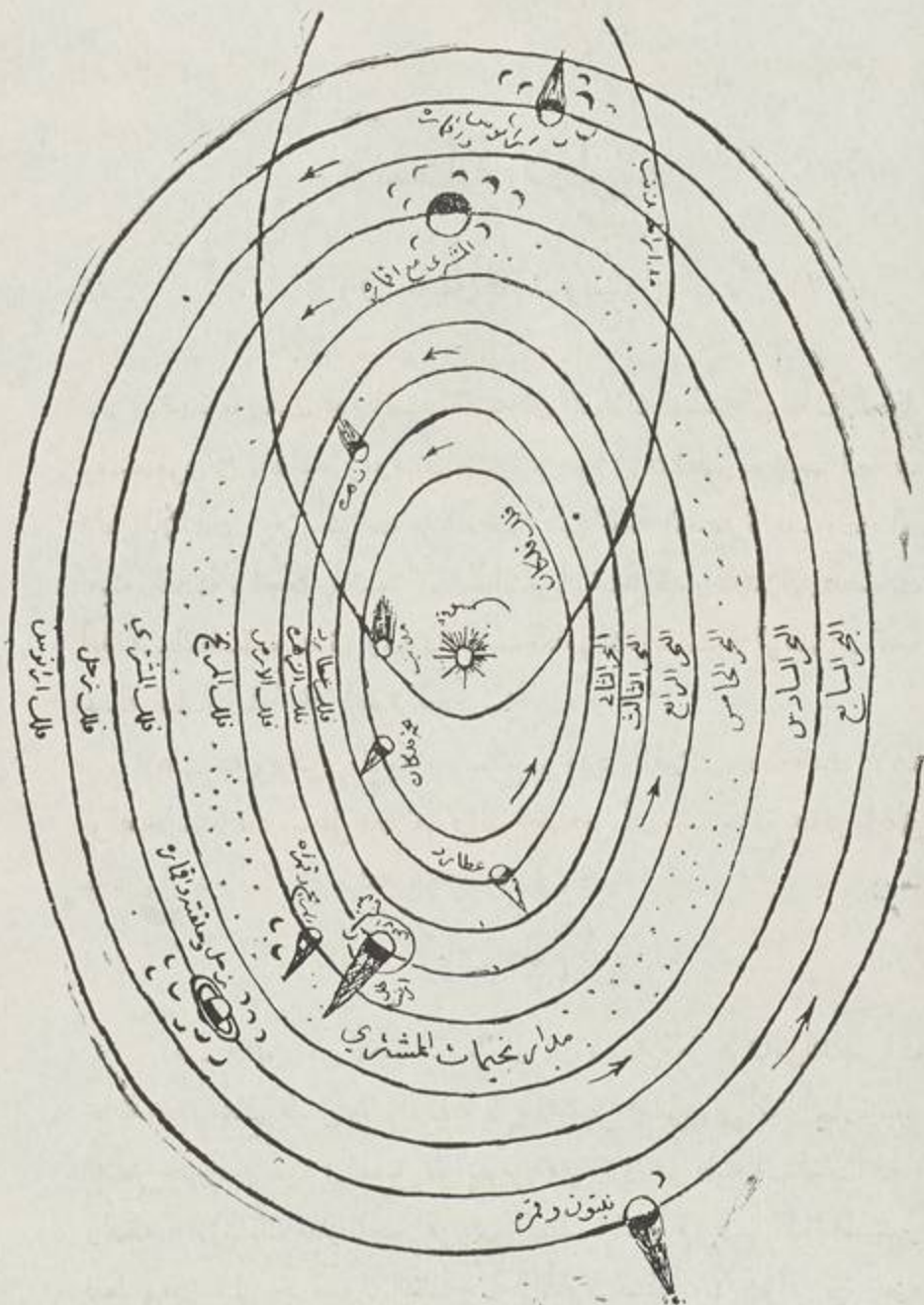
ثم نجمة (ارانوس) وبعدها عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميلا وحجمها أكبر من الارض ٧٢ مرة ودورها المحورى نحو عشر ساعات ودورها حول الشمس ٨٤ سنة واسبوعاً ولها ستة أقمار . وأول من عرف ارانوس هو الحكيم (سروليم هرشل) وذلك في سنة ١١٩٥ هـ - ١٧٨١ م .

ثم نجمة (نبتون) وبعدها عن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميلا وحجمها أكبر من الارض ٤٨ مرة ودورها المحورى مجحول ودورها حول الشمس ١٦٤ سنة و ٢٨٥ يوماً (٢) .
وليعلم ان اكثر التقادير التي ذكرناها إنما هي تقادير تقريبية لا تحقيقية ويسمى هذا المجموع نظاماً شمسياً خاضعاً لنواميس الجذب ومقتضيات الطبيعة بمشيئة البارئ تعالى . وحركة هذه الاجرام مطلقاً من الغرب الى الشرق في مدارات بيضية مفروضة في الفضاء . انظر شكل (٢) .

وما بين مدار المريخ الى مدار المشتري نجيمات صغار سياره سياتى شرحها وما بعد ذلك نبتون إنما هو فضاء مجحول الحقيقة قد نثر الله تعالى فيه الشمس الثابتة على أبعاد متشاسعة، ورتب لكل شمس منها نظاماً كتنظامنا ، فسبحان الله رب العالمين وسنشرح ما أوجزنا ذكره في طي مسائل الكتاب الآتية :

(١) قال (سرفور من لوكير) في كتابه المختصر في الهيئة بالانكليزية المطبوع سنة ١٩١٢ : ان لزحل عشرة أقمار .

(٢) اكتشف العلامة الفيلسوفى (تومبو) سياره جديدة سماها (فيلوتوا) سنة ١٩٣٠ م وترى هذه النجمة بواسطة التلسكوب الأصغر ، وكان الدكتور (لاويل) قد ظن وجودها سنة ١٩٠٥ ولكنه لم يوفق حينذاك الى كشفها وقطر هذه السياره ٤٠٠٠ ميل (ف) .



(ش - ٢) النظام الشمسي الكوبرنيكي

« المسألة الأولى »

(في حقيقة الفلك ومعناه)

عمدة ما ابتنت عليه الهيئة القديمة هي الأفلاك العظيمة التي أظن الحكماء والمتقدمون في أعدادها وأوصافها ، وما برحوا في نشاطهم بترتيبهم العجائب المحير للألباب . حتى أشرقت من الغرب شمس الهيئة الحاضرة ففسخت مباني الهيئة القديمة وأحكامها نسخ النور للظلام بل نسخ الهدى للضلال ، فأصبحت أفلاكهم العظيمة مع عدتها وشدتها واستحكامها كالهباء المنثور أو كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً فإذا أتاه لم يجده شيئاً .

هذا ، وشرع الاسلام مصرح بوجود الأفلاك ، فإذا قامت الأدلة الواضحة - كما ترى - على بطلانها وانتساخها فعلى أى معنى سائغ يحمل ما نطق به دين الاسلام - على مبلغه التحية والسلام ؟

(الجواب)

ذهب الجمهور من الحكماء القدماء الى ان الارض وما حولها من العناصر محاطة بجسم عظيم فلسكى دائم الحركة لا ينفك عن صفاته التي أشار اليها تيسهم الشيخ حسين بن سينا في الفصل الرابع من الفن الثاني من طبيعيات كتاب الشفاء ولفظه : ان الفلك مطلقاً جسم كروى بسيط شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط ، فلا يقبل خرقاً ولا التثاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالاً عن حيزه أبداً ولا تضاد فيه ولا مضاد له ولا فيه سكون عن حركته ولا تغيير في صفته

وكذلك الاجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر ، والنجوم اجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذي لا يتكون ولا يفسد ... الخ .

وأسندوا تحرك الافلاك الى انفسها بالعشق والارادة، وأثبتوا لاجرامها حياة روحية (١) وقالوا : ان الفلك حيوان كامل بلا رأس ولا ذنب ولا اشتها ولا غضب ، ثم أفرطوا في خواص الفلك وتقديسه غاية الافراط .

ونبي الاسلام وأوصياؤه - عليهم السلام - خالفوا الفلاسفة في هذه الآراء وتجاهروا بتكذيبهم وتخطئتهم ونهوا أتباعهم عن اتباعهم ، كما في حديث أبي بصير المروى في آخر فصل من كتاب الارشاد للشيخ المفيد انه قال للامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : ان الناس يقولون إذا تغير الفلك فسد؟ فقال : ذلك قول الزنادقة وأما المسلمون فليس لهم الى ذلك سبيل .

والشرع الاسلامي المقدس كما نراه لم يخالف الحكماء في أصل الفلك واسمه وانما خالفهم في حقيقته ولوازمه .

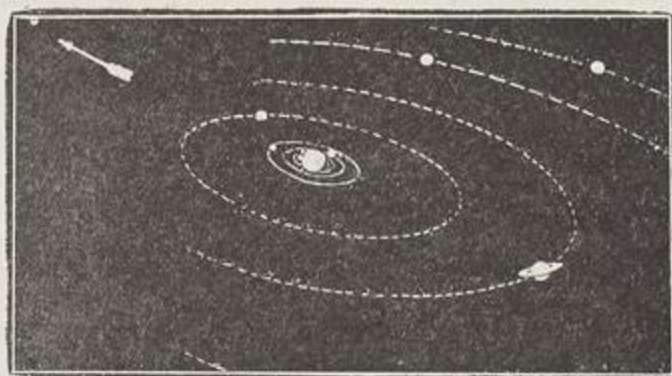
ثم لا تخال صفاء الاحوال في أفق الهيئة المتقدمة ، فان بلاء الاختلاف الناشئ من قصور العلماء أو تقصيرهم متهاجم عليهم أيضاً ، فتراهم هوماً في اعداد الافلاك وأوضاعها ونظاماتها حائرين في تصفية مسائلها وحل مشاكلها يتداوون بتكثير الافلاك ، كما اعصوب عليهم علاج الحركات المركبة والتوفيق بينهما مع المحافظة على اعتقاد استدارتها ، فنأل أمرهم الى تحشية الافلاك

(١) نقل الطوسي في شرح الاشارات إطباق الطبيعيين على أن للأجرام حياة روحية وان لاميت في الكواكب ، وقد جنح الطوسي الى هذا الرأي ، ونقل عن ابن سينا في النمط الخامس من الاشارات الحكم به ، ونقل عن المرتضى انه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وذلك معلوم عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة .

الكبار من الافلاك الصغار وتأليف كل فلك كل من أفلاك خارج المركز وأفلاك جزئية وصغار من مثل وحامل وتدوير ومائل وغير ذلك، فبلغ من ذلك عدد الافلاك الجزئية عند الجمهور ٢٤ وعند (اودكيوس) ٢٣ وعند (كاليبوس) ٣٠، وعند (رجوموتانوس) ٣٣، وعند (أرسطو) ٤٧، وعند (فراستاتور) ٧٠ فلكا . وانافها الفاضل محمد الخفري على ثمانين .

هكذا وقعوا في اختلاف عجيب يتبعه اشكالات صعبة قد اعترفوا بالعجز عن حلها ، وهم مع اختلافهم في عدد الافلاك وصفاتها لم يختلفوا في وجودها ، غير اني وجدت في كتاب مشهد الكائنات في هامش ص ٤١ ان ذي مقر اطيس أنكر وجود الجسم الفلكي وقال يتحرك السكواكب في فراغ الفضاء . أما الهيئة المتأخرة فقد أنكر أصحابها وجود الجسم الفلكي رأساً ولم يؤمنوا بحقيقته فضلا عن الايمان بصفاته المتقدمة ، وما استلزم ذلك الانكار وهنأ لمبانيهم ولا خلا في أرواحهم بل زاد ذلك في صحة مبناهم واستحكام نظامهم . فهم يطلقون اسم الفلك على المدارات الفرضية للأجرام السماوية ، إذ كل جرم سماوي فهو متحرك عندهم في فراغ الفضاء في مدار معين يبين مدار الجرم المماثل له على نسب متناسقة نظماً تاموس الجاذبية بقدرة آلهية ، كما قال على عليه السلام في وصف السماء وما فيها : « ووشج بينها وبين أزواجها ، فالوشج اشتباك القرابة والازواج استعارة بمعنى الامثال ، أي أوجد الله سبحانه روابط متناسبة بين الأجرام وبين أمثالها حفظاً لنظامها الصالح .

وبالجملة فان الجرم السماوي متحرك لديهم على نظام دوري رجعي مستمر كما نراه في الشكل الثالث وكل جرم متحرك على نهج مستمر فان الوهم يفرض لمسيره مجرى على حسب سيره ، وذلك المجرى والمدار يسميه المتأخرون فلكا ولا يختص ذلك عندهم بالنيرين والنجوم بل يثبت للأرض والسحب والشهب



(ش - ٣) مدار السيارات على الرأى الحديث

والرجوم . وسيأتى اثباته للسحب في الدليل الثالث عشر .

* * *

وقد اعترض على بعض العلماء وقال : لم لا يجوز الاعتراف بمسائل
 الهيئة الجديدة من كون الشمس مركزاً للحركات وكون الثوابت شموساً غير
 مرتكزة في فلك مع الاعتراف بثبوت الافلاك السبعة للسيارات فقط ، وعدم
 وجدان القوم تلك الافلاك لا يستلزم عدم وجودها .
 فأجبتة : ان المتأمل في مباني الهيئة الحديثة يجد اكثرها مخالفاً لوجود
 الافلاك على النحو المتقدم ، ألا ترى ان الارض عندهم سيارة من سيارات

شمسنا مع انها غير مركوزة في جسم فلكى فما وجه استثنائها لديك ؟
 وأيضا المذنبات تحرق عندهم مدار السيارات ذهابا وايابا ، فلو كانت
 السيارات مرتكزة في ضمن أجسام غلظها ملايين فرسخ لاختل موازين حركاتها
 وحركات المذنبات فضلا عن لوازم الحرق والالتيام ، الى غير ذلك من الموانع
 والمفاسد التي لا محل لسردها .

إذا اقتبست ما يكفيك من آراء القدماء والمتأخرين في هذا المقام صح
 ان نلتقي عليك ما عرفناه من ظواهر شرعنا وانهم يقصدون اسم الفلك الامدار
 الكوكب ومجراه ، ويستدعي اتضاح الحقيقة تقديم أمر ظاهر ، وهو ان لفظ الفلك
 وما يشتق منه يطلق في لغة العرب على الشيء المستدير استدارة عرفية . ففي
 القاموس وغيره : تفلك ثدى المرأة اذا استدار ، والفلك كل شيء مستدير ،
 ومنه فلسفة المغزل (١) .

إذا عرفت هذا قلت : كل من أطلق اسم الفلك فانما اعتبر استدارته
 ولو بالتقريب . ومن أمعن النظر في كلمات الشرع وراجع أقوال المحدثين
 واللغويين من صدر هذا الدين وجدها ناظرة - بل وظاهرة - في المعنى المختار في هذه
 العصور ، أعني كون المقصود من اسم الفلك انما هو مجرى سير السيارة ومدار
 حركته المفروض في فراغ الفضاء لا المعنى المعروف من المتقدمين .

أما كلمات المحدثين واللغويين فقد قال ابن الاثير في النهاية : « والفلك
 مدار النجوم من السماء » . وقال صاحب القاموس : « والفلك حركه مدار النجوم » ،
 وقال الضحاك : « انما الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم » ، فما اصرح

(١) الفلك اسم معرب عن لفظة (بلك) الفارسية بمعنى الحركة ، وأما
 سائر مشتقات الفلك بالعربية كالتفلك ونحوها فماخوذ عن الفلك .

هذا الكلام ونحوه . وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : « الفلك مجرى الكواكب » . وقال ابن قتيبة : « الفلك مدار النجوم الذي يضمها » . هذه الأقوال المسطورة بأسرها تنظر الى المعنى المختار في هذه العصور ، ولم يكن هذا التفسير الصحيح من هؤلاء العلماء لأجل اطلاعهم على الهيئة الجديدة لظهورها في حدود الالف من الهجرة ، ولم يكن ذلك منهم لأجل اطلاعهم على الواقعات الخفية والاسرار الغيبية ، إذ لم يكونوا من سلسلة الانبياء وأصحاب الوحي والالهام ، وانما كانوا مطلعين على هذا المعنى الصحيح لاستيناسهم بكلمات نبي الاسلام وأوصيائه (ع) والجرى على ظواهرها بأفكار حرة ، خلافا لغيرهم ممن مزج الشريعة بالاوهام .
وأما ظواهر الشريعة الدالة على ان الفلك هو مدار النجوم الذي تجرى الكواكب فيه فهي كثيرة فنقتح منها بأربعة عشر دليلا :

الدليل الاول

قوله تعالى في سورة (يس) بعد ذكر الارض وما فيها والشمس والقمر والمنازل السماوية : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقد استفدت اموراً لطيفة من هذه الآية المباركة :

(منها) ان الاجرام السماوية تسبح وتجرى في الفلك وفاقا للتأخرين وخلافا للقدماء القائلين بأن الاجرام السماوية ثابتة كالسماير في ثخن الافلاك لا تنتقل من مواضعها قط ، وانما حركاتها بتوسط حركات أفلاكها . وظاهر الآية يعطى عين ما تقرر في هذه العصور ، واعترف بذلك المحقق فخر الدين

(١) سورة يس آية ٤٠ وتجد هذه الجملة أيضاً في سورة الانبياء آية ٣٣

الرازي في تفسيره وقال : ان الذى يدل عليه ظاهر القرآن هو أن تكون الافلاك واقفة والسواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء .

(ومنها) مشابهة الأجرام السائرة في أفلاكها للحيتان ، حيث عبر عن سيرها وسياحتها بالسباحة ، وسوف نشرح ذلك في الدليل الثاني .

(ومنها) وحدة الفلك لكل مسيار كما هو الرأى المختار في هذه العصور

فان تنكير الفلك مشعر بها ، فكأنه تعالى قال : وكل في فلك واحد يسبحون

لا في أفلاك متعددة ، كما تقدم عن المتقدمين الزاعمين امتلاء الافلاك العظام من الافلاك الصغار .

(ومنها) تحرك الارض . فانه تعالى ذكر قبل هذه الآية أرضنا وما

عليها من النبات وغيره ثم قال : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ فأتى بلفظة كل

نكرة ولم يذكر المتعلق بها . ومن المعلوم ان اسقاط المتعلق يفيد العموم ، فالتقدير

اما ان يكون وكل شيء من الاشياء المذكورة في فلك يسبحون ، وإما ان يكون

وكل شيء مطلقاً ، وعلى الاول يعطى تحرك الارض بما عليها وفيها من

الجماد والنامى والماشى فى فلكها ، وعلى الثانى يعطيه أيضاً بنحو العموم ويوافق

مذهب (هرشل) وأشياءه ان الاجسام الكائنة فى الفضاء ليس شيء منها ثابتاً

تحقيقاً ، بل لكل منها حركة دورية وفلك مخصوص حتى الشمس والبروج

والاراضى والذراوى والدرارى ، فكل فى فلك يسبحون وبمجد الحق جل وعلا

يسبحون .

الدليل الثانى

قال تعالى : ﴿ والسابحات سبحاً ﴾ (١) فان الظاهر كون السابحات كناية

(١) سورة النازعات آية ٣ .

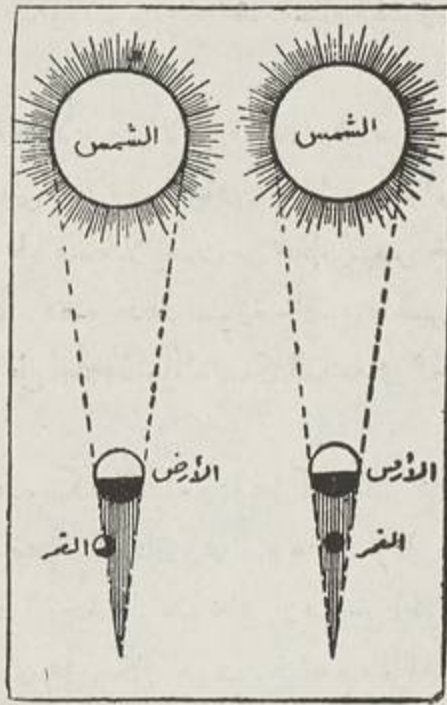
عن النجوم وفاقا لتفسير جماعة من المفسرين كقتادة وغيره ، واستعمال السبع في السير السريع في غير الماء شائع كقوله : « سبوح لها منها عليها شواهد ، واعلم ان ما تلووه في الكتاب والسنة - أعنى الظواهر التي أسند فيها الحركة الى نفس السكواكب - جميعه مضاد للنظام التليد وموافق للرأى الجديد والوجه ظاهر .

بقيت نكتة هنا لا بد من الاشارة اليها ، وهى سر التعبير عن سير النجوم بالسباحة غالبا كما مضى في الآيتين وسيأتى ، وذلك ان أجرام السيارات يستعقب كل منها ظلًا مخروطيا مستطيلا يحدث من خفاء الشمس خلف النصف النوعى من كل سيارة دائما ، فتصير بذلك السيارة حالة سيرها السريع في واسع الفضاء ساحبة ظلها المخروطى أشبه الاشياء بالسمكة السابحة في البحر . (انظر الشكل الرابع) .

ولمراعاة هذه النكتة اللطيفة ربما عبر امناه الشرع عن مجرى السيارات بالبحار وعنهما أنفسها بالحياتان وعن سيرها بالسباحة . وربما كانت الاخبار الناطقة بخلق أرضنا على الحوت ناظرة الى ذلك بحذف المضاف ، أى على شكل الحوت . فراجع مسألة هيئة الارض والمقالة التاسعة من مسألة تعدد الارض وشكل (٤) أيضا .

الدليل الثالث

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ (١) فعبّر عن الافلاك السبعة للسيارات بالطرائق السبع - وهى جمع الطريقة - ليرشدنا حسب الظاهر



(ش-٤) ظل الارض المخروطي في الخسوف وهو شبيه بالسلك السامح

الى ان أفلاك الاجرام العالية ليست إلا طرقاً ومدارات لها ، ويجرى ويسلك كل جرم في فلسكه وطريقته جريان الطير في الهواء والحوت في الماء كما يرى المتأخرون ، وليست الافلاك أجساماً عظيمة تستقر السكواكب مركوزة فيها كما يراه المتقدمون .

الدليل الرابع

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) احتمال في تفسير هذه الآية حذف المضاف ، أى ان القمر قدرنا سيره منزلا منزلا حتى عاد هلالا كالعرجون ، فشبّه الله سبحانه جرم القمر بالمسافر الذى يطوى المراحل ويقطع المنازل فى سيره بنفسه كما يراه المتأخرون .
وأما القدماء فتطبيق الآية على رأيهم محتاج الى تجوز والجرى على خلاف الظاهر وتقدير ان القمر قدرنا سير فلکه فى مواجهة المنازل ، وهو مع ذلك غير حرى للقبول ، فان الفلك لا يقدر سيره فى منازل حيث ان السير الوضعى من الجسم السكروى يناسبه النزول ، فان النزول مختص بالسير الاتقالى ، والقمر منتقل بنفسه فى مواضع عند المتأخرين ، فيساق عليه ظاهر الآية على أبلغ مساق .

الدليل الخامس

قال على عليه السلام فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة عند توصيفه نظم السموات : « ثم علق فى جوها فلکا ، ومعلوم ان تعليق فلک السكواكب فى جو السموات وجوف الفضاء يناسب قول من قال : ان الفلك مدار السكواكب المنحاز فى حيز الفضاء كالحلقة المعلقة ، ولا يناسب قول من يجعل الافلاك عين السموات ويعتقد ان الافلاك مستوعبة للعالم كله .

الدليل السادس

روى في تفسير القمي وكتاب البحار بسند صحيح عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه وصف خلق السموات والنجوم وقال فيما قال: «وأجراها في الفلك» ومعلوم ان اجراء الأجرام وتسييرها في الفلك انما يناسب الرأى الحديد في باب الأفلاك، إذ الجريان يحمل على نفس الأجرام بناءً عليه كما في الخبر، ولا يناسب رأى القدماء إذ الجريان عندهم لا يكون لنفس الجرم لثباته ولا لفلكه لأن سيره محوري غير انتقالي فلا يتحقق الجريان.

الدليل السابع

روى في الاحتجاج والبحار ج ١٤ مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال فيما قال للزنديق: «ومن تدبير النجوم التي تسبح في الفلك» ودلالة لفظه واضحة على ما قصدته من تقوية رأى الأواخر وتوهين آراء الأقدمين، ويزداد الوضوح بمراجعة ما ذكرته في الدليل الاول والثاني.

الدليل الثامن

روى في البحار ورسالة الاستخارات للسيد ابن طاوس في حديث: «وانك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها...» فنسبة النقل والمدار والمسير الى النجوم تنادى بموافقة هؤلاء ومخالفة الأقدمين.

الدليل التاسع

روى في الكافي والوافي والبحار والأنوار النعمانية وتفسير القمي ومن

لا يحضره الفقيه وغيرها بالاسانيد القوية عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال في خبر الكسوف والخسوف : « أمر الله الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذي عليه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، والظاهر منه ان الفلك - أعنى الجوهر القدمى - يبدل الدائرة التى عليها مجرى كل من الأجرام السماوية من موضع الى موضع ، وإفراد الفلك يناسب قصد الجنس الكلى من الفلك كما يناسب قصد الفرد الواحد منه .

ولا غرو في تصور مدار واحد لجميع هذه الاجرام - فانك لو أخرجت دائرة فرضية من منطقة البروج الارضية كانت هى المدار حسب التقريب لكل سيار باختلاف الاطوار والادوار ، فالارض مثلاً تجرى على هذه الدائرة فى السنة مرة مع تمايل ٢٣ درجة تقريباً ، والقمر يجرى عليها ويسير بتمايل يسير وينخسف بهذا التمايل - المعبر عنه فى الخبر بتبديل الملك - والنجوم السيارة أيضاً تجرى عليها بتمايل مختلف لا يزيد فى المجموع على ١٨ درجة .

والخلاصة ان الخبر المذكور ينساق بظاهره نحو الرأى المختار فى هذه العصور حيث اسند الجريان فيه الى نفس النجوم أولاً وجعل مجارى النجوم على الفلك كجرى الدابة على جادة ولم يجعل النجوم ثابتة فى ثخن الفلك كالمقدمين وجوز إزالة الفلك وانتقاله من موضعه وحيزه ثانياً ، مع امتناعه عند الاقدمين . وأمع هذا الخبر أيضاً الى حصول الكسوف والخسوف لبقية الكواكب والنجوم كما اكتشفه المتأخرون ، وأما القدماء فالمشهور عنهم اثبات الكسوف والخسوف للنيرين فقط - أعنى الشمس والقمر .

الدليل العاشر

قال الطريحي فى كتابه مجمع البحرين : وفى الحديث « ان الفلك دوران

السماء» (١) وظاهره يرشد الى كون ماهية الفلك عند الشرع انما هي نفس دوران السماء المحيطة بالارض مع الارض في واسع الفضاء ، فالخبر مع مناسبته للنظام الكوبرنيكى يقوى كون السماء كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا السائرة نحو الدوران في جوف الجو وهي حاضنة لها . وسيأتى شرح هذا القول واثباته في المسألة السادسة .

الدليل الحادى عشر

روى فى كتاب الشيخ الزاهد أبى الليث السمرقندى عن ابن عباس انه قال : « ان النجوم معلقة فى السماء ، ويؤيده ما فى خبر عبد الله بن سلام عن النبى (ص) من كون الكواكب والنجوم معلقة فى الهواء ، كما انه يؤيده ما فى خبر المفضل بن عمر المشهور عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فيه : « ما أجده يستقيم ان أقول ان أحداً يعلم علم هذه النجوم المعلقة فى السماء ... ولا يقنع علم الحواس فى علم النجوم وهى معلقة تغيب مرة وتطلع أخرى تجرى تحت الارض كما تجرى فى السماء ... أتعلمه من أهل السماء إذ كانت النجوم معلقة فيها ، .
وجميع ماورد بهذا المعنى يناسب الهيئة الحاضرة القاضية بأن الانجيم والاجرام السماوية بأسرها معلقة فى فراغ الفضاء بناموس الجاذبية وقدرة الحق تعالى ، وتدور على مدار مخصوص وليست مركوزة فى جسم فلكى كما عن القدماء .

الدليل الثانى عشر

روى فى البحار عن تفسير الفرات عن على أمير المؤمنين عليه السلام فى الشمس والقمر : « ان الله جعلهما يجريان فى الفلك والفلك بحر بين السماء والارض مستطيل

(١) الظاهر انه مصحف قوله : « الفلك دون السماء » .

في السماء ... ، وهذا الحديث مصرح بسير الأجرام وجريانها في نفس الفلك وفاقاً للرأى الحاضر وخلافاً للنظام الغابر ، ثم يشرح لنا المعنى من اسم الفلك بأنه يجرى بين السماء والأرض يعنى جهة العلو من الفضاء . وقوله **ببطلان** : « مستطيل في السماء ، ظاهر مختار كبلر والمتأخرين ، إذ ليس الفلك عندهم غير الخط المستطيل في الفضاء العالى المنحنى بشكل دائرة بيضوية أو اهليلجية تجرى النجوم فيه ، فهذا التوصيف الوارد في هذا الخبر الشريف انما ينطبق على مذهب الأواخر في صورة الافلاك وهيئتها الاهليلجية والمستطيلة لاعلى مذهب القدماء القائلين بكروية الافلاك .

وتشبيه الامام (ع) هذا المدار المستطيل بالبحر قد يكون لأوجه سأظهرها في المقالة التاسعة من مسألة تعدد الارضين .

* * *

فان قلت : اثبت هذا الخبر فلماذا جرى الشمس والقمر ، مع ان الشمس في الهيئة العصرية مركز الحركات ؟ قلت : سيأتى في مسألة تحرك الشمس انها تتحرك عند المتأخرين بمركتين محورية في مستقرها ، وانتقالية في بيداء الفضاء حاملة معها اتباعها وسياراتها حتى قر أرضنا فانه يتبع الشمس ويجرى معها في ذلك الفلك بمركة واحدة ، فيناسبه كثيراً قوله **ببطلان** : « وجعل الشمس والقمر معاً يجريان في الفلك ، . ويجوز ان يكون قوله **ببطلان** : « والفلك بين السماء والارض بمر مستطيل في السماء ، اشارة الى مذهب الاستاذ (كبلر) الامريكى في سير الشمس ، فانه يعتقد ان الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال بخط مستطيل ونظامها يتبعها . وسيأتى شرح هذا المذهب في مسألة تحرك الشمس .

الدليل الثالث عشر

في البحار ج ١٤ وخصال الصدوق وغيرهما مسنداً عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : « ان الله سبحانه لما خلق السحاب فخرت وذخرت وقالت: أى شئ يغلبني ؟ فخلق الله الفلك فأدارها بها وذلكها ... » وهذا الحديث يحتاج الى شرح وبسط حتى يظهر مزاياه ولكنها تقتصر على موضع الحاجة ونقول: أطلق عليه السلام لفظ الفلك على مجرى السحاب ومداره في الفضاء حيث لا يرتاب أحد ان الغيوم تتحرك في الجو على مدار وهمي فرضي وليس لها فلك بنظر الأقدمين، بل لها فلك على رأى المتأخرين ، فسمية الامام عليه السلام مدار السحاب فلها تقوى كثيراً استعمال لفظ الفلك في مدارات سائر الأجرام السائرة بعرف من الشريعة . ولا يخفى ان الاشتراك المعنوي عند الجميع مقدم على المجاز وعلى الاشتراك اللفظي ، فيظهر تأييد هذا الخبر لمطلبنا . ولما استقر عليه رأى الحكيم (هرشل) وشيعته ان الاجسام الكونية بأسرها متحركة في الفضاء على أفلاك ومجاري مختلفة

الدليل الرابع عشر

قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المروية في نهج البلاغة والبحار وغيرهما: « والجو المكفوف الذي جعلته مغيظاً ليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيارة ... » فصرح بجريان الشمس والقمر في الجو - يعنى الفضاء - وصرح أيضاً باختلاف النجوم السيارة وتردها في الجو لا في جوف جسم فلكي، فينطبق هذا على الهيئة الحاضرة دون الغابرة . والمغيظ موضع بمص الماء ويبلعه. فكأنه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور والظلام، وشبه انعدام ضوء النهار في الجوليليا ، وكذا انمحاه ظلام الليل فيه نهاراً بمص الجو

وابتلاعه للظلام والضياء .

ويظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بألة (سبكتر سكوب)
وغيرها ان الهواء أو الجو يشرب ويمص من النور ما يقتضيه طبعه ويمج الباقي
الينا ، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم ، لكن باب مدينة العلم
- أعني علياً عليه السلام - قد علمه النبي صلى الله عليه وآله حسب الآثار الصحيحة ألف باب يفتح
له من كل باب ألف باب ، وربما كان هذا وأشباهه من فروع تلك الابواب
التي يستكشف الحكيم منها ألف باب .

وأيم الله سبحانه ان المتأمل في كلمات علي وأبنائه (ع) بعد اطلاعه على
فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ، ويصدق عندئذ من قال : ان كلام
علي عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق . فهل كانت لعلي عليه السلام عين
سبكتر سكوبية تجهر له كل خفي ؟ نعم كانت له عين أجلى من السبكتر سكوب
وأ نور من كل آلة ، وهي عين العلم الالهي المستمدة من أنوار النبوة المحمدية صلى الله عليه وآله
فتطلع به بالوحي والالهام على خفايا النفوس والأجرام وتجلي عن بصيرته كل
غشاء وظلام .

والجو المكفوف يعني به الممنوع من الميطان مع سيلان مادته الاثرية
ونشرح - ان وفقنا الله سبحانه - بعض ما اعصوب فهمه من مصطلحات
الاحاديث كالجو المكفوف والبحر المسجور والبيت المعمور وغيرها في
مستقبل عمرنا ، ولا قوة إلا بالله عليه توكلنا واليه المصير .

« المسألة الثانية »

(في هيئة الارض وما تقوم عليه)

قد كان يقرع سمعنا من تقديم العصر ان الشريعة الاسلامية اكمل الشرائع الفاضلة وأبعدها عن العقائد الباطلة ، ولأجل ذلك صارت العقول تتلقى أحكامها بأحسن قبول ، فما الذي نسمعه الآن من نسبة تسطيح الارض الى هذا الدين ، وقد ملأ الارحاء نداء الحكماء بكروية الارض ؟ فأزيجو عن أفهامنا الشكوك .

(الجواب)

لاشك ان الناظر الى الأرض من دون تدقيق ولا تحقيق يعتقد استواءها وامتدادها الى كل طرف، ومعرفة شكلها الحقيقي مشكلة على ذوى العقول البسيطة والأسباب المبنية لذلك لم تكن في سالف الزمان ، ومن ذلك اختلف مذاهب الحكماء في هيئة الارض ، والواصل اليها من الآراء ثلاثة عشر رأياً :

(١) - عن انكسيميايس انها مسطحة ومحمولة في الهواء كالورقة من رصاص فتعوم على الماء ما دامت مسطحة وترسب فيه متى جمعت .

(٢) - عن رؤساء دين المسيح عليه السلام وباباواتهم انها ممتدة الى السفلى مستقرة على أعمدة واسطوانات ، بل نقل عنهم ما هو أشنع من هذا .

(٣) - عن بعض القدماء انها مخروطية الشكل كالجبل رأسه الى فوق وقاعدته الى السفلى ولا نهاية لأسفلها .

- (٤) - عن انكسيمندر أنها كالأسطوانة المستديرة .
- (٥) - انها مكعبة - أى مسدسة السطوح .
- (٦) - انها كالدف .
- (٧) - انها كالطبيل .
- (٨) - انها كطبيل منصف .
- (٩) - عن هركلي تس انها كسفينة مجوفة .
- (١٠) - انها على شكل ترس .
- (١١) - عن قداماء اليوناء انها كدائرة مسطحة مركزها بلاد اليونان ومحيطها سواحل المحيط .
- (١٢) - عن جمهور الفرس واليونان والعرب انها كرة تامة محيطها الاستوائى مساو لمحيطها القطبي ، ولا تخرجها الجبال عن الكروية الحسية . إذ نسبة أعظم جبل عليها كشعرة على سطح كرة قطرها ذراع . وهذا الرأى لم يكن بين الافرنج الى القرن التاسع الهجرى عصر اكتشاف أمريكا (١) .
- (١٣) - مختار نيوتون المتوفى سنة ١٧٢٧ م والمتأخرين عنه، وهو انها شبه الكرة وليست كرة تامة لوجود تسطيح فى جانبى قطبيها ، أى يقصر محيطها القطبي عن محيطها الاستوائى نحو ثلاثة عشر فرسخاً ، ويقصر أحد القطرين الاستوائيين عن الآخر بميلين .
- وهذا الرأى قد فاز اليوم بالشهرة وتصديق الحكماء وقيام البراهين والشواهد عليه .
- وأما الشريعة الاسلامية فيها اشارات ودلائل على كروية الارض بل وعلى تسطيح قطبيها وفاقاً للرأى الأخير . أما الاشارات فانها تعرف من
- (١) كان هذا رأى علماء الاسلام فى صدر الاسلام (ف) .

تشبيهات الأئمة عليهم السلام لجرم الارض بالاجسام المستديرة استدارة غير تامة غالباً كالربوة والدرة والمهات والجبل من زبد وقلقة الجوز والقبة ونحوها .

وأما الدلالات (فاحداها) قوله تعالى: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ (١) فان كروية الارض تستلزم ان تكون كل نقطة فرضت عليها مشرقا لقوم ومغرباً لقوم - كما سيأتي - فيصح تكثر المشارق والمغارب بناء على الكروية من غير ان نتكلف في تفسير الآية .

(الثانية) - ما وجدته في كتاب التهذيب والوافي والوسائل مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه : «مسوا بالمغرب قليلاً فان الشمس تغيب من عندكم قبل ان تغيب من عندنا» ، وقال عليه السلام في خبر آخر : «فانما عليك مشرقك ومغربك» .

أقول : وفي هذين الخبرين دلالة على ان المشرق والمغرب يختلفان باختلاف بقاع الارض وان الشمس تغيب عن قوم قبل مغيبها عن آخرين ، وهذا المعنى من لوازم كروية الارض واستدارتها من طرف الخط الاستوائى بل كل نقطة تفرضها على سطحها وهي مشرق لمن في مغربها ومغرب لمن في مشرقها .

(الثالثة) - ما وجدته في البحار والوسائل والمجالس للصدوق مسنداً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : صحبني رجل يمسى بالمغرب ويفلس بالفجر فنكنت أنا اصلي المغرب اذا وجبت الشمس واصلى الفجر اذا استبان لي ، فقال لي الرجل : ما يمنعك ان تصنع مثلما اصنع فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا وهي طالعة على آخرين بعدنا ؟ قال عليه السلام : فقلت : انما علينا ان نصلي اذا وجبت الشمس عنا واذا طلعت الشمس بعدنا ، ليس علينا الا ذلك

وعلى أولئك أن يصلوا إذا غربت عنهم .

ويظهر من استدلال الرجل على مطلبه باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الارض ومن تقرير الامام عليه السلام لكلامه والموافقة معه فيه انه كان أمراً واضحاً مسلماً بين المسلمين ، ويظهر ذلك أيضاً من فتاواهم في أبواب الصلاة والمراتب وغيرها .

(الرابعة) - ما وجدته في باب الحج من الكافي وفي الوافي والبحار بسند قوى عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل دحى الارض من تحت السكبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى ... » .

تفطن الى دلالة على استدارة الارض العلامة المجلسي (ره) بناء على تفسير الدحو بالسط ، أى بسط الله تعالى الارض من موضع السكبة الى موضع منى ثم بسطها من منى الى موضع عرفات ، فانها وراء منى بالنسبة الى السكبة المعظمة ، ثم بسطها ومدّها وطواها من تحت مركز الارض الى ان اوصلها الى الجهة التي ابتداء منها وهي جهة منى - أعنى موضع السكبة

ولو فسرنا (الدحو) بمعنى الدفع والتحرك - كما سيأتى - كانت دلالة على استدارة الارض بالزام من العقل ، كما ان الادلة الناطقة بتحريك الارض يستخرج منها السكروية أيضاً من جهة التلازم بينها وبين الحركة الوضعية .

(الخامسة) - ما وجدته في الكافي والبحار والانوار النعمانية وجمع البحرين للشيخ الطريحي فخر الدين وغيرها عن الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام انه ذكر مبدأ الخلقة في خبر له فقال : « خلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ثم طواها فوضعها فوق الماء . » .

ولا يخفى أن تطوية الارض كتطوية السماء ظاهرة في ادارتها ، كما

يطوى العود والكتاب . وفيها أيضاً إشارة الى تسطيحها من طرف القطبين - كما هو الحالة في السجل المطوى - فيكون هذا التعبير أقرب التماثيل والصور للرمز والإيماء الى هذا السر الدقيق ، ولو تصفحت اخبار الشريعة الطاهرة لماظفرت على خبر ظاهر في أن الارض كرة تامة . نعم انما تنطق باستدارتها من الطرف الاستوائى فقط ، أو يوى الى تسطيح القطبين بحسب مقتضى المقام .

(السادسة) - ما وجدته في البحار وبصائر الدرجات واختصاص المفيد مسنداً عن الامام السادس جعفر الصادق عليه السلام انه قال : « ان منا أهل البيت من الدنيا عنده بمثل هذه ، وعقد بيده عشرة (١) .

قال العلامة المجلسي : عقد العشرة بحساب العقود هو أن تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كالحلقة المدورة .

أقول : كان المتقدمون يفهمون من ظاهر هذا التمثيل احاطة الامام وتسلط ولى الله على ما في الكون ، وظنى انه عليه السلام قصد بذلك تمثيل شكل الدنيا - أى الارض - بشكل كرة غير تامة مثل شكل الكف المقبوضة ، فقال عليه السلام : « ان منا أهل البيت » ويعنى بذلك نفسه أو الوصى بعده والامام لمن تبعه « من الدنيا عنده » أى شكل الارض « بمثل هذه » يعنى الارض عنده كرة غير تامة مسطحة عند القطبين ومستديرة عند المشرق والمغرب مع وجود الوهاد والجبال . فما أشبه هذه الصورة بالكف المقبوضة ، ولا سيما تسطيح جانبيها . وقد صدق الامام عليه السلام في تخصيصه هذا العلم بوصى النبي (ص) ، إذ لم يكن في زمانه من يعتقد هذا الشكل لجرم الارض لا من عوام الناس ولا من خواصهم وإنما اكتشفه المتأخرون بعد الألف من الهجرة .

(١) وفي حديثه الآخر : ان الدنيا تمثل للامام كفلقة الجوزة ،

وبسنده الآخر : ان الدنيا ممثلة للامام كفلقة الجوزة .

وبالجملة فظواهر الشرع الاسلامي قوية من جهة الصدور والظهور في الرأى الحادث لشكل الأرض ، وليس فيه ظواهر تنافى ذلك تنافياً ظاهراً ، فان قوله تعالى : ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (١) عام الدلالة على السطح المحذب والمقعر والمستوى ولا يثبت به السطح المستوى فقط لجرم الأرض حتى ينافى السطح الكروي ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ (٢) أو قوله : ﴿ فراشاً ﴾ (٣) فان البسط كثيراً ما يؤتى به لبيان قابلية الأرض لتوطن الحيوان عليها والسكنى والحراث وسهولة السلوك في مناكبها ، كما انه تعالى علل بسطها بقوله بعد ذلك ﴿ لتسلكوا منها سبلاً ﴾ والامر متضح لمن أنصف وتدبر .

تتمة مهمة

(فيما تقوم الأرض عليه)

قد تكرر في آثار شريعتنا من خطبها وأخبارها وأدعيتها - كما لا يخفى - ان الأرض قائمة بنفسها في الفضاء غير معتمدة ولا محمولة على جرم غير جرمها وفاقا للباحثين من الحكماء . قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ (٤) قال ابن شهر آشوب هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ : ﴿ بأمره ﴾ يعنى بلادعامه تدعما ولا علاقة تتعلق بها . وقال غيره : يعنى ان اقامتها بلامقوم محسوس هي من قدرته ، ولو كان غير ذلك لم يتحقق كونه آية ربانية . وقال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ﴾ (٥) أى بناموس الجاذبية العامة .

- | | |
|---------------------------|-------------------------|
| (١) سورة الغاشية آية ٢٠ . | (٢) سورة نوح آية ١٩ . |
| (٣) سورة البقرة آية ٢٢ . | (٤) سورة الروم آية ٢٥ . |
| (٥) سورة فاطر آية ٤٩ . | |

وقال علي عليه السلام في خطبة مروية عنه في نهج البلاغة والاحتجاج والبحار وغيرها عند توصيفه خلق الارض : « وأرساها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم » وقال عليه السلام في خطبة أخرى مروية في البحار وغيره « خلق السماوات والارض بلا عمد قائمات بلا سند » .

وقال النبي (ص) في دعاء رواه السيد ابن طاوس في مهج الدعوات والعلامة المجلسي في البحار : « نور السماوات والارضين وفاطرهما ومبتدعها بغير عمد خلقهما فاستقرت الارضون بأوتادها فوق الماء » (١) .

وقال (ص) في دعاء وداع شهر رمضان المبارك كما في البحار وغيره :
« وبسط الارض على الماء بلا أركان »

وفي دعاء يوم الاحد كما في مصباح المتعجد والبحار وغيرهما فاستقرت الارضون على الرواسي الشاخات » ،

ويعضد كل هذا ما سأتلوه عليك من الأدلة الشرعية على تحرك الارض يومية أو سنوية ، بل ويعضده أيضاً ما تلوته من الاخبار الدالة على استدارة الارض وان الشمس تطلع على قوم قبل قوم وتغرب عن قوم بعد قوم من الامم القاطنة على صفاحها ، فان ذلك كله مناف لاستقرار الارض على جرم . نعم ، انما يستشكل المعترض فيما ورد في الشريعة من أن الارض خلقت على الحوت أو على قرن الثور ونحو ذلك . وفي خبر مأثور في الدر المنثور انها بين قرني الثور ، مع الجزم بأن الارض كرة معلقة في جوف الفضاء يحيط بها من أطرافها كرة الهواء . ولذا لم يؤمن بهذه الاخبار كثير من الفضلاء وأولها جماعة الى المعاني الباطنية .

(١) في هذا الحديث اشارة الى ان أوتاد الارض - أي الجبال - هي الموجبة لاستقرارها عالية على الماء ، ولولا أصول الجبال والمواد الحجرية لذابت الارض كالرمل ولعبت المياه والامواج فيها واستولى البحر على البر .

وقد من الله تعالى على بفتح مقلمها وحل مشكلها بتقدير المضاف ، وهو أمر شائع عند البلغاء ، والمعنى أن الأرض خلقت على شكل قرن الثور - بناءً على القول المختار في هذه العصور - فيكون التناسب بين هيئة الأرض وهيئة قرني الثور من جهات :

(الأولى) - أن وضع القرون في الثيران على الاستدارة من طرفي اليمين والشمال ، وكذلك الأرض مستديرة من طرفيها المشرق والمغرب ، فيتناسب ذلك ما في بعض الاخبار من أن قرناً من قرني ذلك الثور في المشرق والقرن الآخر في المغرب . ومن الغريب ان استدارة القرن بهذه السكيفية مخصوص بنوع الثيران ليس لباقي الانعام وذوات القرون مثله على ما استقريناه

(الثانية) - إن شكل القرنين في الثور مسطح من طرفيه الأعلى والأسفل ومحدب مستدير من جانبيه اليمين واليسار ، وقد عرفت استكشاف (نيوتون) واصرار من تأخر عنه على أن الأرض مستديرة الجانبين مسطحة القطبين ، وذكرنا أن هذا المعنى المستخرج بالآلات الدقيقة والأفكار الحادة مستفاد من أخبار وافرة عن النبي وعترته الطاهرة (ع) .

(الثالثة) - ان جرم الأرض على الدوام واقع في طرف مدار بيضوي وكذلك قرنا الثور واقعان في موضع من رأسه ، لو فرض خط وهمي من موضعها الى ذقنه بحيث يحيط بتمام رأسه ذلك الخط ظهر شكل المدار البيضوي ولو اعتبرت المدار بدون الثور أيضاً كان قرناه واقعين في موضع من البدن لو فرض خط وهمي من موضعها الى موضع الذنب بحيث يحيط بجنته ذلك الخط ظهر أيضاً شكل المدار البيضوي .

فالحدس يطمئن بأن الحجج - عليهم السلام - لم يجدوا مساعداً لتوضيح هذه العلوم والأسرار لجهال عصرهم فأدرجوها في طي كلماتهم ورمزوها في

ضمن اشاراتهم لأجل ذلك ، وضربوا للإشارة الى مطلوبهم تمثالا جامعاً
لأكثر الجهات بأخصر العبارات ، حتى إذا تلى بعدهم على أهل العلم والتحقيق
استخرجوا من طيه السر الدقيق .

وهكذا العلاج في خلق الأرض على الحوت - أي على شكل الحوت
كما سأشرحه في المقالة التاسعة من مسألة تعدد الأرضين عند شرح البحار
السماوية ، وسيتضح هنالك شرعا أن الأرضين السبع كل منها مخلوق على
صورة الحوت والسمكة وفاقا للهيئة الحاضرة .

وكان السائلين من الحجج (ع) عما تقوم عليه أرضنا كانوا على أصناف :
(فمنهم) من قرأ الصحف الآلهية وحفظ العهود القديمة المذكور فيها
خلق الأرض على الحوت أو قرن الثور أو الصخرة ونحوها ، فكان يقصد
من سؤاله امتحان علم النبي الأسمى وخلقاته المعصومين ، وعندئذ كان الواجب
عليهم أن يجيبوه كما حفظه وفهمه من الصحف لثلاث سبب الظن بعلمهم (ع) .
(ومنهم) من استغرق في جهله بحيث لو أجابوه بأن الأرض مع
عظمتها متوسطة في الفضاء بين الهواء لكذبهم البتة ونسبهم الى ما لا يليق
بحضرتهم ، فكان الحجج (ع) من حسن تدبيرهم يظهرون الحق على صورة
يقنع العاقل بها أيضاً ، فيقولون : هي على قرن الثور أي على شكل قرن
الثور ، فإذا سألمهم عن الثور قالوا : هو على حوت أي على شكل حوت ،
وإذا سألمهم عن الحوت قالوا : على الماء ، فإذا سألمهم عن الماء قالوا : على
الظلمة أي ظل الأرض أو على قدرة الله تعالى . وربما قالوا عند ذلك :
هيات هيات ههنا ضل علم العلماء ، وجميع هذه الاجوبة حق وصدق حاو
على أسرار جلييلة .

« المسألة الثالثة »

(في تحرك كرة الأرض)

قد شاع في هذه العصور أن أرضنا متحركة بجميع ما فيها وما عليها ،
وان الأجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم لا تدور حقيقة حول
الأرض يوماً ، بل الأرض تدور على نفسها مرة في كل ٢٤ ساعة ، وبسبب
ذلك تطلع عليها الأجرام ثم تغيب . وهذا الرأي العجيب ان صح فلماذا
سكت عنه شرع الاسلام عندما كشف لنا خفايا الأجرام ؟

(الجواب)

لا ريب ان الناظرين إلى أرضنا نظرة بدوية يعتقدون انها ساكنة في موضعها
وأجرام السماء هي الطائفة حولها في كل يوم وعام ، وقد استحكمت هذه
العقيدة من قرون بعيدة في عقول البشر حتى عدت من أبده
الواضحات ، ولذلك كان اختيار دوران الأرض من الوهن والغرابة بمثابة
صعب حتى على الحكماء تجوزة . وأول من كشف الستر عن هذا السر
(فيثاغورس) النابغ قبل الميلاد بقرون بخمسة وتبعه (فلو طرخوس)
و (ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسي بعده بقرنين ، وعلم
دوران الأرض السنوي حول الشمس أيضاً فشكى عليه بالكفر ، ثم نبغ
بعده بنصف قرن (كليانثوس) من اسوس واختار الحركتين للأرض فشكى
عليه أيضاً بالكفر امام الحكام . ثم ظهر (بطليموس) بعينه بقليل فأوضح

سكون الأرض الذي كان الناس يزعمونه فطرياً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلكية على ما فصله في المجسطى وأوجزناه في المقدمة السادسة ، فنال نظامه الصوت والصيت في العالم المتمدن حتى أصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها ، وكان في مهرتنا من يدفع الموانع عن تحريك الأرض أيضاً كالعلامة الطوسى نصير الدين والفاضل العاملى بهاء الدين .

وكان الأفرنج يومئذ غارقين في الضلالة عريقين في الجهالة ينظرون الى المسلمين أشد من نظرنا اليوم اليهم كما قال الله تعالى : ﴿ تلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ وكان استبداد البابويين قد منع الأفواه والأفهام منهم عن التحرك في سبيل العلوم العقلية وأظهار مالا تقبله الكنيسة ، وقد أحرقت ألوفاً من المستنيرين بعلوم الاسلام وفلسفة ابن رشد القرطبي .

وحسبك أن الحكيم (برونو) نطق بسير الأرض قبيل الألف الهجرى فهجروه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ثم أحرقوه وأحرقوا كسبته ، واجترى الحكيم (غاليله) بعد الألف الهجرى فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلكة ، ثم سجن طويلاً مع جلالته وحقوقه العلمية (١) .

من جراء هذه الحوادث وأشباهاها صار حكام الأفرنج يكتمون كشافياتهم الأنيقة المخالفة للخرافات العتيقة خوفاً من الكنيسة الرومية . ولسكن

(١) يقال انه اوقفوا غاليله مرة امام مجلس التحكيم وأجبروه ليرجع عن قوله والقتل فقال : اننى غاليله بعد عمر ٨٠ سنة أشهد بأن الشمس تدور حول الأرض ساكنة .. فلما خرج قال لأصحابه : ان الرأى الذى يفتت في القلب في هذا العمر لا يخرج منه بهذه الاضطهادات .

الثقافات الحديثة التي محت عنهم تلك التوحشات وحررت رقابهم وافهامهم وألسنتهم وأقلامهم أراحت عالماً من العلماء في اظهار الآراء والعلميات المرئية للبشر ونظامه ، فجالت بذلك الحكياء في ميادين العلوم وجادت بما استفادت حتى أضحت الغرائب العلمية ينطق بها الشيخ والصبي ويتلقاها من كثرة التوضيحات كل ذكي وغبي .

وأول من نطق بتحريك الأرض من الافرنج هو (الكردينال ديكورا) ثم (الكردينال الينا كوس) ثم (جون مولار) لكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة على هذا الأمر المستغرب في ذلك الوقت ، حتى قام (كوبرنيك) في حدود الألف الهجري وأقام أدلة قوية وكتب الرسائل والسكتب في هذه المسألة ، فصار بذلك محمياً ومؤسساً للهيئة الجديدة وسلك الحكياء مسلكه . فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع بين الأنام وأضحى تحرك الأرض من جملة المسلمات الواضحة لو فور الشواهد العلمية عليه وإشارة البراهين اليه ، مثل تجارب (فوكلت) بالرقاص القطبي ، وميل الأجسام الساقطة من مرتفع الى شرق مسقطها الحقيقي ، وآلة (جيرسكوب) وانحراف النور ، ومبادرة الاعتدالين ، وتأخر القطار الغربي عن الشرقي نحو ميلين في الساعة وغيرها .

وخلاصة القول : إن اختيار تحريك الأرض في العصور الماضية إذ كان يمكن من الغرابة والوهن لم يكن للأنبياء ودعاة الآخرة اعلان دعوته ، حيث تصدم مخالفة الجمهور عن انفاذ وظائفهم المقدسة - كما مر في المقدمة الخامسة وغيرها - مع أن خطأ الناس في مثل ذلك غير مفسد لآمر معاشهم أو معادهم ، فلو سكت شرع عن إثبات مثل ذلك أو نفيه أو سلك فيه مسلك العرف مما شأناً ومداراتاً من باب السياسة لم يقع موقع لوم العقلاء

أو ذمهم .

وأما الاسلام فاذ كان ظهوره في ابناء جاهلية وهمجية لا يؤمنون بما وضحته الادلة فضلا عن الحقائق النظرية المخالفة لمعتقداتهم سلك طريقة العقلاء معهم فأوما الى هذه الدقائق في بدو البعثة بطريق الايجاز والاجمال ، ثم على حسب تنورهم بالمعارف شرح لخاصتهم تلك الاقوال . واذكر الآن ما ظفرت عليه في الكتاب والسنة من الظواهر المشعرة أو المصرحة بتحريك الارض .

أما القرآن العظيم ففيه آيات بينات تفيد ذلك :

(احداها) - قوله تعالى : ﴿ والارض بعد ذلك دحاها . ﴾ أخرج منها مائها ومرعيا . والجبال أرساها (١) . تفتن بدلالة هذه الآية والثانية والثالثة سيدنا العلامة السيد محمد حسين الشهرستاني المرعشي الكركي المتوفى سنة ١٣١٥ في رسالة نشرها في حركة الارض سنة ١٣١٣ ، ويلزمنا شرح ما أشار اليه فنقول : دحو الارض أمر متواتر في مقالات شرعنا بألفاظه وبمعانيه - كما لا يخفى - وكان المسلمون جميعاً حتى اليوم يفهمون من لفظ الدحو معنى البسط ، ويفسرون به كل ما ورد في الشرع ، لسكننا بعد الرجوع الى كتب اللغة ومواضع استعمال العرب لهذا اللفظ وما اشتق منه نجد جملها أو كلها تشير الى معنى آخر للدحو - أعني به الدفع والدحرجة - ونرى معنى البسط لم يذكره بعض اللغويين للفظ الدحو وذكره الآخرون من جملة المعاني المستعملة نادراً كما ستعرف ، فينقدح من ملاحظة ذلك في الفهم مظنة ان المراد من الدحو الوارد في الكتاب إنما هو معناه الشائع الظاهر لدى عرف العرب - أعني به الدفع والدحرجة - لسكن المفسرين ونحوهم أساؤا التفسير حيث استحال في عقولهم تحريك الارض عن مقرها فوجهوا اللفظ

الى معنى آخر يناسب مبلغ علمهم ، وهو معنى البسط .
ولعمري ان الاستبداد العلمى من المفسرين ونحوهم غرس اصول
الخلاف فى المسلمين وفعل ما فعل وسيفعل ، ولا يزال الداء الاضد ما وجدته

* * *

ويجب الآن ذكر الشواهد على ان الدحو لغة معناه الدفع والدحرجة :
(فمنها) ما فى القاموس : دحيت الابل أى سقتها ، والمدحاة خشبية
يدحى بها الصبي فتمر على الأرض لا تأتى على شىء إلا اجتحتفته . . يعنى
لا تمر على شىء إلا جلبته معها ، والحركة فى هذه العربة الخشبية أيضاً مركبة
من الوضعية والانتقالية كسير الأرض ، وعلى هذا يكون التعبير عن حركة
الأرض بالدحو فى غاية المناسبة ، إذ الأرض عند المتأخرين فى حركتها
الانتقالية لا تمر بكرة صغيرة فى الفضاء إلا جذبتها الى نفسها .

(ومنها) ما فى مفردات الراغب قال : (والأرض بعد ذلك دحاهما)
أى أزالها عن مقرها ، وهو من قولهم : دحا المطر الحصا عن وجه الأرض
فيدحو ترابها ، ومنه ادحى النعام ، فدحو الحصا بالمطر وكذلك دحوا جزاء
التراب بجافر الفرس إنما يكونان بالحركة المركبة من الوضعية والانتقالية على
مثال حركة الأرض المركبة من سير وضعى حول نفسها وسير انتقالى
حول شمسها .

(ومنها) ما اشتهر فى نعت على أمير المؤمنين (ع) انه داحى باب خيبر
أى رامياها (١) ، ورعى الشىء بالحركة الانتقالية لا ينفك غالباً عن دوران

(١) ورد فى ذلك آثار لا تحصى واشعار لا تستقصى ، ولا يناسب

دحو باب خيبر معنى البسط ، قال ابن أبى الحديد فى السبع العلويات :

باداحى الباب التى عن هزها عجزت اكف أربعون وأربع -

على نفسه .

(ومنها) ما في صحاح الجوهري : «الأدحوة مبيض النعام في الرمل لأنها تدحوه عند حفرها برجلها ثم تبيض فيه ، ودحو النعامة للرمل أيضاً تحريك منها له بنحو الدرجة كحركة الأرض في الفضاء وكذلك دحوها للبيض (ومنها) ما في كتاب أقرب الموارد : «دحى المطر الحصى على وجه الأرض دفعها ، ويقال للاعب بالجوز : أبعده المدى وادحسه ، أى ارمه . ومر الفرس يدحو دحواً رمى بيديه رمياً ، فلغة الدحو تفيد معنى التحريك بنحو الدرجة في الجميع في الحصى والجوز والتراب كتدحرج الأرض في الفضاء .

(ومنها) ما في البحار وغيره عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال في خبر طويل : «فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت السكبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شيء ، فإن الدحو لو كان بمعنى البسط لاستغنى عن قوله : «ثم بسطها ، فعطف البسط على الدحو دليل المغايرة ، خصوصاً إذا كان العطف بحرف (ثم) الدال على الترتيب مع تراخي زمان الثاني عن الأول . ويشير هذا الخبر إلى كروية الأرض أيضاً لقوله (ع) : «فأحاطت بكل شيء ، فإن احاطة الجسم كناية عن استدارته ، والمراد من الشيء هو الشيء الأرضي قطعاً وترتيب تكوين الأرض المذكور في هذا الخبر موافق لآراء المتأخرين ، أعني خلق الأرض أولاً ثم تحريكها ودحرجها ثم كرويتها الناشئة عندهم من

- وفي إرشاد المفيد في صفة صخرة قلعتها على (ع) عن فم القليب قال : فحركها على (ع) ثم قلعتها بيده ودحى بها أذرعاً كثيرة . كما قال السيد اسماعيل ابن محمد الخيري في قصيدته البائية المذهبية :

فكانها كرة بكف حزور عيل الذراع دحى بها في ملعب

دورانها على نفسها ، فافهم .

(ومنها) ما في النهاية لابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ قال : « وفي حديث ابن عمر : فدحى السيل فيه بالبطحاء ، أى رمى وألقى ، ومنه حديث أبي رافع : قد كنت ألاعب الحسن والحسين عليهما السلام - أى فى حالة الطفولة - بالمداحى ، وهى أحجار أمثال القرصة - أى مستديرة - كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها تلك الاحجار ، فان وقع الحجر فيها فقد غلب صاحبها ، والدحو رعى اللاعب بالحجر والجوز وغيره . وسئل ابن المسيب عن الدحو بالحجارة فقال : لا بأس به ، أى المرامة بها ، . فلفظة الدحو وفروعها مستعملة جميعاً فى تحريك يشبه الدرحة كدحو السيل للرمل ودحو اللاعب للجوز والاحجار المدورة وكذلك الموارد السابقة ، وهو دليل على أن هذا المعنى حقيقى لهذا اللفظ لكونه المتبادر منه الى الأفهام والظاهر فيه والأكثر استعمالاً بخلاف المعانى الأخرى ، فيكون تفسير اللفظ به أولى فيتم مطلوبنا من الآية المقدسة ، أعنى تدحرج درة الارض فى الفضاء بحركة مركبة من وضعيّة وانتقالية كالجوز الذى يرميه اللاعب وغيره مما ذكر .

ويعتضد فهم هذا المعنى انه تعالى عقب قوله : (دحاها) بقوله :

(أخرج منها مائها ومرعاها) فان نبوع المياه ونبوغ الاشجار وتغيراتها متفرعة على حركة الارض يومياً وسنوياً الموجبة لانقلاب طبائع السكون واختلاف الفصول والاحوال ، فيناسب وضع اخراج الماء والمرعى بعد وضع تحرك الارض ليوافق الوضع الطبع .

(الآية الثانية) - قوله تعالى : (الذى جعل لكم الارض مهداً) (١)

فان المهد فى العرف واللغة للضجع المعمول للرضيع ونحوه من خشب أو غيره

(١) سورة طه آية ٥٣ وسورة الزخرف آية ١٠ .

حتى يهتز الطفل بنعومة فينام فيه مستريحاً ، فيجوز تشبيهه القرآن أرضنا بهمد الطفل وأن الله تعالى جعل الارض مهداً لعباده ينامون فيها وينامون ، وكما ان المهد ناعم في حركته مع سرعته لا ميلان فيه ولا اضطراب كذلك الارض تتحرك في الفضاء بنعومة وسهولة لا تميل ولا تمسك ، حتى تنافي استراحة أطفالها الرايين فيها بعناية الله تبارك وتعالى . وكما أن تحريك المهد مطلوب لتربية المولود وتنميته كذلك الارض تتحرك يومياً وسنوياً وميلياً لتربية ما عليها من المواليد وتنميتهم ، لا سيما وأن هذه الآية في مقام الاستدلال على جواز البحث والمعاد فيكون رجوع الارض في حركتها الدورية أو الخطرانية الميلية شاهدرجوع الانسان ومعاده بعد وجوده الاول واياه بعد ذهابه . فشارع الاسلام قد نبه الانام بتحريك الارض على أحسن أوجه التشبيه قبل أن يتفطنوا به بعشرة قرون لسكنهم من استبعادهم لذلك كانوا يفسرون المهد بالفرش .

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصحيح مسفر

(الآية الثالثة) قوله تعالى : (وهو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ...) (١) فان الذلول لغة وعرفا يطلق على صنف من الابل يمتاز عن غيره بنعومة الحركة وسرعة السير وسهولة الركوب على مناكبه ، وحيثما كانت هذه الصفات كاملة في الارض بناءً على تحركها وأطلق الشارع اسم الذلول المعروف بهذه الصفات على الارض جاز لنا استظهار تحريك الارض من هذه الآية الشريفة لولا مانع قطعي خارجي .

ولا يذهب عنك أن الآية تعطى بظاهرها معنى آخر ، وهو جعل

الأرض ذلولاً لاستفادة أبنائها ، أى ذليلة ومنقادة للزرع فيها والمشى عليها
لكهما مع ذلك مناسبة مع الرأى الجديد أيضاً ودالة عليه بنحو التشبيه والتجوز
القريب - على ما مضى من التقريب - بحيث لو فرضنا الشارع يدعى ارادة
هذا المعنى الجديد من الآية لما جاز الانكار عليه بقصور الآية عن إظهار هذا
المرام ، لمساعدة الآية مع المعنى الحادث .

(الآية الرابعة) - قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر
السحاب صنع الله الذى أتقن كل شى) (١) لم أجد أحداً أسبق من الفاضل
اعتضاد السلطنة على قلى ابن الخاقان فتجعلى شاه قاجار من حيث التفطن بدلالة
هذه الآية المباركة على المطلوب ، وقد أشار الى ذلك قبل اليوم بأكثر من
خمسین سنة ، ولا يحصى من الشرح فنقول : إن الآيات السابقة على هذه الآية
مسوقة لبيان أهوال القيامة وأحوالها ، وبمناسبة ذلك كان القدماء يقيسون
هذه الآية أيضاً عليها ، ولكن تحريك الأرض إذا صح وتم جاز لنا استظهاره
من هذه الآية وصرافها عن سياق ما سبق عليها (٢) .

ورجح فى النخبة الأزهرية هذا التفسير على تفسير المتقدمين بأن
البلاغة تقتضى عند الاخبار عن الفناء والتدمير وأهوال المصير أن يقول :
« قهر الله الذى يفنى كل شىء ، ونحوه ، ولا يناسب قوله تعالى : (صنع

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) الخبير بأحوال القرآن الكريم يعترف بأنه قد نزل تدريجاً ثم جمع
ودون ، فكانت تنزل آية فى أحوال القيامة ثم تنزل آية أخرى فى شأن شخص
أو حكم ثم تنزل آية فى شأن القيامة أيضاً أو غيرها حسب مناسبة المقامات
واقترناء الحالات ، فلا يتم التمسك بدلالة السياق فى آيات القرآن .

الله الذي أتقن كل شيء) إلا عند التعمير وبدو التكوين وتحسين الحلقة (١)
والجمل الواقعة في الآية أيضاً تشعر بأن الحكم فعلى والصفة ثابتة وليس مما
سيحدث في المستقبل ، مثل (وهي تمر) و (أتقن كل شيء) .

* * *

وقد استفدت من هذه الآية لطائف ، منها :

١ - جعل الجبال مرآة لتحرك الأرض دون نفس الأرض ، فإن
الأرض كرة متحركة على نفسها . وكل كرة متحركة على نفسها لا تظهر
الحركة فيها إلا إذا كان عليها تضاريس أو تلوينات ونقوش ، فتظهر الحركة
حالة تذبذبة واسطة ظهور حركات تلك التضاريس أو الالوان وانتقالها من مكان
الى مكان ، فرعاية لهذه اللطيفة قد يكون الله تعالى جعل الجبال مرآة لتحرك
الأرض ومظهر آله .

٢ - توصيف الجبال بالجمود دون السكون أو الركود ، إذ الجمود قد

(١) ولدى قرأتين أخرى تدل على ذلك :

(منها) قوله تعالى : (تحسبها جامدة) فانها تعطى بظاهرها أن
الانسان يوم القيامة يبصر الجبال جامدة والحالة انها في الواقع تمر مر السحاب
ولاريب أن ذلك لا يحدث فيه هولا حتى تكون من أهوال القيامة . نعم
إنما تحدث هولا إذا كانت تمر مر السحاب في نظره وحسبانته ، فلا يجوز
أن تكون الآية لبيان أهوال القيامة وإنما يجب حملها على الحالة
الحاضرة الدنيوية .

(ومنها) قوله تعالى في آخر الآية : (انه خير بما تفعلون) فإن
الآية لو كانت لبيان أهوال القيامة لناسب أن يقول : د خير بما فعلتم ،
لا بالجملة الحالية المفيدة للتجدد .

يكون أبلغ في المقام وأبعد من احتمال الحركة ، فتشعر الآية بامتناع سير الجبال في زعم العرف كالجماد في محل ، مع انها تمر في الحقيقة مر السحاب .
٣ - التعبير عن هذه الحركة بالمرور ، إذ المفهوم منه نعومة الحركة كما هو شأن حركة الأرض .

٤ - تشبيه الجبال بالسحب في مسيرها المناسبة بينهما من جهة السرعة مع النعومة ، ومن جهة اختلاف الحركات في السحب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كالأرض في حركاتها التي يأتي تفصيلها في آخر هذه المسألة ، ومن جهة تشابه الحركة في كل سحابة واستوائها إذ لا تسير مضطربة ولا بنحو القفز .
(الآية الخامسة) - قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين) (١) وهذه من الآيات التي تفتتت باشعارها بتحريك الأرض وذكر تمام غيرها في غير هذا الكتاب والبيان الموجز هو : ان الاتيان ظاهر لغة وعرفا في الحركة الحسية الانتقالية ، والقدماء إذ لم يجوزوا تحريك الأرض طفقوا يؤلون هذه الظواهر الى غير حقائقها ، ولو صح تحريك الأرض لم يحتاج الى تأويلاتهم وكان موافقة ظاهر اللفظ أولى ، لاسيما بعد البناء على ان السماء الدنيا هي الآتومسفر المحيط بأرضنا كما يثبته قوله تعالى : (وهي دخان) وسأثبته في مسألة حقيقة السماوات وفي مسألة الرجوم ، فان السماء الدنيا مع أرضنا تتحركان معاً في جوف الفضاء بحركات مختلفة وضعية وانتقالية حول الشمس وحول أنجم (هر كول) كالكرة المتدحرجة .

فيكون معنى ظاهر الآية ان الله تعالى توجه الى السماء بنظرة عنائية (وهي دخان) أي بخار ماء (فقال لها وللأرض) بأمر واحد تكويني (اتيا)

أى انتقالاً وتحركاً من حيناً معاً (طوعاً) لنظام هذه الشمس (أو كرهاً) عنها وطوعاً لنظام آخر واتباعاً لجاذبية عالم آخر (قالتنا) بلسان الحال الذى هو أفصح من المقال (أتينا طائعين) لهذا النظام خاضعين لنواميس هذه الجاذبية التى سنها الله تعالى فى هذا العالم .

ولو تأمل الحكيم فى أسرار هذه الآية المقدسة لاطلع على أسرار الأرض فى مبدأ خلقها وأصل تكوين عالم الشمس .

وخلاصة الكلام ان القرآن العظيم مشحون بالآيات الناطقة بالاراء الجديدة لا سيما تحرك الارض ، ولم نجد فيه آية واحدة تدل على سكون الارض فى حين مخصوص بها دلالة تامة .

وما دل على ان الله تعالى جعل الارض سكناً وقراراً لا يدل إلا على انها مسكن لما عليها ومقر لما فيها .

وأما ما دل على جعل الجبال أو تاداً فى الارض فلا يدل على سكون الارض فى مقر بلا سير ولا دوران ، فان الوتد على قسمين : خارجى وداخلى (أما الاول) فهو ما يضرب بغرض أن لا يزول الشئ عن مقره ، مثل وتد الدابة الذى يربطها بمعلفها لئلا يزول عن موضعها ، وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون مركزه ومضربه فى شئ آخر ثابت مستقر غير ما قصد ان لا يزول ، ولا يجوز أن يضرب هذا الوتد فى نفس الشئ قطعاً . ألا ترى ان الدابة لو ربطت وتدها بنفسها لهربت من دون مانع .

(وأما الثانى) ما يضرب بغرض ارتباط أجزاء بعضها ببعض كالإوتاد فى الابواب لبقاء اتصال الاخشاب ومثل الدسر والمسامير فى السفينة لئلا تنفسخ الاجزاء وتنفرد عن وضعها . وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون فى نفس

الشيء لا في الخارج عكس الاول كما هو واضح .

وبعدما عرفت تقسيمى هذا فانظر الى الجبال التي خلقت أو تادأ الأرض هل ركزت في نفس كرة الارض لتكون من الثاني أو ركزت في الخارج لتكون من الاول ؟ لا يرتاب عاقل في كون الجبال أو تادأ داخلية في الأرض خلقت فيها لتربط الأجزاء بعضها ببعض وتحفظ صورة اتصالها عن التفرق والانفصال ولم تخلق فيها لمنعها عن السير والحركة . فلو خلقت لتسكينها في مقر - كما يزعمه القدماء - لركزت في جرم آخر ثابت غير الارض .

وبالتأمل يتضح لك أن الجبال وأصولها والمواد الصخرية إنما خلقت في الأرض لمنع سلطان المياه والارياح عنها ، فانها لو كانت رمالا محضاً لتسفتها الزوابع وجرفتها الأمواج على الدوام واستولى البحر على البر وانسابت رمال الأرض كلها الى البحر ، فأمسك الله تعالى الأرض بمواد الجبال من أن تمور في البحور أو تميد وتنقاد لسلطان الأمواج ، ووتدها بالجلاميد لتصان من التفرق والافتراج والأودوالاعوجاج إذا عبثت بها الزوابع فلا تذهب عجاجا ويختل نظام العيش والسكنى للنبات والحيوان البرى .

فما جاء في شرعنا بكون الجبال أو تادأ الأرض لا يشعر بكون الارض بل يشعر بأنها متحركة خلافاً للقدماء ، وبيانه الموجز : ان الأرض مركز المراكز عند القدماء يستحيل ميلها الى شيء ، فلو كانت ساكنة في الوسط - كما يزعمون - لاستغنت عن الاوتاد مائة كانت الارض أو جامدة ، إذ لا يميل حينئذ جزء منها الى غير مقره فيكون ضرب هذه الأوتاد العظام عبثاً ، ولذلك ترى القدماء كالعلامتين الرازى والمجلسى في اضطراب عظيم هاهنا ، وأما على تحرك الارض فلا بد فيها من صخور وجبال ، إذ لو كانت تراباً محضاً أو طيناً أو نحوه خالية عن المواد الصلبة وعن الجبال الراسية الراسخة في أعماق الارض

المستمسكة بأصولها وأوصالها الخيف على الأرض من التفسخ في الفضاء بالحركات المختلفة على أسرع سير ، إذ هي تسير بسيرها اليومي أكثر من أربعة فراسخ في الدقيقة الواحدة وتسير بسيرها السنوي بأسرع من ذلك في الثانية الواحدة . وعلى هذا إذا استمسك أبعاضها بأصول الصخور وعروق الجبال حفظت من حادث التفرق ولو بنفس تبدل العيز لتلك الاجزاء .

وتد ظهرت فائدة الجبال التي صارت أو تادأ الأرض حال تحركها، وهي حفظ أجزائها من الميلان والميدان (١) كما جاء في القرآن الكريم : (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بك) (٢) أي مخافة أن تضطرب أجزاؤها بكم وأنتم عليها . وفي أول خطبة من نهج البلاغة : « وتد بالصخور ميدان أرضه » وفي الخطبة الاخرى : « وعدل حركاتها » أي الأرض « بالراسيات من جلاميدها » وفي الدر المنثور قال النبي (ص) : « فدحى الله الأرض ، أي حركها » من موضع البيت « الكعبة » فمادت ثم مادت فأوتدها الله بالجبال .

ولو تصفحت أقوال القدماء واضطرابهم في شرح هذه الآيات والروايات لما برحت عن هذا التحقيق .

(١) قال ابن الاثير في النهاية في مادة (ميد) : وفي الحديث : « لما خلق الله الأرض جعلت تميم فأرساها بالجبال ، ماد تميم إذا مال وتحرك ، ومنه حديث ابن عباس : « فدحا الله الأرض من تحتها فمادت » ومنه حديث علي عليه السلام : « فسكنت من الميدان برسوب الجبال » الى ان قال ابن الاثير : ومنه حديث أم حرام : « الماتد في البحر له أجر الشهيد » وهو الذي يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج .

(٢) سورة النحل آية ١٥ .

وأما الأخبار المأثورة عن النبي والائمة من أهل بيته عليهم السلام فهي كثيرة أيضاً تقتصر منها على خمسة :

(الخبر الاول) - ما روى في الاحتجاج والبحار مرسلًا عن هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام انه قال في أجوبته للزنديق : « ان الاشياء تدل على حدودها من دوران الفلك بما فيه وهي سبعة أفلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت ... ، فقوله عليه السلام : « وتحرك الارض ومن عليها ، يعنى البشر وغيره ، وهو تصریح في إثبات حركة مستمرة للأرض كحركة من عليها وكحركة ما في الفلك من حيث الحسية والانتقال بمقتضى قياس السياق ، ولا يحتمل لهذا البيان إلا رأى المتأخرين في تحريك الارض .

وقوله عليه السلام « وتحرك الارض ، يصلح للحمل على حركتها اليومية وعلى حركتها السنوية أيضاً ، ولكن التأمل في ألفاظ الخبر يرجح الحمل على الحركة اليومية ، فان السنوية مفهومة بالاجمال من قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه ، فان الارض أيضاً من جملة ما في الفلك .

وشرح ذلك : ان الفلك عند المتأخرين موافق لظواهر شرعنا المبين كما مر ، أى ليس في الحقيقة لإمدار مفروض لجرم علوى ، فوجوده ودورانه إنما يكون باعتبار الجرم الدائر فيه ، ويكون قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه ، أى باعتبار ما فيه وبواسطة أجرام تدور فيه ، كقولنا : « جرى النهر ، باعتبار جريان الماء في الهر و « تحركت الباخرة ، بواسطة تحريك البخار أو السكر بآه فيها ، و « تحرك المنطاد ، والمتحرك الحقيقي هو غاز فيه وأمثاله واقرة ظاهرة .

ولما كانت السيارات مع الارض سبعة في اعتبار الشرع - كما ساذكره - في مسألة حصر الارضين في سبعة - لذلك قال عليه السلام : « وهي سبعة أفلاك ،

يعني المدارات المفروضة للأرضين السبع السيارة حولنا ومنها أرضنا .
وهذا الخبر المقدس مخالف لهيئة القدماء حيث يقول : « وهي سبعة ،
مع ان الأفلاك العظام كانت عند القدماء تسعة لا سبعة وصغارها اكثر بكثير
فلا تستقيم ظواهر هذا البناء العظيم مع البناء القديم إلا على القول بتحريك
الأرض وانها من جملة السيارات المعتبرة في خطاب الشرع سبعة - كما سيأتي
في المسألة الخامسة وان الأفلاك مدارات لتلك السيارات وتدور باعتبارها .

(نكتة) قال عليه السلام : « وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة
واختلاف الوقت ... ، فذكر عقيب تحرك الأرض انقلاب الأزمنة
واختلاف الوقت لانها من فروع تحرك الأرض يومياً وسنوياً ، فان انقلاب
طبيعة الزمان من الربيع الى الصيف ثم الى الخريف ثم الى الشتاء فرع الحركة
السنية للأرض ، وكذا اختلاف ظواهر الاوقات على قياس الفصول من
الصبح الى الظهر ثم الى العصر ثم الى السحر فرع الحركة اليومية للأرض ،
فتوافق الترتيب الذكرى مع الترتيب السكوني في مقالة هذا الامام العظيم عليه
الصلاة والسلام .

(الخبر الثاني) - ما جاء في كتاب الكافي باب الحج والوافي والبحار
ج ٢١، ١٤ وغيرها مسنداً الى الامام السادس جمفر بن محمد الصادق عليه السلام انه
قال : « ان الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من
منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى ... ، فاني استظهر من هذا الخبر
القدسي ان الله تعالى وجه مقتضى الحركة - كما أذكره في غير هذا الكتاب
أيضاً - وأوجد سببها أولاً في موضع الكعبة من الأرض فدحاها من تحت
الكعبة الى جهة شرقها - أعنى منى - ثم الى شرق منى - أعنى عرفات - وهكذا

من عرفات الى أن عادت بنحو الدوران الى موضع السكبة ومنى فتمت
الدورة اليومية .

وقد ثبت في الآية الأولى من هذه المسألة ان أظهر معاني دحي أو أشهرها
هو الدفع والتحرك بنحو الدحراج . وفي مضمون هذا الخبر الشريف شاهد
على هذا المعنى أيضاً ، وهو ان الدحو فيه لو كان بمعنى البسط لكان تخصيص جهة
منى دون سائر الجهات عبثاً بلا وجه ، فان بسط الأرض على شكل الكرة
لا يختص بجهة . وأما إذا كانت بمعنى التحريك صحبت وجهاً وجيهاً وهو كون
منى في شرقي جهة السكبة المعظمة وكون العرفات في شرقي جهة منى ، فيكون
الوجه في تحريك الأرض الى خصوص جهة منى هو الاشعار بحركتها اليومية
مع بيان جهة الحركة ، فان هذه الحركة من الغرب الى الشرق في الأرض ،
فتنطبق أحسن انطباق على دحو الأرض من موضع السكبة الى شرقيها - أى
موضع منى - ثم دحوها منه الى عرفات ثم دحوها منها راجعة من تحت
السكبة الى جهة منى أيضاً لتكمل الحركة اليومية .

* * *

فان قلت : لو كان الامام عليه السلام في صدد بيان دوران الأرض على نفسها
لاقتضى ان يقول : « ثم دحاها من عرفات الى السكبة » ليتم الدوران بالعود
الى ما ابتدئ منه وهو السكبة ، لا أن يذكر منى في موضع السكبة حتى
يزيد على قدر الدورة المحورية .

قلت : ان التعبير بجهة منى أخيراً لا ينافي انطباقه على السكبة ، ومع ذلك
فان السبب لقوله عليه السلام : « ثم من عرفات الى منى » دون أن يقول الى السكبة
هو إظهار نكتة مهمة خفية ، وهي على ما أظن إشارة الامام عليه السلام الى فضل الحركة
اليومية على الحركة المحورية ، إذ الأرض تتم الدورة اليومية في ٢٤ ساعة تماماً

وتتم الحركة حول نفسها المحورية في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٤٩ ثانية ، فبين الامام (ع) في هذا الخبر حركة الارض اليومية المحصلة للنهار والليل ببيان يفهم منه الحركة المحورية أيضا .

وشرحه مختصراً هو : أن الحركة اليومية مركبة من الحركة المحورية وجزء يسير من الحركة السنوية ، ولما كانت بقاع الارض تتحرك في كل ثانية بالحركة المحورية ٤٥٠ متراً وبالحركة السنوية ثلاثين الف وخمسمائة متر في الثانية وفي الساعة باكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلو متراً (١) لزم اضافة مسافة من الارض على ما اختص منها بالحركة المحورية ، بحيث يوافق سير ذلك الفضل من المسافة ما يفضل من السير المحورى ، واطافة ما بين الكعبة وبين منى واف بالنظر التقريبي لتسوية ذلك ، وأما بالنظر التحقيقى فيقتضى من سعة المقال والمجال ما يخالف مقتضى الحال .

(الخبر الثالث) - ما جاء في العمون وعلل الشرائع ومواضع متعددة من بحار الانوار وارشاد القلوب للديلمى ، وروى أيضا عن كتاب الواحدة والمحضر ومناقب البرسى ونور الثقلين وتفسير البرهان للبحرانى وكتب أخرى بالاسناد الى أمير المؤمنين على (ع) ان شامياً سأله عن مكة المكرمة لم سميت مكة ؟ فقال (ع) : لأن الله مك الارض من تحتها - أى دحاها ، وسياق الخبر الشريف كسياق أخبار دحو الارض من تحت الكعبة .

و (الملك) يأتى فى اللغة لمعان ، منها التحريك بنحو الدرجات ، ففي القاموس : مك بسلحه أى رمى والمككة التدحرج فى المشى - انتهى .

(١) قال الخورى مورو فى كتابه : الارض فى سيرها السنوى حول الشمس تقطع تسعمائة وثلاثين مليون كيلو متراً فى مدة ٣٦٥ يوماً وخمسة ساعات و ٤٨ دقيقة و ٢٦ ثانية .

ويناسب ذلك تدحرج الأرض في الفضاء ، وليس في المعاني المذكورة في الملك ما يناسب سياق اخبار دحو الأرض غير هذا المعنى .

وهذا الخبر من شواهد كون الدحو لغة بمعنى التحريك على طريق الدحراج ، لأن الملك لم يأت في اللغة بمعنى البسط ، وقد فسر الامام (ع) في آخر هذا الخبر لفظ الملك بالدحو ، فيكون ظاهر معنى الدحو والملك التحريك لا البسط .

ولو تصفحت ما ورد في شرعنا في سياق دحو الأرض لوجدته ظاهراً في التحريك أو قابلاً للحمل عليه كقوله تعالى : ﴿ ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ (١) فان البك والملك والدحو والدح ونحوها مستعملات في التحريك الخاص . وبمناسبة ذلك أطلق على موضع البيت هذه الالفاظ ، ففي القاموس أيضاً : البك من يسعى في امور أهله ، والبكباك القصير جداً إذا مشى تدحرج وهذا يناسب تحريك الأرض من موضع البيت متدحرجة في الفضاء كالانترنجة المرمية .

وفي النهاية للحافظ ابن الاثير عن عطاء من تابعي النبي (ص) انه قال : بلغني ان الأرض دحت من تحت السكبة دحاً ، قال ابن الاثير : وهو (أى دحت) مثل دحيت (أى في المعنى) ثم قال : والدح الدفع . وفي القاموس الدح الدفع في القفا ، والدح الدفع العنيف ، والدححة القصير المتمشى ، والدحيدح من يخطىء في لعب المداحي فيقوم على رجل فيجعل سبع مرات . والمقصود ان المعنى المحفوظ مع المشتقات في لغة الدح والدحو والبك والملك يعطى الدفع والتحريك بحركة مناسبة لحركة الأرض ، فيلتزم بذلك ما روى في أبواب دحو الأرض من تحت السكبة .

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(الخبر الرابع) - قال على (ع) بعد توصيفه خلق الارض وجعل الجبال فيها أو تادأها - كما في نهج البلاغة وغيره - : « فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها ، أشار الى هذا الخبر القدسي سيدنا العلامة الرباني محمد حسين الشهرستاني ، ويلزمنا شرحه بأن الضمير في سكنت راجع الى الأرض ، وعلى ههنا بمعنى مع ، ومن متعلقة بسكنت ، والأصل فسكنت الأرض من الميدان مع حركتها ، فيعطى سكون الأرض عن الاضطراب مع تحركها في الفضاء ، كما يقال : « ثبت زيد على خوفه في محاربة عمرو ، أى مع شدة خوفه . فالامام أثبت في كلامه سكون الأرض بالجبال عن الاضطراب والتمايل ، كما صرح به في خطبة أخرى فقال : « فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديما ، .

وهذه المعاني قد حققناها آنفاً ، فلا يريد سكونها عن أصل الحركة ، ولذلك قيد تحركها وقال : « فسكنت على حركتها ، أى مع حركتها ، كما قال (ع) في خطبة أخرى : « وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره ، أى وسكنت الأرض حالكونها مدحوة أى متحركة .

وهذا سبب من يوشح التعبير بفنون البلاغة ، ولو تأملت في أطراف هذا الكلام لاشتد إذعانك بالذى سمعت ، فانه (ع) ذكر خلق الأرض أولاً ثم نصب الجبال فيها لتحفظها عن الاعوجاج وتسكن عن الميدان بأهلها مع كونها سيارة في الفضاء لاستمساك أجزاء الأرض بأصولها وصخورها ، وأيضاً يسان ما عليها من الغوص فيها وابتلاعها إياه بسبب ثقله ومرونتها ، واليه ينظر قوله (ع) : « أو تسيخ بحملها ، ، وأيضاً تحفظ أجزاء الأرض عن التفرق في الفضاء بسبب سرعة تبدل الجيز في سيرها السنوى فتنتثر الى أراض صغار كالتنثار الفليق الى نجميات المشتري - كما سيأتى - أو تولى هائمة

في الفضاء فاقدة لمدار يختص بها ، واليه ينظر قوله (ع) : « أو تزول عن مواضعها ، .

* * *

ولقد توهم البعض في ميد الأرض المتكرر في مقالات الشريعة فقال : انه اشارة الى اضطراب في مبدأ تكويناها حال كونها مائة مائة .
والظاهر لي من هذا الكلام هو ميدها في كل آن لولا الصخور والجبال ألا ترى قوله (ع) : « من أن تميد بأهلها ، فعندما كان لها أهل وسكان سكنت بالجبال عن الميدان ، والأرض في مبدأ خلقها لم يكن لها أهل قطعا وما كانت غير عناصر مائة ، وهلا سمعت القرآن الكريم يتلو عليك : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ ، والضمير في بكم يشير إلى من في عصر النبي (ص) وإلى من بعدهم ، فيكون هذا التحرك غير تحركها في بدء التكوين حين كانت مائة مائة .

* * *

(نكتة) يظهر لي من قوله (ع) : « أو تزول عن مواضعها ، تأكيد المطلوب ، أعني تحرك الأرض في مدار مخصوص ، فان الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تخصي لسكنها جميعا في مدار معين بأزاء البروج الاثني عشر ، فيتم على هذا تفسير قوله (ع) : « على حركتها ، بحركة الأرض السنوية وان الجبال وعروقها هي الحافظة لهيئة أجزاء الأرض المانعة من تفرقها واضطرابها وزوالها عن مواضعها المخصوصة في فلكها المخصوص ، وأما على القول بالسكون - كما عليه المتقدمون - فلا يتم هذا الكلام الكامل ، إذ الجسم لا يكون ذا مواضع إلا بتحركه الانتقال والساكن ذو موضع واحد وعلى هذا لا يكون غرس الجبال في الأرض مانعا من زوالها عن

مواضعها التي رتبها الله تعالى فيها - كما هو مرى الكلام - بل يكون غرس الجبال مانعاً عند هؤلاء من أصل تحركها وكونها ذات مواضع لا من زوالها عن مواضعها الممهدة كما يعطيه ظاهر القول - فتدبر .

(الخبر الخامس) - قال على (ع) أيضا في خطبة مروية في نهج البلاغة وغيره بعد توصيف الارض: «وعدل حركاتها بالراسيات من جلايدها» فانه يجوز أن يفسر بأن الجبال الراسية والصخور الجلاييد هي التي منعت اضطراب أجزاء الارض عند عروض الحركات المختلفة عليها واقضت تعديل تلك الحركات المتخالفة المسببة عن اختلاف جهات الجذب والدفع .

(تتممة)

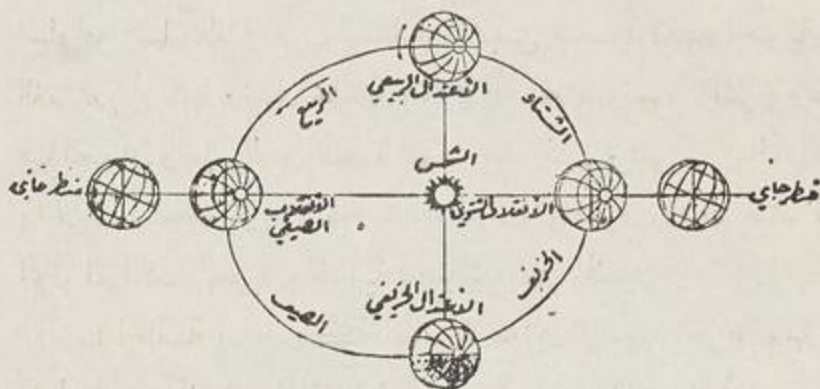
(في عدد حركات الارض)

ان حركات الارض عند حكام عصرنا خمس حركات مختلفة وهي المشهورة، وحكى (فيلسوف ورنه) عنهم أحد عشر حركة، وجاء في المقتطف عدد سبتمبر سنة ١٩٠١ ص ٨٦٣ انها اثنتى عشرة حركة، وذكر الفلكي الفرنسي (كامبل فلوريون) أربعة عشر حركة، ونحن ننتخب من كتبهم حركات ثمانية ونذكرها تفصيلا هنا :

(الاولى) - الحركة المحورية على منطقة الاستواء وهي في حيزها وموضعها، ولذلك تسمى بـ (الحركة الوضعية) أو (الحركة الاستوائية) ويتم دورها في ٢٣ ساعة و ٥٨ دقيقة و ٤٩ ثانية، ويحصل من هذه الحركة الليل والنهار، وتتولد من تركيب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدم، فيتم الدور في ٢٤ ساعة .

(الثانية) - الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج في دائرة بيضوية ، ويتم دورها في ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات و ٨ دقائق و ٣٨ ثانية وبها تحصل الأشهر الفرسية والرومية والنجومية ونحوها ، وتتولد الحركة الميلية من هذه بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج ٢٣ درجة ونصف تقريباً . وهذه الحركة غير مستقلة وبها نرى للشمس في كل سنة كراً من الشمال الى نقطة الجنوب ثم رجوعها منها الى نقطة الشمال ، وسنذكرها في مسألة مركزية الشمس .

(الثالثة) - الحركة الاقبالية ، أي اقبال دائرة البروج الى دائرة الامتواء في كل ٦٧٠ عام درجة واحدة ، وهذه الحركة محصورة في زاوية ثلاث درجات حسب استكشاف المتأخرين ، كالحركة الارتعاشية بين كرة وفرة مثل الحركة الميلية ولا تكمل دورة مستديرة ، ولا ترتقب زماناً تنطبق فيه احدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك ، وبه فسر بعضهم قيامة الدنيا .



(ش ٥) الأرض في الحركة السنوية حول مركز الشمس

(الرابعة) - حركة نقطتي الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج في كل ٢٠٩٣١ سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشتري وزهرة مع الأرض ، وبذلك تتغير أزمانه الفصول في سنة ٦٤٨ كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفي فكانت أيام الصيف مساوية لأيام الربيع . وبهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس في نقطة الحضيض ثلاثمائة ألف فرسخ بالنسبة إلى أوجها ، فتزداد قوة جاذبية الشمس في الأرض قدر الخمس مما كان لها قبل اذ . ومن آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض في فلجها كل يوم واحد وستين دقيقة ، مع انها تتحرك في أوجها كل يوم سبعة وخمسين دقيقة من فلجها .

ومن آثارها أيضاً ارتفاع السائلات المنبسطة على وجه الأرض كياه البحار المحيطة وتراكمها نحو أقرب نقاط الأرض إلى الشمس حال اذ ، فنحن الآن نرى المياه متراكمة في النواحي الجنوبية من عرض اربعين درجة ، بحيث توجد ثمة بقاع تلبع بهضاح متسعة كالأقطار الشمالية ، لكن الأمر منعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض إلى شمالنا فتتجه المياه نحو الشمال طالبة أقرب النقاط إلى الشمس ، فتحسر الاقطار الجنوبية قناع الغمر عن أوجها وتبدى محاسنها وما أودع الله فيها لنوع البشر ، ويصبح فيها العمران والعلم والمدن تدعونا نحوها مبشرات ، ويمسى في شمالنا الفرق والحراب والعطالة تزجرنا بالخروج منذرات ، فتعرف الأمم عند ذلك اثمان المراكب البحرية والهوائية ، ويومئذ ينجو المخفون .

(الخامسة) - حركة تقديم الاعتدالين الربيعي والخريفي وبها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج في كل ٢٦ ألف سنة شمسية مرة . وكان القدماء يظنون ان الثوابت بأسرها مركوزة في ثخن فلك يدور دورة في

تلك المدة (١) .

(السادسة) - الحركة الرقصية أو الارتعاش القمرى وهى التى تعرض على محورى الارض فتميل بذلك الى دائرة البروج فى كل ٢٩ سنة مرة . اكتشفها الفيلسوفى (برادله) سنة ١٨٤٤ م ومنشأها تأثير الجاذبيتين من الشمس والقمر فى أرضنا مع تسطحها القطبى وتفرطحها الاستوائى . وينتقل محور الارض بهذه الحركة فى دورة عقدتى القمر بمقدار ١٨ درجة وكسر الى الجنوب والشمال .
(السابعة) - الارتعاش الشمسى . قال فى حدائق النجوم ما معناه: ان الارض يرتعش محورها (أى يرتعش من طرف قطبيها) بجاذبية الشمس وتتم فى سنة شمسية وعايتها دقيقة من الفلك .

(الثامنة) - الحركة التبعية ، وهى سير الارض كباقي السيارات بتبعية الشمس فى الفضاء المهول حول مركز مجهول . وسأشرحها فى مسألة مركزية الشمس .
ولعمري ان شرعنا الاقدس مشحون بمقالات ضافية تشعر بتحرك الارض ونشير الى بعضها فى طى هذا الكتاب ونذر الباقي لمن ينحو مسلكنا المقدس ويعرف منزلة هذه الشريعة العظمى ، ويفى معشار حقها بعد عرفان مبانها ونيل حقايقها ومعانيها .

(١) جاء فى الجامع البهادرى ص ٤٧٩ ان القدماء ظنوا ثبوت البروج ثم تحقق تحركها ، وتحولت البروج من مواقعها الاصلية وبقى الاسم على غير مسماه الاصلى ، وحسب قياسنا اليوم قد تحولت البروج من مواقعها الاولية اليونانية الى ٢١ درجة و١٢ ثانية .

أقول : قد أشار الى هذا السر على ^{بني} في الحديث المشهور عنه : «بني الهرمان والنسر فى السرطان ، ولو تأملنا فى المسألة لكنت احدى براهين حركة الارض ، لان اسناد مثل هذه الحركة الى الارض أصح منه الى ثوابت لا تحصى

« المسألة الرابعة »

(في تعدد الارضين ونفي انفرادها)

قد تحقق عند الفلاسفة المتأخرين عن الالف الهجري ان كرة الارض غير منحصرة بهذه الارض التي نحن عليها ، بل لربنا تعالى اراض وافرة تسبح في فسحة الفضاء كأرضنا هذه في رمالها وصخورها وجبالها وبحورها وسائر أمورها ، فهل نطق الشريعة الاسلامية - على مبالغها الصلاة والسلام - بهذا الرأي ، أو حكمت كالقدماء بانفرادها ، أو سكنت عن كلا المذهبين ؟

(الجواب)

ان القدماء - على ما وصلنا من أخبارهم - لم يذكروا تعدد الارضين حتى من اختار منهم تحرك الارض ، ولا كثير فلاسفتهم أدلة على استحالة وجود أرض في الفضاء منفصلة عن هذه الارض . وعمدة ما أغرام على ذلك فتوى الحواسب بانتفاء وجود أرض أخرى ، وكانوا يعتقدون ان النجوم السيارة والثوابت أجرام من جنس جوهر الفلك ليس فيها شيء مما في أرضنا ولا عليها ما على هذه العنصریات والحوادث - كما هو مشروح في كتبهم .

نعم نقل الشيخ الرئيس ابن سينا في الشفا القول بكثرة الارضين عن حكماء الفرس المتقدمين ، ونقل الشاعر الكامل أبو محمد الشهير بالنظامي المتوفى سنة ٥٧٠ عن قدمائهم ما ينطبق تمام الانطباق على الرأي الحديث وترتيبنا المستفاد من ظاهر الاحاديث ، إذ قال بالفارسية :

شنيديستم كه هر كوكب جهانيست جدا گانه زمين واسما نيست
ولسكن الغريبين في حدود الالف الهجرى رفضوا آراء القدماء ، إذ
تفنتوا في اختراع النظارات المسكبرة (ميكروسكوب) والمقربة (تليسكوب)
بتمهيدات الفيلسوف غاليله المتوفى سنة ١٦٤٢ م ومن بعده وكذلك باقى
الادوات الفاضلة والآلات الدقيقة الكاملة ببذل الامراء المربين والاغنياء
المرغبين أعز الاموال والمهجم ، وصرف الاذكياء أفضل الهمم والاعمار في هذا
النهج حتى وصلوا من بعد ذلك كله الى أوج الكمالات والعلوم ، واستخرجوا نفايس
الحقائق ، لا سيما في فن النجوم فكشفوا الغطاء عن أمور قصرت عنها أيدي
القدماء لضعف أسبابهم لا لتهاون منهم أو تقصير .. حاشا وكلا .

كيف يكون ذلك ؟ وقد هزموا جيش الجمل بلا سلاح وغلّبوا على
مدائن العلوم ، ففتحو أبواب حقائقها بلا مفتاح وكشفوا دقائقها وأسرارها
على أحسن ما يرام .

والغرض ان المتأخرين قد اعتقدوا بمقتضى فتاوى حواسمهم المسلحة
بأكل النظارات ان النجوم السيارة بأسرها أراض مستقلة كأرضنا هذه ذات
وهاد ورواسى وخلق وعمران وماء وهواء وبحار وغير ذلك .

أقول : لو صح ما ذكره كان اطلاق اسم الارض صحيحاً على كل سيارة
كذلك ، وقد قال أهل اللغة : كلما ترضه الاقدام أرض . ونرى عند ذلك كل
صفة نعتقدمدخليتها في تسمية الارض أرضاً ثابتة لتلك السيارات من تضمها للجبال
والقفار والمياه والهواء والبخار والغيوم والامطار والفصول والاقار والميول
والمدار والليل والنهار والسكان والديار وغيرها مما في أرضنا كما سيأتى ، مثلها
لو التصق بأرضنا كرة أرض أخرى مثلها في كل صفة وفيها خلق يمشون عليها
فهل تستعمل في اطلاق اسم الارض عليها ؟ كلا .. وهكذا حال السيارات ان

صح ما حكته النظارات .

ولا تنتظر في تصديقك لذلك أدلة القدماء على وجوب انفراد الارض فان المتأمل في مداركها يجدها اقتناعية كسراب بقیعة يحسبه الظمان ماءً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

وأما الشريعة الاسلامية فقد صرحت بتعدد الارضين وذكرت لنا ما فيها وما عليها بلا معونة آلة أو أدوات في قرون طويلة قبل اختراع النظارات ، حيث لم يكن على وجه الارض من هذه المستحدثات شبح ولا اسم فضلاً عن المسمى ، لكن الاسف كله على ان المحدثين القدماء استوحشوا من ظواهر تلك الاخبار - كما قدمنا بيانه - فلم يصل اليها بما أهملوه غير القليل ، وحيث كان هذا القدر القليل غير مشفوع ببرهان لم يركن العلماء الى ظواهره وحسبوه من الظواهر اللازم تأويلها وصرف ظهورها الى معلوماتهم في ذلك العصر .
وها أنا الآن أتلو عليك جملة من مقالات شرعنا حسبها تفتنت به وظفرت عليه . واسأل الله تعالى العون والتوفيق .

المقالة الاولى

قال الله تعالى: ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلن ﴾ (١)
أى مثلن في العدد وان الارضين سبع ، أجمع على هذا التفسير كل المفسرين والحفاظ قديماً وحديثاً حتى صاروا جميعاً يذكرون أخبار تعدد الارضين وتكثر هذه العوالم في تفسير هذه الآية المباركة .

ويظهر من كلمة ﴿ مثلن ﴾ عموم التشبيه في العدد وفي الترتيب ، فكما ان السماوات السبع بعضها فوق بعض ينبغي أن تكون الارضين السبع أيضاً

(١) سورة الطلاق آية ١٢ .

بعضها فوق بعض ، كما سنذكر الروايات الصريحة في ذلك في المسألة السابعة .
قال أبو السعود بن محمد العمري من فضلاء المائة التاسعة : ان الجمهور على
انها سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء
والارض ... الخ .

أقول : ولا يخفى حسن انطباق هذا التفسير المنقول من الجمهور على
أراضي السيارات السبعة المبصرة المتباعدة واحدها عن الاخرى كثيراً
وسأذكر الاخبار المنامية لهذا الترتيب في مسألة ترتيب السماوات ، فراجع
أواخر تلك المسألة تجد اختياراً متواترة السند صريحة فيما ذكروا في أن ما بين
أرض وأرض مسافة كمسيرة خمسمائة عام . وأنت لو فرضت دابة تسير فرسخاً
اسلامياً في كل ساعة - كما هو الشائع من صدر الاسلام الى يومنا هذا - لكان
مجموع هذا السير يزيد على ستة عشر مليون ميلاً ، فيقرب هذا التحديد جداً
من تحديدات المتأخرين في المسافات الفاصلة بين الارضين ، ولا يتجه أبداً
هذا التحديد على مبانى القدماء .

المقالة الثانية

روى جماعة عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) انه أجاب من
سأله عن ترتيب السماوات السبع والارضين السبع فقال : هذه الارض
الدنيا والسما الدنيا فوقها قبة ، والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء
الثانية فوقها قبة ، والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها
قبة ... ، وسأذكر هذا الخبر بتمامه في مسألة ترتيب الارضين والسماوات ،
واشرحه سنداً ومنتأ مع شواهده القوية وأطبقه على النظام الجديد .
ولعمرك انه نبأ عظيم وحجة ساطعة لمن خالفنا في الدين والمذهب ،

فأرسل إليه النظر السليم ليهديك الى الحق القويم .

المقالة الثالثة

ما تواتر في كتب الادعية والابخار عن النبي (ص) وأوصيائه المعصومين (ع) : « اللهم رب السماوات السبع ورب الارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم ، ويظهر من قولهم : « وما بينهن » انها منفصلات غير متصلات ، فلا يصح توجيه ذلك الى ارادة الاقاليم السبعة مع ان تقسيم الارض الى سبعة أقاليم اعتبارى وليس بحقيقى ، وتلك السبعة أيضاً غير مختصة بالنصف الشمالى من الارض ، بل يفرض مثلها فى النصف الجنوبى أيضاً ، فيتجاوز المجموع عدد العشرة .

وفى حدائق النجوم أن الحكيم (ركيولوس) قسم الارض سنة ١١٠٠ الى عشرين اقليماً جنوبياً وعشرين اقليماً شمالياً .

المقالة الرابعة

فى البحار وتفسير القمى وكتاب الخرائج للحافظ الراوندى قطب الدين سعيد من علمائنا فى القرن السادس مسنداً عن النبي (ص) انه قال فى حديث توصيف معراجه : « وكشطت لى عن السماوات السبع والارضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها » (١) والكشط فى اللغة

(١) ذكر فى بصائر الدرجات ج ٢ سبعة أحاديث بأسانيد مختلفة كلها بهذا المضمون ، وجاء فى بعضها لفظ (كشفت) بالفاء عوضاً عن (كشطت) بالطاء .

كشفت الغطاء ولفه ، فيعطى ظاهره ان الرؤية منه (ص) كانت برفع الحجب والاستار الحاجزة عن الابصار .

المقالة الخامسة

قال علي (ع) في خطبته المروية في كتاب نهج البلاغة وغيره : الحمد لله الذي لا يوارى عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، فانها كما تدل بظاهاها على تعدد السماوات تدل ايضاً على تعدد الارضين .

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الفقرة من شرح نهج البلاغة : هذا الكلام يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السماوات كذلك ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا إلا قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ وهو قول كثير من المسلمين ، وقد تأول ذلك ارباب المذاهب الآخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا انها سبعة اقانيم ...

وقال بعد هذا بقليل : وهذا الكلام على غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التي تقتضي أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة ، وانها ليست طباقاً متراسة بل بينها خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره ، واتباع هذا القول واعتقاده أولى .

أقول : وهذه التصريحات من محقق آثارنا الاسلامية شواهد واضحة على صحة جملة ما أشرنا اليه فيما سبق أو ما سيلحق .

المقالة السادسة

في البحار وجامع الاخبار والانوار النعمانية عن النبي (ص) انه

سئل عن قاف وما خلفه؟ قال (ص) : « سبعون أرضاً من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعون أرضاً من مسك وسبعون أرضاً سكانها الملائكة ، لا يكون فيها حر ولا برد وطول كل أرض مسيرة عشرة آلاف سنة ، .
أقول : عدد السبعين كالاربعين والالاف يؤتى به في العرف كناية عن كثرة المعدود بطريق المبالغة وليس للتعين كباقي ألفاظ العدد .
ولنشرح المعضلات من هذا الخبر :

اما (قاف) فقد وردت فيه اخبار غريبة المضامين وتخير في جمعها الاساطين ، لسكنها عندى منطبقة على مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم لأنه المحيط بالأرض كنطاق دائرة أفقية . وقد استفاض عن الحجج ان جبل قاف محيط بالأرض .

ولأن لون السطح الظاهر من هذا الظل اخضر بسبب اختلاط النور والظلام على سطحه ، وقد استفاض أيضاً عن الحجج (ع) ان جبل قاف كالزمرد او الزبرجد الأخضر وان خضرة السماء منه أى من جنسه ومن قبيله ، فان لون السماء أيضاً أخضر وخضرتها حاصلة أيضاً من اختلاط الضياء المنعكس عن الأرض مع الظلام الحالك في بطن الجو .

ولأنه أمر غير مختص بأرضنا بل هو ثابت للأراضى السيارة السبعة كلها ، كما سيصرح خبر ابن عباس بذلك .

ولأن بعض الاخبار ناطق بأنه محيط بالخلاتق ، وبعضها ناطق بأنه خلف أرضنا ، فعلى ما فسرناه لا يكون تناف بين المعنيين .

ولأن ظل الأرض يحيط بنا ليلاً ويكون خلف أرضنا نهاراً وهو محيط بالخلاتق دائماً .

ولأن الطول والعرض من هذا الظل يقرب من ثلاثمائة فرسخ ، كما

ورد في الخبر : « ان طول قاف وعرضه مسيرة الف سنة وان سماء الدنيا كنفها عليه ، أى طرفها . وقد شرحت أخبار جبل قاف في رسالة مستقلة وحققت انطباقها على ظل الأرض تحقيقاً كاملاً حسب الآراء السديدة والكشفيات الجديدة ، فلا داعى للاطناب ههنا .

وأما قوله (ص) : « سبعون أرضاً ، فالأولى في شرحه ان هذه الأراضى الوافرة إما ان يراد بها السيارات الخارجة عن نظام شمسنا ، كما سيأتى ان من وار شمسنا هذه شمساً عظيمة كثيرة وحولها سيارات كثيرة لاتحصى وهى لسكانها أراضى ذات وهاد ورواسى .. وإما ان يراد بها السيارات الداخلة في نظام شمسنا ، فيكون قوله سبعون أرضاً : « سبعون أرضاً ، إشارة إلى النجيمات الصغار التى استكشفت بعد سنة ١٢١٥ ، فانها أيضاً اراضى سيارة حول شمسنا لكنها اصغر من أرضنا بكثير ، ويقرب عددها أيضاً بما فى الخبر اذ المستكشف منها حتى الآن بين الثلاثمائة والأربعمائة ومداراتها متوسطة بين المشترى والمريخ ، فتكون بعد مريخ هى أقرب الاراضى الى أرضنا من سمت خلفها ، إذ الأنسب باسم الوجه من جرم أرضنا هو النصف المواجه لجرم الشمس ، فيكون سمتها خلف المريخ والمشرى ، فيناسب قوله سبعون أرضاً « ان خلف قاف ، أى خلف ظل الأرض كما تقدم كذا وكذا أراضى .

انظر الشكل الثانى (النظام الشمسى الكوبرنيكى) المطبوع ص ٦٣ يتضح لك جلياً ما قلناه .

وأما قوله سبعون أرضاً : « من ذهب ، أو من فضة ، أو نحو ذلك فلاسيل لنا الى نقضه لجهلنا بحقائق النجيمات ، ولعل الغالب على أجزاء بعضها عنصر

الذهب أو الفضة ، مع انه يحتمل أن يكون معنى قوله : « من ذهب ، أى من قبيل الذهب ومن جنسه وهذا الاستعمال شائع في العرف والشرع كقوله تعالى : (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) (١) وقوله تعالى : (وجعل منها زوجها) (٢) كما انه يقال : ، الزنجي من سائر بني آدم ، أى من قبيل باقى البشر ، ويراد بذلك تمام المشابهة في اللون أو الخاصية أو الطبيعة أو نحوها .

* * *

وأما بيان الاعتدال بقوله بقره : « لا يكون فيها حر ولا برد ، فهو أيضاً منطبق على حال النجيمات ، لأن سلطان حرارة الشمس عند قرصها ثم تأخذ في النقص والضعف حتى تنعدم في محدد النظام الشمسى - أعنى خلف فلك نبتون - والبرودة بالعكس ، أى سلطانها من خلف نبتون ثم تشرع في النقص حتى تنعدم عند قرص الشمس .

فاذا كان ما بين المريخ والمشتري هو المحل الأوسط في النظام الشمسى كان الحر والبرد فيه متعادلين تقريباً ، بحيث يصدق عليه انه لا حر ولا برد فيه ، أى لا قوة للحرارة ولا للبرودة هناك ، إذ الظاهر من الحر شدة السخونة ومن البرد شدة ضدها ، وقد علمت انه لا شدة لأحدهما بين المريخ والمشتري ، وهو موضع النجيمات .

* * *

وأما قوله بقره : « طول كل أرض عشر الف سنة ، فاذا كان بضم العين والشين - كما روى - فاحتمل ان الطول فيها كناية عن مسافة سطوحها ويكون عشر الألف مائة سنة ، فلا ينافى المقادير المستنبطة للنجيمات ، ولا

(١) سورة النحل آية ٧٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٩ .

سيما ان الميزان في المسير الوارد في الاخبار مجهول . وان كان بفتح العين والشين فمحتمل أن يراد من طولها طول مداراتها وباعتبار أفلاكها حول الشمس ، وان طول المسافة من كل أرض اليها عشرة آلاف سنة ، فستدل بذلك أيضا على تقارب أفلاكها جداً وان بعدت عنا - كما عليه المتأخرون - بحيث لو مدت الاسلاك بدل تلك الأفلاك لخيف عليها من الاشتباك .

المقالة السابعة

في الدر المنثور عن صاحب النبي (ص) ابن عباس انه قال : « سيد السموات السماء التي فيها العرش ، وسيد الأرضين الأرض التي أتم عليها ، وكلمة (في) ههنا بمعنى على كما في قوله تعالى : (لأصلبكم في جذوع النخل) (١) أي على جذوعها ، ودلالتها على تعدد الأرضين واضحة .

المقالة الثامنة

في البحار وثواب الاعمال بالسند القوي الى الامام الباقر محمد بن علي عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل فوض الامر الى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء ... »

المقالة التاسعة

روى في البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال

(١) سورة طه آية ٧١ .

له (ق) السماء الدنيا مترفرة عليها ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عدت سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة اجبل .

أقول : وظاهر هذا الخبر يعطى وجود سبعة ارضين منفصلات وسبعة ابحر وسبعة جبال قواف ، بين كل أرض وأرض أخرى جبل قاف وبحر محيط وهذا مما لا يستقيم إلا على الآراء الجديدة ، ولا أعلم أحداً استنبط العيون الصافية من هذه الرواية وأمثالها غيرى - والله المنة وله الحمد والشكر . فالمقصود من الارضين اجرام السيارات وقد مر تصحيحه ، كما ان المقصود من جبل قاف مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم وقد سبق تحقيقه .

ويتأيد ذلك التحقيق أيضاً بما فى هذا الخبر من تعدد الجبال القوافى ، وان من وراء كل أرض جبل قاف ، فان لكل من السيارات - كعطارد وغيره - مخروط ظل طويل وهيكل اخضر مهيل يحدث فيها استتار الشمس خلف نصف منها دائماً ، كما هو شأن أرضنا بعينه .

* * *

بقى الكلام فى البحار السبعة الفاصلة بين الارضين ، وذلك يستدعى تمهيد أمر ، وهو :

ان الفضاء المحيط بمركز الشمس حتى يفتهى الى فلك نبتون يمثل عند المتأخرين من مادة لطيفة سيالة مرنة تسمى (اتر) بالتاء والراء المهملة ، وهذا الفضاء الممتلىء يتحصص بملاحظة مدارات السيارات ومعابرها الى سبع أو تسع حصص ، فالمتوسط بين فلك عطارد وفلك الزهرة حصه بيضية الشكل وكذا المتوسط بين الزهرة وفلك الارض ، وهكذا الى تسع حصص

إذا اعتبرنا جميع الاراضى السيارة ، أو سبع إذا اعتبرنا خصوص السيارات المبصرة ، وسيأتى تحقيق ذلك فى مسألة حصر الارضين فى السبع .
 وإذا امتازت لديك الحصص السبع ولو بالاعتبار قلت : فأى مانع يمنع اطلاق لفظ البحر على هذه المجارى المتخصصة المتوسطة بين أفلاك السيارات ، وخصوصاً إذا وجدت المناسبة والمشابهة التامة بين البحار وبين هذه المجارى من وجوه متعددة :

(منها) ان الجوهر الممتلىء منه البحر سيال مرن شفاف لطيف - وأعى به الماء - وكذلك الجوهر الممتلىء منه المجارى المتوسطة كما سبق ، بل نجد هذا الجوهر أشد من الماء سيلاً ومرونة ولطافة بمراتب كثيرة .

(ومنها) كثرة التموج والحركة فى المائع المالىء للبحر ، وكذلك سيال اتر اذ هو فى غاية الاهتزاز والتموج والحركة الدائمة على المذهبين فى حقيقة النور ، أعنى مذهب الحكيم نيوتون واتباعه بأن النور مادة لطيفة مؤلفة من ذرات دقيقة جداً تنتشر من المنير فى الجهات على خطوط مستقيمة بسرعة عظيمة ، أى فى كل ثانية ١٩٢٠٠٠ ميل على رأى الحكيم دومر الدينمركى أو ١٢٩٩٩٠٠ متر على حسب تجارب عصرنا . والمذهب الآخر للحكيم (هو بجنس) وجمهور من تأخر عنه انه حاسية يوجد لها نقر مادة اتر (الأثير) المائلة للفضاء على عصب البصر .

فالتفق عليه فى المذهبين معا ان الفضاء ممتلئ من مادة سيالة شفافة نورية مواجهة متحركة بسرعة كذا آلاف ميل فى الثانية . وهذا هو عين ما نقصده فانه يحصل منه المشابهة الظاهرة بين البحار وبين المجارى المتوسطة .

(ومنها) ان السكرات السيارة لا بد لسكل منها من ظل طويل مهيل يحدث خلفه بسبب مواجهة الشمس مع نصف منها ، فيكون كل من السيارات

الكبار والصغار شبيهاً بسمكة طويلة رأسها جرم الكرة البيضوية والبدن ظلها المخروطي المستطيل المشبك ظواهر سطحه باختلاط الضياء والظلام كما مضى في شكل (٤) .

ولنا في هذا المقام شرح في مسألة الفلك أيضاً ، فلا يخال الانسان إذا صادف هذه الاشباح في الفضاء إلا انها صور حيطان عظيمة تسبح سبحاً سريعاً ، وربما كان ذلك معنى ما ورد في الشريعة من خلق الأرض على الحوت ، أى على شكل الحوت من هذه الجهة ، حيث ان جرم الأرض يتبعه ظل مخروطي على شكل الحوت ، فاذا ظهر التشابه بين سيارات الفضاء وبين حيطان البحار قويت المشابهة بين الحصص الفضائية وبين البحار أيضاً . ولعل اعتبار هذه النكتة دعى إلى التعبير عن سير النجوم بالسباحة في شرعنا المقدس كما قال تعالى : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التي تسبح في الفلك ، (ومنها) زيادة الطول العظيم في هذه المجارى المتوسطة على عرضها وعمقها بسبب استدارة مداراتها الاهليلجية ، كما نجد نظير ذلك في البحار الارضية .

* * *

إذا صح وساغ اطلاق اسم البحار على المجارى المتوسطة بهذه الوجوه وأمثالها فاستمع لما تلوه عليك من الشواهد الشرعية التي تشير الى ان المراد من البحار السماوية المذكورة في الشرع الاقدس هو تلك المجارى المتوسطة بين المدارات :

(الشاهد الاول) - في الكافي ومن لا يحضره الفقيه وتفسير القمي

(١) سورة يس آية ٤٠ .

بالاسناد القوي الى الامام الرابع على بن الحسين - عليهما السلام - انه قال :
 « ان من آيات الله التي قدرها للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين
 السماء والارض وان الله قدر فيه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب... »
 (الشاهد الثاني) - ما ورد في روايات متعددة « ان في السماوات بحاراً
 من نور يتلألاً أنوارها ، وقد ذكرنا امتلاء الفضاء المتوسط بين المدارات من
 المادة النورية الشمسية ، فأى نور أقوى منها في النظر ؟ ولا ريب في ان انطباق
 هذا المضمون على ما ذكرناه أنسب من غيره .

(الشاهد الثالث) - روى الحكيم الألهى الشهير المولى صدر الدين
 الشيرازى المتوفى سنة ١٠٥٠ في كتاب المبدأ والمعاد عن كعب انه قال : « خلق
 الله تعالى سبعة أبحر بحر اسمه قيس من ورائه بحر اسمه الاصم ، الى أن عد
 سبعة أبحر وسماها ثم قال : « ومن ورائه بحر اسمه الباكى وهو آخر البحار
 ومحيط بالكل ، وكل واحد من هذه البحار محيظ بالذى تقدمه ، .

وفي هذا الخبر وان لم نجد تصريحاً بأن هذه البحار في الارض أو في
 السماء إلا ان العلم بانتفائها في الارض - بعد تسليم النقل - مرجح كونها في
 السماوات ، فينطبق على ما أيدناه من جهة احاطة كل بحر بسابقه حتى ينتهى
 الى البحر المحيط بالكل ، كما هو ترتيب مجارى السيارات .

(الشاهد الرابع) - تحديد أعماق هذه البحار بمسيرة خمسمائة سنة كما
 في رواية التوحيد للصدوق والبحار للمجلسي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : « ان في
 السماوات السبعة بحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام ، وسيتلى غيرها أيضا .
 وقد وردت هذه المسافة بعينها في تحديد ما بين الارضين السبع وكذلك في
 تحديد ما بين السماوات السبع كما سيأتى .

فينتج الجمع بين هذه الاخبار ان البحار هي المجارى المتوسطة بين السيارات

والرجوع الى رسالة (جبل قاف) نافع كثيراً لهذا المقام .

* * *

ثم من بعد ما سقته اليك لا يصعب عليك تطبيق هذه المقالة المعنونة على النظام الجديد ، فقوله : « ان الله تعالى خلق من وراء أرضنا بحراً محيطاً بها ، يعنى المجرى المتوسط بين أرضنا وأرض زهرة أو أرض مريخ » ثم خلق من وراء ذلك ، يعنى من بعده « جبلاً ، يعنى هيكلاً مخروطياً أشبه الأشياء بالجبل العظيم وهو ظل الأرض .

قوله : « يقال له ق » يعنى قد اشتهر وصفه بين أولى الامر بأن قاف لنور سطح الأرض ، من قفا يقفو ، ومعناه اتباع الآثار وظل الأرض أيضاً تابع فى مسيره لسير نور الشمس الساطع على وجه الأرض المتحرك الذائب دائماً قوله : « السماء الدنيا ، وهى عند المتقدمين فلك القمر وعندنا ما سنذكره فى مسألة ترتيب السماوات « مترفرة عليه ، أى منبسطة عليه كأنبساط الطير المترفر على الهواء .

ومعلوم أنبساط السماء الدنيا فى كلا القولين على مخروط ظل الأرض الملقب بجبل قاف ، وقد ورد فى حديث آخر : « ان قاف جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفها السماء ، أى طرفا السماء . ولا ريب فى أن قوساً نوعياً من فلك القمر طرفاه على مخروط ظل الأرض دائماً ، وهو القوس الذى ينخسف فيه قرص القمر عند استقراره فيه .

* * *

(تبيينه) جميع قضايا هذه الرواية غائصة لترتيبنا فى فهم الهيئة الشرعية ومنطبقة عليه كما يظهر لمن تدبر وانصف ، إلا قضية واحدة وهى قوله : « ثم خلق من وراء ذلك الجبل ، يعنى مخروط ظل أرضنا مثل تلك الأرض

سبع مرات ، فان ظاهر الكلام يوحي الى كرة زهرة لو جعلنا أرضنا مبدأ لترتيب السيارات ، كما عليه مساغ أغلب الروايات أو الى كرة المريح . وكيف كان فالظاهر من الرواية ان إحدى السكرتين أعظم وأكبر من كرة أرضنا سبع مرات والمبرهن في الهيئة الجديدة خلافه كما مضى في أواخر المقدمة السادسة ، فلو تمت التحديدات لزم توجيه ظاهر الخبر الى معنى جائز مناسب له بعد تسليم السند ، مثل أن نقول : ان سبع مرات بيان وقيد للخلق لا للمثل ، والأصل انه سبع مرات خلق بعد ظل أرضنا أرضاً ، فيكون ذلك إشارة إجمالية الى خلق سبع أراضي مثل أرضنا بعد مخروط ظل أرضنا. أو نقول : ان وجه الشبه بين أرضنا والتي خلفنا بجمل إذ لم يبين في الكلام ، فلا تثبت المنافات إذ ليس في الخبر ان الله تعالى خلق بعد أرضنا أرضاً مثلها سبع مرات في الحجم أو في الوزن أو في النور أو في الحر أو في البرد أو في سرعة الحركة أو في كثرة المخلوقات أو في سائر المتعلقات، فيبقى كل ذلك سائغ الاحتمال

المقالة العاشرة

في البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد خلق خلق فقال لنا : فيم أنتم ؟ فقلنا : نتفكر في الشمس الى أن قال : فقال ﷺ : « ان من وراء قاف سبع بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة . »

أقول : مضامين هذه الرواية منطبقة على تحقيقاتنا السابقة في جبل قاف والبحار السبعة والأرضين السبع ، كما هي منطبقة على الآراء الجديدة من تعدد الأرضين حول شمسنا ، وان في كل أرض أهل ومخلوقات حية ، ومن وراء

أراضى شمسنا عوالم آخر ونظامات شمسية مشتملة على خلق وأمم من جنس أبناء آدم ، كما قال عليه السلام : « سبعين ألف أمة ، بل وأكثر من ذلك بكثير .
وقوله (ص) في شأن الأراضين السبع : « يضىء نورها لأهلها ، يعطى بظاهره ان أهاليها يستضيئون من أنوار الأراضين ، وهو خلاف التحقيقات الجديدة (١) ولكن ألفاظ الرواية تقبل التوجيه بأن المراد إضاءة كل أرض لأهل كل أرض وهو التحقيق ، فأرضنا مثلاً تضىء لأهل زهرة والبقية ، وأرض زهرة تضىء لأهل أرضنا والبقية ، وأراضى البقية تضىء لأهل أرضنا ولأهل زهرة . أو يكون اسم النور كناية عن الشمس وذلك

(١) لم يختص هذا التحقيق بالهيئة الجديدة وإنما كان موجوداً عند القدماء من علماء الهيئة أيضاً . ويمكن أن يوجه الخبر بتوجيه آخر ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث الشريف ، وهو ان النور على رأى الجمهور يضىء عندما ينعكس على جسم كثيف ، فمثلاً نحس بضوء نور الشمس عندما ينعكس على الارض وغيرها من سائر الكواكب ، وعلى هذا لما كانت الكرة الارضية تضىء بواسطة إشراق نور الشمس عليها امكثنا القول بأن أهل الارض يستضيئون من نور الارض نفسها ، وهكذا القول فى سائر الكرات . .

هذا إذا لم نقل بأن المراد إنارة كل كرة من نفسها فى نظر ساكنى تلك الكرة بلا كسب نور من الشمس ، فحينئذ لا بد وان توجه الخبر كما وجهه المصنف فقط ، لأن الارض فى نظر ساكنى الارض ليست بمضيئة ، بل المضىء فى نظر أهل كل كرة الكرات الأخرى غير تلك الكرة التى يسكنون عليها ، ولكن ظاهر قوله (ع) : « يضىء نورها ، ينطبق على الإضاءة التى اخترناها نحن ، وهو ان الإضاءة الكسبية لكل كرة مختصة بأهل تلك الكرة فقط - (ف) .

أمر شائع ، والمعنى ان شمسها يعنى شمس تلك الاراضى وهى شمسنا تضىء لاهلها
وفى بعض نسخ البحار « يضىء نورنا لاهلها » كما جاء أيضاً فى حديث
القياب « ان مخلوقاتنا يستضيئون بنورنا ، فيتمجه ظاهر الخبر بلا كناية ولا عناية
بل يفيد معنى مستحدثا ، فان قوله (ص) : « يضىء نورنا لاهلها » يدل بظاهره
على ان أرضنا هذه مضيئة لاهل زهرة وأخواتها كما ان زهرة تضىء لآخواتها
فتكون أرضنا أيضاً نجمة مضيئة فى الفضاء كسائر السيارات .

المقالة الحادية عشر

فى بحار الانوار وكامل الزيارة للحافظ جعفر بن قولويه المتوفى سنة
٣٦٨ هـ مستنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى جملة كلام
طويل له يقول فيه : « وما من ليلة تأتى علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا
وما يحدث فيها ، وما من أرض من ستة أرضين الى سبعة إلا ونحن نؤتى
بغيرهم » (١) .

أقول : انظر الى الارتباط الروحاني والاتصال الرباني بحقائق الاشياء
وأسرار العوالم كيف يكشف للكامل ما خفى على غيره ، حتى يعلم ما فى الارضين
السبع قبل اختراع النظارات وباقي الآلات بقرون عديدة ويطلع على حوادثها

(١) وروى هذا الحديث أيضاً فى معالم الزلنى فى الباب ٢٧ من الجملة
الثالثة ، وزاد عليه ، ان عبدالله بن بكير الارجاني الراوى قال : فقلت له
عليه السلام : جعلت فداك أين منتهى هذا الجبل ؟ قال : الى الارض السادسة فيها جنهم .
أقول : ان أراد بها طبقات أرضنا فيشير الى حرارة أرضنا ، وإن
أراد بها أرض المريخ أو المشتري فالجبل إشارة الى جبل قاف - أعنى ظل
أرضنا - فانه يفتهى الى نواحي كرة المريخ ، وهى الخامسة من الاراضى الشمسية

وأخبارها اطلاقاً كاملاً يعجز عن عشرين معشارها أكل الادوات الجديدة التي عملت باتقان .

المقالة الثانية عشر

في تفسير الفاضل النيسابورى وبحار الانوار والدر المنتور نقلاً عن سبعة كتب أو أكثر عن النبي ﷺ : « ان الأرضين السبع ما بين كل أرض منها والأرض الأخرى مسيرة خمسمائة عام ، وسيأتي هذا الخبر وأسانيده في ترتيب السماوات ، وانطباق هذه الاراضى على السيارات واضح لا غبار عليه

المقالة الثالثة عشر

ما في خبر ابن سلام (١) المروى في البحار وغيره كما سيأتي اسناده انه سأل النبي ﷺ عما تحت الجبل ؟ فقال ﷺ : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال : الجارية . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : سهسك . قال : صدقت يا محمد فما تحت ذلك البحر ؟ قال : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : الزاخر . قال : وما تحته ؟ قال : أرض . قال : وما اسمها ؟ قال : الفسيحة . قال : فصف لى هذه الارض قال : يا بن سلام هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران ..

* * *

وقد استفدت بالهام الله تعالى من ألفاظ هذا الخبر أموراً خفية افشتها

(١) ان مسائل عبدالله بن سلام مشهورة عند المحدثين من صدر الاسلام وأشار اليها البخارى في صحيحه ، ولكن الغمز يلحق ببعض سؤالاته

لنا كشفيات المتأخرين ، واليك تلك الأمور :

(منها) تعدد الارضين، كما هو ظاهر من الخبر ، وليس في الاقتصار على الثلاثة دلالة على الانحصار فيها ، فان السائل لم يسأل بعد الثالثة عما تحتها فلو استزاد لزاده النبي الأُمي ﷺ .

(ومنها) تحرك أرضنا ، فان السائل سأل عما تحت الجبل ، أى مطلق الجبل ، فقال (ص) : « أرض اسمها الجارية ، وكثيراً ما يراد من الاسم السمة والصفة اللازمة كما قال على (ع) : « ان اسم السماء الدنيا ربيعة ، أى سميتها الظاهرة وصفتها اللازمة (١) فأشار النبي (ص) في هذا الخبر الى ان صفة أرضنا وسميتها الجارية ، أي انها تجرى في الفضاء وتسير الى يوم المصير (٢) (ومنها) انطباق أوصاف هذه الاراضى الثلاث على أرضنا والمريخ مع المشترى حسب ترتيب مداراتهم إذ جعلها تحتنا ، فان أنسب أحوالنا الى الاعتبار حال مواجهتنا مع الشمس ، مضافا الى صدور الكلام في النهار ، فيقع مدار المريخ والمشتري تحتنا وتحت أرضنا ، فقوله ﷺ : « ان تحت الجبل أرض ، أى تحت طبيعة الجبل وجنسه أو الجبل المعهود بينه وبين السائل ، وقوله ﷺ : « اسمها الجارية ، أى صفتها اللازمة وسميتها هي الجريان في الفضاء وسأذكر في مسألة عدد السيارات خبراً فيه تسمية أرضنا بالجريان .

(١) هذا التفسير مبني على أن نقراً (ربيعة) بالقاء وأما على قراءة بعضهم (ربيعة) بالفاء فعناه القماش الذي عليه النقوش ، وهذا اسم السماء بالعبرانية كما ورد في التوراة (ف) .

(٢) قال نور الله : ويؤيده ان الجبل والأرض كلما اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى وصار أحدهما بمعنى الصخر والآخر بمعنى التراب ، واطلاقه هنا باعتبار غلبة الأجزاء الترايبية أو كونها تحت الطبقة الصخرية .

وإنما خص النبي ﷺ أرضنا بالجرىان مع انه صفة لباقي الاراضى
أيضاً ، لاظهار ثبوت هذه الصفة المجهول ثبوتها في أرضنا المعلوم ثبوتها
في البقية .

وقوله ﷺ : « وتحتها بحر ، أى مجرى وسيع مستطيل عميق ممتلىء
من جوهر سيال مواج كما حققناه في المقالة التاسعة .

وقوله ﷺ : « وتحت ذلك البحر أرض ، أظنها المريخ ، وقد سبق
تصحيح اطلاق اسم الارض على السيارات .

وقوله (ص) : « اسمها الناعمة ، أى سميتها وصفتها النعومة ، وفي
القاموس وغيره اطلاق الناعمة على الروضة والأرض الكثير عشبها وخضرها
وكذلك كرة المريخ بناءً على الاستكشافات الأخيرة ، فقد قالوا بغلبة الماء
على تلك كرة المريخ فقط لا ثلثي الكرة كما في أرضنا ، فوجه الأرض من المريخ
أكثر ظهوراً ونظارة بالخضرة والاعشاب الناجمة فيه من وجه أرضنا مع
اعتدال الحر والبرد هنالك كما ذكرنا . ولون النبات في كرة المريخ مائل الى
الحمرة كما يميل في أرضنا الى الخضرة ، ولأجل ذلك ترى نجمة المريخ حمراء في
الأنظار والنظارات . وعلى هذا فنعومة أرضها بكثرة الأعشاب والخضرة
أمر أكثر اختصاصاً بها من غيرها ، فيكون أليق أوصافها وأسماؤها بالذكر
اسم (الناعمة) .

وقوله (ص) : « وتحتها بحر ، كأنما أجرى كلامه في البحار السماوية
على نحو ما حققناه في المقالة التاسعة ، بل لو تصفحت الأخبار الناطقة
بالبحار السماوية وجدت أكثرها بل جميعها منطبقة على التحقيق المذكور .
وقوله (ص) : « وتحت ذلك البحر أرض ، أظنها كرة المشتري ، كما
يظهر من تطبيق الأوصاف عليها لقوله (ص) : « اسمها الفسيحة ، لأن

فسحة هذه الكرة وسعة سطحها أكثر من سعة جميع الاراضى السيارة ، إذ هي اكبر حجماً من كرة أرضنا بألف وأربعمائة مرة تقريباً كما مر ، فيكون أليق سماتها وصفاتها بالذكر اسم الفسيحة .

وقوله (ص) : « هي أرض بيضاء كالشمس ، أظن الوجه في تشبيهها بالشمس هو دوام الضوء والنور على قرصها ، فان أرضنا وأكثر الاراضى السيارة وجميع الاقمار الدوارة قد يزول من وجه قرصها النور بسبب حيلولة جسم ظلماني بينها وبين ما تستضيء منه إلا الشمس ، فان وجه قرصها دائم النور ولا يزول عنه الضوء ، لأن قرص الشمس هو منشأ الأنوار ، وكذلك كرة المشتري فانها أيضاً لا يزول النور من صفاح وجوهاً أبداً لسكونها محفوفة بأقمار تسعة تدور حولها بسرعة دائمة . مضافاً الى قصر لياليها واستضاءة نصف منها بالشمس ، وأن زحل ترى في المشتري كالقمر في أرضنا وغير ذلك .

وقوله (ص) : « وضوؤها كالقمر ، أظن الوجه في تشبيهها بالقمر بعد تشبيهه بياضها بالشمس هو جهة اكتسابها النور من الشمس ، أى كما ان ضوء القمر مستفاد من الشمس بالاتفاق كذلك ضوء أرض المشتري مستفاد من الشمس أيضاً وفاقالهيئة الجديدة . وقد أتى بهذه الجملة بعد قوله : « بيضاء كالشمس ، لئلا يتوهم انها كالشمس من جهة كونها نورانية بذاتها مضيئة بنفسها فأشار (ص) الى انها كالقمر وباقي السيارات التى نورها مكتسب من الشمس .

وقوله (ص) : « ونباتها كالزعران » فان إسقاط وجه التشبيه فيه أوردت إجمالاً في المقام فلا نعرف المراد منه عيناً وأن نبات أرض المشتري كالزعران طبعاً أو شكلاً أو لوناً أو رائحة ، فكما أن لون النبات في المريخ يميل إلى الحمرة نوعاً ما وفي أرضنا إلى الخضرة كذلك في أرض المشتري يجوز

ان يميل الى صفرة زعفرانية كما حكى عن فلاسفة العصر ، فيجوز أن يكون قوله (ص) : « ونباتها كالزعفران ، إشارة الى ذلك ، أى بحسب اللون (١) وذكر بعض فلاسفتهم ان النبات والشجر كثير فى المشتري لاعتدال حره ، وان أشجارها اكبر من أشجارنا نوعاً على نسبة عظمة المشتري بالقياس الى أرضنا . فلو صح هذا الكلام جاز أن نحمل عليه الحديث الصحيح الذى رواه القمى فى تفسيره عن النبي ﷺ أنه رأى فى محل سدره المنتهى ان الورقة منها تظل أمة من الأمم .

* * *

ويناسب المقام ذكر ما قاله الفلاسفة فى اللون والنباتات المتكونة فى أراضي السيارات :

قال فى تقويم المؤيد الأغر لسنة ١٣١٩ هـ : فى (زحل) لون النبات رصاصى ، وفى (المشتري) البياض المشوب بهفرة وسمرة ، وفى (المريخ) الحمرة ، وفى (زهرة) البياض الناصع ، وفى (عطارد) المركب من لونين ... ولا يخفى ان هذا موافق لما ذكرته فى شرح هذا الخبر . وفى هذا الخبر القدسى كشف لأسرار عظيمة نشرت بعضها فى هذا الكتاب ، وسوف انشر البقية فى غيره انشاء الله تعالى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار عن المنى الحناط قال : سألت الامام السادس جعفر بن محمد

(١) ويؤيد هذا ما ورد فى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : « ان اسم السماء الخامسة (هيفوف) وهى على لون الذهب ، وأنت تعلم ان ترتيبنا المختار فى السيارات يقتضى أن تكون كرة المشتري سماءاً خامسة .

الصادق عليه السلام عن السماوات؟ فقال عليه السلام : « سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق ، وبينها وبين الاخرى خلق حتى ينتهي الى السابعة ، قال : قلت : والارض؟ فقال عليه السلام : « سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنان هواء ليس فيها شيء . »

يقول المصنف هبة الدين : لقد وجدت هذه الرواية بألفاظها في أصل المثني الحناط (صاحب الامام الصادق) في مكتبة شيخنا المحدث النوري نور الله تربته وسنذكر انشاء الله تعالى ترتيب السماوات وحقيقتها واشتمالها على الخلق . وقوله عليه السلام : « اثنان ليس فيهما شيء ، » يجوز حملها على أرض عطارد وأرانوس ، فان الظن بخلوهما عن الحيوانات أقوى فيما بين القوم ، ولكن الاخبار في وجود الخلق الحيوي لاسيما من النوع البشري كثيرة جداً وسوف يأتي ذكرها ، فاما ان يحمل هذا الاختلاف على اختلاف الاوقات وان الاثنان كانت خلية عن الخلق الحيوي في عصر ثم وجد فيها لاحقاً أو كان موجوداً فيهما سابقاً ، أو يحمل على اختلاف حقائق المخلوقات ، أو ان النبي ناظر الى جنس منها والاثبات ناظر الى جنس آخر - فتدبر .

المقالة الخامسة عشر

في بصائر الدرجات ج ٨ باب ١٥ بعدة طرق مختلفة واختصاص المفيد واكمال الدين للصدوق ومنتخب الاختصاص بأربعة طرق والبحار بالاسانيد عن الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام في وصف الامام المنتظر القائم من آل محمد عليه السلام انه قال فيما قال : « أما انه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والارضين السبع خمس عوامر واثنان خرباوان ، . أقول : دلالة هذه الرواية على تعدد الارضين واشتمالها على النوع البشري

واضح ، لحكمه عليه السلام بعمران خمس منها ، والعمران لا يكون إلا من أعمال الانسان .

واحتمل أن يكون قوله عليه السلام : « واثنتان خرباوان ، إشارة الى خلو أرض عطارد وأرانوس كما مر ، أو خلو أرض فلكان ونبتون ، فان افراط الحر في فلكان من فرط قربه للشمس وكذا افراط البرد في نبتون من فرط بعده عن الشمس مستوجب لعدم صلاحيتها ونفي قابليتها لسكنى الانسان والحيوان كما سيأتى بيانه .

وأما قوله عليه السلام : « ويرقى في الأسباب ، فاحتمل أن يكون إشارة الى تكميل الأسباب السماوية الناقصة في عصرنا ، ومن مثل المناطيد والطائرات وبقية المراكب الهوائية التي ترقى بالانسان وتصعد به بمعونة البخار أو الاجنحة أو غيرها الى السماء ، فلربما تنكامل هذه الاسباب والمراكب الى عصر المهدي القائم الموعود بحيث تنزح بالركاب من كرتنا الى باقى الكرات السامية .

ألا تذكر عجز الانسان عن صعودهم الى الهوا بمقدار باع بل ذراع حتى كانوا يمثلون للأمر المستحيل بالطيران فى الهوا ، ثم اقتدروا من ترقى العلوم وتربية الأفكار الى أن صعدوا فى المراكب الهوائية أعلى الهوا ورفعوا بها المدافع والأثقال سائرة بهم فوق السحب والجبال بمآت الاميال .

وخاصة العصر الحاضر المليء بالكشفيات والصنائع الجديدة التي تحير العقول من عظمتها ومتانة صنعها ودقة تنظيمها ، هذه الصواريخ تبشرنا بقرب وصولنا الى كرة القمر ، وهذه الصنائع الجديدة الهوائية تضع أمامنا الوسائل للصعود الى الكواكب التي لم نصدق أن يأتى يوم نحلم بالصعود إليها . أليست هذه الاقمار الصناعية مما يقرب إلينا ما نقرأه فى هذا الحديث الشريف من الرقى فى السماء وقطع المسافات البعيدة فى هذا الفضاء الواسع الممتلىء بالعجائب والآيات

فلا تستبعد حصول ما نظنه مستحيلا فلربما يأتي يوم تنهياً لك آلة تعرج بك من كرتنا الهوائية فتجول في بيدها الفضاء بعد تكميل سائر المقدمات والمبادئ. وإزالة جملة الموانع العائقة في طريقك فتستعد حينذاك للمهاجرة الى السكرات السامية والمعاشرة مع أهاليها وساكنيها ، كما يحدثنا به القرآن الكريم : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ (١) .
ولهذا يمكن أن ترتقي العلوم عند سكنة هاتيك السكرات فينزلون الينا بأسبابهم وتتعلم منهم الصعود اليهم والسفر الى كراتهم . فكل هذه الاشياء جائز مظنون وتحظى بها النفوس القابلة .

ولو اشتريت الآن عمرى بيوم من تلك الايام السعيدة لبعثتك العمر كله راجحاً مستبشراً ، ولسكن حدث عن الاعمار والهمم واستعداد قومنا وبلادنا ، فانك لا تجد فيهم أو فيها حتى الآن مبادئ من آثار التمدن الذي كاد العالمون أن يبلغوا منتهاه ، وحسبك انا نسمع بالتلسكوب والنظارات التي تريك جبال القمر ولم نرها في بلادنا قط .

وخلاصة ما قدمته أن ترقى الاسباب السماوية بحيث تحمل المسافرين الى الاراضى السيارة فى الأزمنة الآتية أمر ظاهر مظنون ، فيجوز أن نحمل عليه قوله ﷺ فى وصف القائم المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - : « أما انه سيركب السحاب ويرتقى فى الاسباب أسباب السموات السبع » .

أما ركوب السحب بمعنى السير فوق ظمورها والعلو عليها ميسور بحمد الله تعالى فى هذا العصر أيضاً بواسطة الطيارات والمراكب الهوائية .

وقد يكون ارتقاء المهدي ﷺ فى الاسباب إشارة الى دخول العالم فى طور جديد من العمران والمدنية هى أرقى من عصر خطاب الامام الباقر ﷺ

بما لا يقاس ولا يحصر ولا يخطر على قلب بشر من التفنن في وسائل الحياة وتكامل الصنائع والحاجات ، كما أشار الى ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى خطب نهج البلاغة التي هي في صفة القائم من آل محمد (ص) حيث يقول : « فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون ، يعني من ظهور القائم من آل محمد (ص) باتفاق الشارحين .

فبقارغ الصبر نأمل قرب ظهور المصلح المنتظر المهدي الموعود عند تكامل الصنائع وارتقاء أسباب السماوات على ما مر ، وارتقاء أسباب الارضين من صنوف نواقل البرق والبخار والذرة وغيرها مما لا نعلم بها الآن ، كما كانت الصنائع الحالية غير معلومة لمن قبلنا بل كانت غير معقولة في صدر الاسلام وعند المسلمين الاولين .

كان الاولون من أسلافنا يتلون في كتاب ربهم : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ﴾ (١) ثم لم يكن في علمهم وحسبانهم ما نحسه اليوم من الدوارج والبوارج ، فحسى أن يحس أنباؤنا ما لا نحسبه اليوم ولا نتفكر فيه أبداً . والمستقبل كشاف والليل حبل فما يدريك ما تلد .

واستوفيت المقال في هذا المجال في تصنيفي (الشريعة والطبيعة) و(مظاهر الطبيعة من ظواهر الشريعة) .

(١) سورة النحل آية ٧-٨ .

(المسألة الخامسة)

(ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟)

ان المقالات المتواترة في الشريعة الاسلامية - على صاحبها التحية والسلام - قد وجدناها تعد الارضين سبعة ، وذلك ترتيب غريب لا يستقيم على النظام الجديد ولا القديم ، إذ السيارات في الهيئة الجديدة تسعة وفي الهيئة القديمة وان كانت سبعة لسكنها ليست عندهم بنحو يصدق على شيء منها الارض ولا يعدون أرضنا منها مع كونها الارض الحقيقية المسلمة ، مضافا الى ادخالهم جرم الشمس في عداد السيارات مع انها ليست بأرض اتفاقا ، فما وجه حصر الارضين والسموات في السبعة والسكوت عن فلكان ونبتون ؟

(الجواب)

لما كانت هذه المسألة المعضلة منجلة الى سؤالين أوردنا الجواب عنها في مقامين : أحدهما ان الشرع الاسلامي هل حصر الارضين في السبع أولا ؟ وثانيهما انه هل سكت عن أرض فلكان ونبتون أولا ؟

المقام الاول

ان الغالب في كلمات شرعنا الاقدس وان كان تعدد الارضين وان
السموات سبعة لكن العدد قد لا يفهم منه نفى الزائد ، وموارده كثيرة في لغة

العرب . مضافا الى تصريحات الأئمة المعصومين عليهم السلام لبعض الاخضاء من أصحابهم بأن الارضين أكثر من السبع كما سيأتى فى أخبارهم عن فلكان ونبتون وتقدم فى مسألة تعدد الارضين فى المقالة السادسة انها تقرب من ثلاثمائة وفى بعض الاخبار انها أربعون ، وستسمع أمثال هذه الاخبار فى مسألة تعدد العوالم وإنما كان الشائع فى ألقاظهم هو ان الارضين سبعة باسقاط فلكان ونبتون لان السبعة من السيارات كانت مرئية بالابصار المعتدلة حتى عند المتقدمين ، ولكنهم لم يتفطنوا بسير بعض منها . وتلك السبعة هى : أرضنا ، وزهرة ، وعطار ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل ، وأرانوس .

انهم يقولون : ان ارانوس مبصر ولكنه صغير كنجم من القدر الخايس من الانجم المبصرة مثل نجمة سهى بل أنور منها ، فالناظرون الى السماء كانوا يرون نجمة أرانوس قديماً وحديثاً ولكنهم لم يشعروا بكونها سيارة كسائر السيارات ، إما لبطء سيرها أو لخفاء نورها أو لغير ذلك .

وأما (فلكان) و (نبتون) فمن غاية قرب الاول من الشمس وكثرة بعد الثانى عنها لم يكن أحد وقتاً يتمكن من رؤيتها بالبصر المجرد أبداً ، وإنما يدركان فى عصرنا الحاضر بالابصار المسلحة بأكمل النظارات القوية كما لا يخفى .

فاذا كانت السيارات المرئية أعنى التى يبصرها الناس سبعة وثبت ان فلكان ونبتون لا يراها أحد بالبصر المجرد فأقول : المظنون لدى هوان شرعنا الاظهر جعل مدار كلامه فى السيارات مع عامة الناس على ما هو المرئى والصالح للرؤية لا على الممتنع إبصاره فى تلك العصور ، فتلك الارضين السبع السيارة لما كانت صالحة للرؤية اعتبرها الشارع فى شائع كلماته ، وأما فلكان ونبتون ونحوهما فاذا كانت غير صالحة لان يراها أحد لم يتوجه الكلام الشائع اليها فى شريعتنا ، بل ألقى ذكرهما الى الخواص بضرب من الاشارة كما سيأتى .

ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟ ١٤٣

أما ذكر السماوات السبعة فلأنها ملحوظة بالنظر الى الارضين ، على ما سيأتى ان شرعنا القدسى قد عين لكل أرض سماءاً يختص بها .

هذا ، مع انه احتفل المقام أمراً آخر وهو ان السماوات - على ما سيحجى - تحقيقه الشرعى - هى السكرات البخارية المحيطة بالسكرة الهوائية من كل أرض والسكرة البخارية لا تحدث إلا بشرطين :

(الأول) - ارتفاع الحرارة والاجزاء النارية من الجسم الارضى .

(الثانى) - كثرة الرطوبات والاجزاء المائية .

ووجود هذين الشرطين فى السيارات السبعة المبصرة قريب الاحتمال جداً ، ولذلك ادعى القوم رؤية السكرة البخارية فى السبعة المبصرة فقط ، وسنذكر تصريحاتهم فى المسألة الثانية عشر ، وأما السياراتان المستورتان فللكان ونبتون فبعيد وجود الشرطين السابقين فيها ، فان فللكان من غاية قربها من حرارة الشمس لا تبقى رطوبة فيها عادة حتى يظهر فيها البخار ، كما ان نبتون من كثرة بعده عن الشمس لا تكون فيه حرارة عادة حتى ينهض البخار فيه ، إذ قدر القوم حرارة سمسنا فى كرة نبتون بأقل مما فى أرضنا بأكثر من تسعمائة مرة . ولا يذهب عنك ان الظن يستقرب هذه المعانى فلا تحسبها مبادئ يقينية (والحق أدرى بالذنى خلق) .

المقام الثانى

هل ان شرعنا الاقدس أخبر عن السياراتين المستورتين فللكان ونبتون أو لم يخبر حيث كانت المصلحة فى سكوته ؟

ومعلوم ان الاخبار عن مثل هذه الاشياء إنما هو بالاخبار عن أوصافها المنطبقة عليها لا بأساميها الاروباوية المستحدثة .

نقول في هذا المقام : انا نجد الشريعة الاسلامية تخبر عن أرضين مستورتين وعن أوصاف خاصة بهما منطبقة على أرض نبتون وفلكان :
أما (نبتون) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤هـ - ١٨٤٦ م فينظر اليه -
حسبنا أظن - الخبر المروى في البحار ومعاني الاخبار وغيرهما بالاسناد القوي
عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع) انه حينما سأله عن معنى
الافق المبين ؟ قال (ع) : « قاع بين يدي العرش فيها انهار تطرد » .

أقول : القاع في اللغة بمعنى الارض ، والطرد بمعنى الجريان ،
ومخالفة هذا الحديث مع مباني النظام القديم واضحة كجواز انطباقه على كرة
نبتون ، فان العرش في اللغة السقف وفي لسان الشرع - على ما سنحققه في
مسألة تعدد العوالم - هو منتهى عوالم الأجرام والاجسام من كل جهة ، كما
ان اسم الكرسي في شرعنا القدسي محمول على المحدد لافلاك سيارتنا
والمفروض نهاية لعالم شمسنا ، فيجوز أن تكون الارض الشاخصة بين يدي
العرش من دون سائر الاراضي السيارة هي (نبتون) ، فانها بحسب الظاهر
كجواب لاداراتنا الشمسية وآخر سيار في نظامنا يتمثل بين يدي عالم الثوابت
وربما يكون في التعبير عنها بالافق نوع اشارة الى حيطة مدارها
بسائر اجرامنا ومداراتنا ، مثل احاطة الافق بأجرام الارض .

* * *

وأما (فلكان) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤هـ ١٨٤٦ م فينظر اليه
حسبنا أظن الخبر المروى في البحار والمناقب للحافظ الشيخ رجب البرسي
المؤلف سنة ٨٠٠هـ ومصباح الفاضل الكفعمي بالاسناد عن الامام السابع

موسى بن جعفر الكاظم (ع) عن آبائه المعصومين عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله ، إلى ان قال : « ومسير الشمس في بلادهم أربعون يوماً.. » (١) ومثل هذا الخبر ما رواه العلامة المجلسي في بحار الانوار عن بعض المفسرين : « ان الله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس ، .

وفي كتاب العوالم عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه ، .

وانطباق هذه المضامين على نجمة فلكان من جهة انها من شدة قربها من الشمس وقوة الاشعاع عليها أشد بياضاً من الفضة المجلوة .

وحسبك أن نجمة عطارد ينتهي بعدها عن الشمس إلى تسعة وعشرين درجة ، وقوة نور الشمس وحرها في عطارد ثمانية أمثال نورها في أرضنا ،

(١) وفي هذا الخبر إشارة الى سكون الشمس وتحرك الارضين حولها لان حركة الشمس في النظام القديم حول الاراضى منظم لا يختلف حسب اختلافها ، فيكون بناءً عليه مسير الشمس على سطح الجميع ٢٤ ساعة أو ٣٦٠ يوماً ولا يتجه اختلاف مسير الشمس على سطوح الارضين بحيث يكون في البعض ٣٠ يوماً وفي البعض ٤٠ يوماً وفي البعض اكثر أو أقل ، إلا على النظام الجديد - أعنى سكون الشمس وحركة الارضين . ذكر ذلك بعض المعاصرين ، فتأمل فيه .

نعم ان الخبر بسبب إثباته أرضاً غير أرضنا ينيء بفساد النظام البطليميوسى ، وفيه الكفاية .

ونجمة فلكان ينتهى غاية بعدها عن الشمس إلى سبع درجات ، فما ظنك بقوة نور الشمس فيها والحالة هذه ١١ ولاجل ذلك سماها الافرنج (فلكان) ، وهو عندهم اسم للجبل النارى ومعر به (بركان) .
والحاصل أن نجمة فلكان من غاية قربها من الشمس أشد بياضاً من كل جسم أبيض .

والجهة الاخرى المكتملة لهذا التطبيق أن الطول في كل أرض سيار إنما هو خطها الاستوائى - أعنى به دائرة الاستواء كما في أرضنا - والشمس تواجه اجزاء دائرة الطول من كرة فلكان في عشرين يوماً من أيام أرضنا في السير السنوى لا المحورى ، فان فلكان سيار حول نفسه في ثمانية عشر ساعة تقريباً وسيار حول الشمس سنوياً في عشرين يوماً ، وعلى هذا يكون النهار فيه تسع ساعات والليل أيضاً تسع ساعات ، واطلاق اليوم على النهار سائغ بل شائع في العرف ، فيصدق أن طول كرة فلكان مقدار مسيرة الشمس أربعين يوماً نهائياً بالسير السنوى لنجمة فلكان ، وأن أرضنا بياض من شدة شعاع الشمس كبياض الفضة المجلوة ، وانها من وراء جبل قاف أى من بعد مخروط ظل الارض - كما تقدم - إن كان صدور الكلام في الليل ، وانها خلف المغرب من جهة أرضنا حالكون الارض حذاء الطرف الشرقى من قرص الشمس - فتدبر .

* * *

ونظير هذه الاخبار ما رواه الحافظ السيوطى فى الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) - انه قال: قام ناس من اصحاب رسول الله (ص) يعنى احتراماً له ، فقصد النبي (ص) نحوهم فسكنوا ، فقال (ص) : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشس فتفكرنا فيها من أين تجيء ومن أين تذهب وتفكرنا فى خلق الله تعالى ؟

فقال (ص) : « كذلك فافعلوا ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى ، فان الله تعالى من وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى ، .

وروى الغزالي في باب التفكير من كتاب إحياء العلوم : أن النبي (ص) خرج على أصحابه وهم يتفكرون فقال : « تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان الله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة أربعين يوماً فيها خلق لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ، .

ورواه عنه تاج الدين ابن تقي الدين السبكي في الجزء الرابع من طبقات الشافعية .

قتمة مهيبه

في توقع كشف جديد

قد تكرر في بعض أخبار الأئمة الأطهار اشارات وبشارات بوجود أرض مستور عن الابصار اكبر من أرضنا بكثير ، وهي :

١ - روى الحافظ نجر الدين الطريحي في كتاب مجمع البحرين عن نجر الدين الرازي في جواهر القرآن بسنده عن النبي ﷺ انه قال : « الله تعالى أرض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً ، هي مثل الدنيا ثلاثون مرة ، .

٢ - روى الشيخ الزاهد أبو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ في كتاب له وعندى نسخة منه عتيقة جداً يلوح من رسوم خطها وأوراقها انها مكتوبة قبل المائة الثامنة الهجرية وفيها ان رسول الله (ص) قال : « ان الله

تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثون مرة ، ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً محشوة خلقاً .

٣ - روى في كتاب البحار وبصائر الدرجات عن الامام السادس جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوؤها منا ، فيها خلق يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً . »

أقول : هذه الاخبار في صدد الاعلام بوجود أرض سيارة مجهولة غير معلومة ، لكنها قابلة لأن تحمل على ارادة أرض فلكان كما استبان بشرط معالجة قوله : « هي مثل الدنيا ثلاثون مرة . » فان ظاهره كونها اكبر من أرضنا ثلاثين مرة ، والمعروف في تحديد نجمة فلكان انها أصغر من أرضنا بكثير ، إلا ان يقال باشتباه الأمر عليهم في تحديدهم ، كما اعتذر بعضهم بأنا حيثما لم نرها قرأ ونحوه لم نعرف قدر جنتها ولا بعد مسافتها عنها .

وأيضاً يحتاج عندئذ قوله : « ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً ، الى تصرف وتوجيه آخر .

وهذه الاخبار قابله أيضاً لان تحمل على ارادة أرض سيارة أخرى من داخل نظام شمسنا غير فلكان وغير نبتون ولو لم يشتهر اكتشافه ، إذ لا يقول أحد بامتناع وجود سيارة أخرى غير هذه التسعة ، وسنذكر في مسألة اعداد السيارات جملة روايات يظهر منها ان النجوم السيارة إحدى عشر . بل يظهر منها أيضاً ان هذه السيارة الخفية حتى الآن موضعها وراء أفلاك النجيمات بل وراء نبتون ، فينبغي ان ترتجى كشفها إذا تكلمت الآلات والنظارات بأكملها

هي عليها الآن (١) .

ولعمري ان هذا السيار لو ظهر وانكشف فالأحرى ان يسموه (النجم المحمدي) ، فانه (ص) بينه وأوضح صفاته وموضعه منذ الفعام وقرون وأيام ، ولسكن أين وأنى ذلك فان هذه التوفيقات لا يحظى بمثلها المسلمون من شدة تقاعدهم عن صرف الهمم وبرودة قلوبهم في تحصيل الكالات، والافرنج وان كانوا الآن موفقين غير مقصرين إلا اننا نراهم يرمقون المسلمين بأنظار غير شفيقة يظهرون لنا غير ما يضمرونه علينا ، وترى دعواتهم في كل عصر ومصر يبذلون الجهد البليغ في نحو آثار هذه الشريعة السمحاء وتفريق جامعة هذا الدين المبين ، ونحن في غفلة عنهم معرضين .

كيف نرجو منهم أن يضعوا وسامة نبينا(ص) على ذلك المستكشف المستحدث ؟ ان هذا شيء لم يعملوه إلا ان يتبدل الحال وترتقى همم الرجال . دع نيران قلوبنا على لهباتها بين الضلوع ، واخل عن الأماق تموع كالشموس من ضعة المسلمين فتذرف بالدموع ، فان هذا هو العصر الذي أخبر عنه في شرعنا : « ان قلب المؤمن ينهك فيه كما ينهك الملح في الماء ، والأمر بيد الله تعالى .

(١) اكتشف بعد تأليف هذا الكتاب سيارة (بلوتو) وصار بهذا الاكتشاف عدد السيارات عشرة، ويمكن أن تكون هذه هي السيارة التي يتحدث عنها المؤلف في هذا المقام (ف) .

« المسألة السادسة »

(في حقيقة السموات السبع والأرضين وترتيبهما)

يعتقد أكثر المسلمين في السموات السبع والأرضين السبع المذكورات في شريعتهم أنها هي أفلاك السيارات التي أثبتتها قدماء الحكماء والزموا بأنها أجسام بسيطة شفافة كروية متلاصقة ، وغير ذلك من الصفات السابقة .

ونحن نجد الحكماء المتأخرين قد كشفوا بعد الألف من هجرة النبي (ص) غشاوة الجهل عن وجوه الجواهر العلوية وشرحوا لنا أحوال السكرات من الثوابت والسيارات فلم يجدوا من تلك الأفلاك عيناً ولا أثراً ، بل وجدوا ما يناق في وجودها - كما سيتلى في غير مكان .

فاذا اتقنى وجود هذه الأجرام العظيمة وبطلت مباني الهيئة القديمة فأين تكون السموات والأرضون التي تواتر ذكرها في الدين الإسلامي - على مبلغه السلام والتحية ؟

(الجواب)

لا يكاد يخفى على من استقرأ كتب المسلمين أنهم وإن اتفقوا في عدد السموات ولكنهم مختلفون في حقيقتها وتطبيقها على أفلاك الفلاسفة ، حتى أن بنى نوبخت (وهم من قدماء الامامية المشهورون بعلوم النجوم والفلسفة) يرون السموات السبع فوق الأفلاك ، وتبعهم في ذلك حسب المنقول الشيخ أبو الفتح محمد السكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

نعم ، منذ شاعت الهيئـة البطليموسية في القرون المتوسطة الهجرية اشتهر بين المسلمين أن السماوات السبع هي الافلاك العظيمة للسيارات السبع ، حتى اعتقد المتفلسفون منهم أن الكرسي هو فلك الثوابت وأن العرش هو فلك الافلاك على ترتيب الهيئـة القديمة ، كما صرح بذلك شيخنا الشيخ البهائي في صدر تشرح الافلاك وغيره في غيره .

أما حقيقة السماوات فلا زالت مجهولة عند علماء الاسلام وغيرهم ، لان المنقول بالظن واليقين من مقالات هذا الشرع المبين في ابواب السماوات والارضين غير مناسب لما اثبتته الفلاسفة للجواهر السماوية لا ذاتاً ولا صفة بل التنافي بينهما ظاهر وبين جداً .

ان الشرع الاسلامي ناطق بأن السماء تقبل الطي والانخراق والشمس والقمر يقبلان التكوير والانشقاق ، وان السماء قد خلقت من بخار أو دخان ولها سلاك وأبواب وسكان ودواب ، وفيها صخور وجبال وذرات أقل من المثقال ، وهي حادثة غير أزلية وزائلة غير أبدية ، وأن الجنة موجودة الآن فيما بينها بجميع لذاتها الحية ، وغير ذلك مما يناقض مباني الهيئـة البطليموسية ولاجل هذا التنافي التزم المحققون من علمائنا بالتفرق في أكثر ظواهر الشرع ، حتى ذهب بعضهم إلى اتحاد عنوان السماوات وعنوان الافلاك ، كل هذا لكي يوفقوا بزعمهم بين الشريعة المقدسة وبين تلك الفلسفة المنثثرة ، حيث كانوا مستأنسين بقواعدها غافلين عن وهن أساسها ، مذهلين عن ان النبي (ص) وامناه (ع) كانوا يحذرون الناس عن الميل الى آراء الفلاسفة ، فلو كانت آراؤهم هي البواطن لظواهر أقوال الشريعة فما هذا التحذير ؟

وحيثما كان تحقيق حقيقة السماوات في الشريعة وبيان ترتيبها من أهم مسائل هذا الكتاب وأنفعها ومن أصعب البحوث الاسلامية العصرية لزمى الاجتهاد

والتدقيق في الفحص والشرح ، فاستعنت بالله وأفرزت هذه المسألة من ترتيب السماوات حتى تتضح حقيقة السماء شرعاً وان اسم السماء في شرع الاسلام مستعمل في أى معنى حقيقى ثابت في السكون لا نعرفه .
فنقول : لاشك أن العرف واللغة يطلقان السماء على الشيء العلوى ، فانه من السمو بمعنى العلو .

قال الفاضل القزوينى في عجائب المخلوقات : كل ما فوق الارض فهو سماء .

وفي طريق اللغة : يقولون ما علاك فهو سماؤك .

وقال الثعالبي في كتابه لباب الادب في أول أبوابه : ما علاك فأظلك فهو سماء ، وكل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة .
وقال الطبرسى في مجمع البيان : كل ما علاك وأظلك فهو سماء ، وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض ، وذلك واضح لا ريب فيه .

وعلى هذا يكون اطلاق السماء على المطر والسحاب والفلك والجو وأجرام الكواكب وغيرها على نحو الحقيقة جميعاً ، فانها أفراد ومصاديق للشيء العلوى الذى هو معنى السماء وهو الكلى لها وصدق الكلى على أفرادها حقيقة ومعلوم أن الشارع وخلفاءه تابعوا العرف في هذه الالفاظ والاسامى ولم يتفردوا فيها باصطلاح مخصوص ، فكلماً أطلقوا لفظ السماء أرادوا به ما يوجد في جهة العلو مطلقاً .

ومن تصفح المقالات الدينية يعرف أن لفظ السماء يطلق في الشريعة إلا على احد معان ثلاث مندرجة في معنى ما يوجد في العلو ، وهى (١) :

(١) ان هذه المعانى للسماء في اللغة العربية واضحة معلومة ، مضافاً الى اطلاق لفظه (آسمان) على السماء في الفارسية وهى مركبة من (آس) بمعنى آسميا -

١ - نفس الجو العالى والفضاء الخالى كقوله تعالى : ﴿ وجعل في السماء بروجا ﴾ (١) .

٢ - نفس السكرات السامية والاراضى السيارة ، مثل ما ورد : و ان في السماء آدم كآدمكم ونوح كنوحكم ، وغيره مما سيتلى .
٣ - جسم عظيم كروى محيط بأرضنا وبالارضين السبع ، واكثر ما يستعمل لفظ السماء في الشرع ناظر الى هذا المعنى ، ولا سيما إذا اقترن به ذكر الارضين السبع (٢) .

وعمدة الاضطراب وقصور الاصحاب إنما هو في فهم حقيقة هذا الجسم المحيط بالأرض ، وانه عنصرى أو فلسكى أو غيرهما ، بل وفي انه جسم مادى أو جوهر قدسى ، بل وفي انه جوهر أو عرض ، كالقائل بأن السماء في عرف الشرع نفس جهة العلو والجو لا غير .
وتحقيق الحق على النحو الآحق يستدعى تمهيد مقدمة مسلمة ، وهى :

- و (مان) بمعنى المثل ، وهذا المعنى يطابق تماماً مع الهيئة السكربرنيكية ، لأن آسيا عند كوبرنيك تدور على نفسها والسكرات السماوية الأخرى أيضاً تدور على نفسها .

ومن جهة أخرى فان أرضنا وبقية السكرات السماوية لها كرات بخارية حولها تدور مع أراضيها وأجرام هذه السكرات مدورة مثل آسيا ، فاذن هذه السكرات تشبه آسيا تماماً ، فيحق أن نطلق عليها لفظة آسمان (ف) .
(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن السماء متى اجتمعت مع الأرض في اللفظ افتردت في المعنى ، وإذا افتردت في اللفظ جاز اجتماعهما في المعنى ، وكثير في اللغة من هذا القبيل .

ان كرة الارض بالاتفاق والعيان يحيط بها الهواء من كل مكان ، واتفق أيضاً الحكماء قديماً وحديثاً على أن الحرارة المتوجهة الى أرضنا من الشمس بمصاحبة الأشعة تنعكس عن سطوح الارض بانعكاس الاشعة الى كل جهة ، وكلما تملو تلك الحرارة المنعكسة وتبعد عن الارض تضعف وتقل ناريتها حتى تتلاشى فتعدم ، واختلفوا في منتهى مسير تلك الحرارة ومحل تلاشيها : فقدره القدماء سبعة عشر فرسخاً وميلاً ، وقدره المتأخرون بأقل من ذلك مختلفين فيه .

وفي أوائل انعدام تلك الحرارة تنجمد البخارات والادخنة المرتفعة من الارض وتثبت الرطوبات الصاعدة من البحار والبخار ونحوها ، فتلبث هنالك منطبقة .

ولهم على هذه الدعاوى براهين قوية .

ومن هنا قسموا الهواء المحيط بالارض الى طبقات ، مثل طبقة النسيم وهي المتصلة بالارض المتحرك هوؤها الى الجهات ، وهذه آخر الطبقات وأصلحها للبعيشة ، وينتهى محدبها - على ما في عجائب المخلوقات - الى ستة عشر ألف ذراع فوق الارض وقيل اكثر . ومثل طبقة الزمهرير الساكن هوؤها الممتلئ من الرطوبات المنجمدة والغازات المتكاثفة ، وفي أوائل هذه الطبقة الباردة تجرى الغيوم وتثور البروق ، وهي غير صالحة للبعيشة ، والواصل اليها يرعد ويرعف ويضعف وينزف الدم من اذنه وعينه ومنافذ جسمه والحكماء المتأخرون عن الالف الهجرى وافقروا القدماء الى هنا وخالفوهم في أمور :

(منها) انكارهم لطبقة النار التي زعم القدماء احاطتها بكرة الهواء .

(ومنها) اثبات الوزن للكرة الهوائية والبخارية كما سيأتي .

(ومنها) ان الارض مع كرتها الهوائية والبخارية تجول في الفضاء الخالي عن الارضيات الممتلئة من سيال جوهر (أثير) كما مر في البحار السماوية .
واختلف المتأخرون في منتهى طبقات الهواء المشايعة لارضنا في الحركة فقال (فلامريون) الفرنسي مامعناه : ان الجسم المحيط بالارض تبلغ فخامته مائة الف متر تقريبا وسمى ذلك بـ (الاتمسفر) والاصل (اتومس اسفر) كلمات يونانية بمعنى البخار المدور .
والمشهور بين حكماء عصرنا ان علو اتمسفر ليس بأقل من خمسة عشر فرسخا وان اختلفوا فيما فرقه .

والعمدة في ميزان حسابهم معرفة مقدار انكسار النور في الفجر والشفق عند نفوذه في السكره الهوائية ووصوله الينا ، ولذلك قال الفاضل الشذوري في كتاب العروس البديعة : ان علو الجلد - أى السكره المحيطة بأرضنا كالغلاف والقشر - وارتفاعها من الحد الذى يتكسر فيه النور فهو نحو خمسة وأربعين ميلا ويعرف بواسطة الشفق ، ولعله يمتد الى علو مائة أو مائتين ميل فوق سطح الارض .

وهذا الاحتمال يصحح تجويز بعض الحكماء كون علو الجلد ثلاثين فرسخا وفي كتاب الآيات البيّنات : ان مظاهر الشهب والاشفاق القطبية فيه على أمد سبعين ميلا الى ثلاثمائة ميل ، وذهب بعضهم الى ان علوه نحو خمسمائة ميل .

وحكى عن نيوتن انه قال بارتفاعه خمسين فرسخا .
وقد ذكر مؤلف حقائق النجوم أدلة قوية على ان السكره البخارية الارضية فوق مائة ميل ، غاية الامر اختلاف طبقاتها في الكثافة واللطافة حتى يتصل بالملأ الاثيرى الذى لم نسمع بالطف منه .

وأما الفجر والشفق فلما كان حصولها من كثافة الهواء لا جرم كان ظهورهما من ابتداء خمسة وأربعين ميلا ، فلا يكون هذا التحديد دليلا على نهاية الكرة البخارية ، بل إنما يدل على ان كثافة أبخرة هذه الكرة تنتهي الى خمسة وأربعين ميلا ، فلا ينافي هذا وجود بخار لطيف وهواء شفاف فوق ذلك ، ولا سيما بعد ظهور العلامات الصادقة الناطقة بوجود الهواء والبخار فوق مائة ميل حتى يبلغ الاثير .

وقال فانديك في الجزء الثالث من النقش في الحجر : انا عاتشون في قعر اقيانوس سيال معدل عمقه بالأقل مائة مثل عمق أوقيانوس الماء الغامر للكرة الأرضية .

والمحصل مما سبق ان أرضنا هذه يحيط بها كرة بخارية غازية محشوة بالاجزاء الكهر بائية ، ويعبر عنها بالزمهرير أو الجلد أو اتمسفر أو كرة الثلج أو غير ذلك وعلوها ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً ، وان قالوا بأكثر من ذلك وهذه الكرة البخارية مع الكرة الهوائية التي في جوفها تتحركان بمصاحبة الكرة الأرضية بجميع حركاتها الوضعية والانتقالية .

* * *

إذا عرفت هذه المقدمة قلت: يخطر ببالى معنى مستغرب فى بادية النظر ولكنه مستحسن عند التفكير فى شواهد ، وموجز ذلك : ان السماء إذا ساغ وشاع اطلاق لفظه على كل موجود علوى - كما تقدم - فلم لا يجوز أن تكون سماء أرضنا عبارة عن الكرة البخارية المحيطة بهواء أرضنا ، وكذلك سماوات بقية الاراضى السيارة إنما هى كراتها البخارية المحيطة بها ، فهل ترى مانعاً من ذلك عقلاً أو شرعاً أو لغة أو عرفاً؟ كلا ! بل تجد على هذا المدعى الشواهد والامارات الكثيرة من الآيات والروايات كما سنتلوا عليك . وسوف نذكر أيضاً ان الأرضين السبع السيارة لكل منها كرة هوائية يحيطها كرة بخارية .

أما المقالات الشرعية التي تشهد بأن السماء شرعاً هي السكرية البخارية لكل أرض يوشك أن تكون طوائف عشرة :
الطائفة الأولى

ما نطق من الأخبار بأن السماء مخلوقة من البخار ، وحيثما كانت بيئته المباشرة مع مباني الحكمة القديمة اضطربت كلمات المحققين من علمائنا في تفسيرها فأولوها الى معان لا يخفى ما فيها على من تأمل في خوافيها ، وتلك الأخبار الناطقة بما احتملته كثيرة منها :

١ - في بحار الانوار والانوار النعمانية والعيون والعلل والحاصل وتفسير البرهان ونور الثقلين وتفسير الصافي وغيرها مسنداً الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ان الشامي سأله عن أول ما خلقه الله تعالى ؟ فقال : خلق النور قال : فم خلق السموات ؟ قال : من بخار الماء ...

٢ - في تفسير القمي والبحار والانوار النعمانية وغيرها في ضمن خبر طويل قال : « فثار من الماء بخار كالدخان نخلق منه السموات » .

٣ - في البحار والدر المنثور عن ابن عباس صاحب النبي (ص) : « ان الله أجرى الماء على النار فبخر البحر فصعد في الهواء فجعل السموات منه »

٤ - في شرح السكندري قطب الدين على نهج البلاغة قال : ورد في الخبر « ان الله تعالى لما أراد خلق السماء والارض خلق جوهرأ أخضر ثم ذوبه فصار ماء مضطرباً ، ثم أخرج منه بخاراً كالدخان نخلق منه السماء كما قال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) .. » .

٥ - في البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات » .

٦ - في تفسير الفرات والبحار عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال في

خبر طويل : « ان الله بداله ان يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور قنار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله ، فبنا بهاسماء ارتقا ، الى أن قال ﷺ : « ثم استوى الى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي انشأ من تلك البحور . والظاهر لي وللجمهور من هذا الدخان انه البخار المشابه للدخان ، إذ لا يرتفع من الماء إلا البخار الغليظ الشبيه بالدخان كما سيأتي . ونظير هذه الاخبار ما ورد في شرح كون السماء بحراً مسجوراً أو ماءً مكفوفاً أي ممنوعاً من السيلان . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج في قول علي ﷺ : « والجو المكفوف ، مانصه : ويمر في كلامه ﷺ نحو هذا وأن السماء هواء أو ماء جامد ، ولا يخفك أن البخار مناسب لأن يعبر عنه بالماء الجامد والهواء الجامد معاً .

أقول: سيأتي ذكر اخبار بذلك ترى ، ولنقتطف من خطبة علي ﷺ في ذلك إذ يقول بعد ذكر الارض : « ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وسكائك الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره ، حمله على متن الريح العاصفة » .

الطائفة الثانية

ما نطق بخلق السماوات من الدخان ، وهو كثير أيضاً فذكر منها :
 ١ - قال تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » (١) خصوصاً على القول باستيناف جملة (وهي دخان) كما لا يخفى . وسأذكر أن المراد من الدخان هو البخار المصطلح عند المتأخرين .

٢ - في الكافي والوافي والبحار وغيرها من كتب الاخبار بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الامام الخامس محمد الباقر ﷺ في خبر خلق السماء انه

(١) سورة فصلت آية ١١ .

قال : « كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر الله تعالى السماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فتمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان وخلق الارض من الرماد » (١)

٣ - في تفسير القمي وغيره في خبر خلق السماء فقال تعالى للدخان :
« اجمد ، بجمد .

٤ - في الكافي والوافي والبحار مسنداً عن الامام الباقر محمد بن علي عليه السلام في خبر خلق السماوات والارض قال : « حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماءً صافيةً ، الى أن قال : « ثم طواها فوضعها فوق الارض .. »

٥ - في تفسير الثعلبي وغيره : « أن الله سبحانه لما أراد أن يخلق السماوات السبع والارضين السبع خلق جوهره مثل السماوات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبه فصارت ماءً ثم نظر الى السماء فعلى وارتفع وعلاه زبد ودخان ، فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء ، وذلك قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان) .

أقول : احتمال أن يكون المراد من مثل السماوات والارضين أى في أصل مادة الخلقة في الحجم أو نحوها من الصفات .

٦ - روى جماعة : « أن الله تعالى لما خلق الارض ثار منها دخان فذلك قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان) ..

٧ - في تفسير القمي والكافي كتاب الحج والاثوار النعمانية وبحار الاثوار وتفسير العياشي وغيرها بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام

(١) إشارة الى برودة السديم بعد شدة حرارته كما يعتقد (لابلاس)

انه قال في حديث : « فخرج من ذلك المروج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار تخلق منه السماء » .

٨ - في البحار من جملة حديث : « فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً فأمر الدخان فعلا وسمى ونما تخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين » .

٩ - في البحار والدر المنثور عن حبة العرنى قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف : « والذي خلق السماء من دخان وماء » .

١٠ - في البحار وعيون الأخبار وعلل الشرائع والخصال في مسائل الشامي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال في جملة ما قال : « واسم الدنيا ربيعاً وهي من دخان وماء » .

١١ - في تفسير القمي وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في خبر طويل : « فأرسل الله الرياح على الماء فارتفع منه دخان وعلا فوق الزبد تخلق من دخانه السموات السبع وخلق من زبده الارضين السبع فبسط الارض على الماء » .

١٢ - في البحار عن ابن عباس وابن مسعود صاحبي النبي صلى الله عليه وآله : « ان الله عز وجل كان عرشه على الماء » الى ان قال : « اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء » . ورواه المسعودي في كتاب مروج الذهب أيضاً .
أقول : الظاهر لي من مجموع هذه الاخبار ان المراد من هذا الدخان هو البخار ، غاية ان البخار والدخان إذ كانا من منشأ واحد أو متشابهين في العرف وبدو النظر اطلق اسم الدخان على البخار .

ويؤيدني في قولي هذا ما قاله المسعودي في مروج الذهب والفاضل ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة : ان المفسرين اتفقوا على ان الدخان الذي تكونت السماء منه كان عن تنفس الماء وتبخيره بسبب توجده .

وقال ابن ميثم : والدخان في الحقيقة بخار والمشابهة الحسية في الصورة موجودة بين الدخان والبخار .
 ويؤيدني أيضاً قول أبي البقاء في كلياته : ان كل دخان يسطع من ماء حار فهو بخار ، وكذلك من التندى .
 وأيضاً ما في بعض أخبار بحار الأنوار والدر المنثور في قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان) : فكان ذلك الدخان من تنفس الماء .
 وأيضاً تصریح بعض الاخبار بخروج بخار من الماء كاللذخان غطقت السماء منه - كالخبر الثاني والرابع والسادس من الطائفة الأولى - فيدل على انه من غلظته كان شبيه الدخان لا الدخان الحقيقي .
 وأيضاً نفس خروج الدخان من الماء - كما تكرر ذكره - يدل على كونه في الحقيقة بخاراً إذ لا يخرج من الماء غير البخار .
 الى غير ذلك من الشواهد الواضحة ، فتتضح إرادة البخار من اسم الدخان وقد نظمت جملة من هذه الاخبار بأن السماوات السبع المحيطة بالأرضين السبع بأسرها مخلوقة من البخار ، وسأنقل كلمات الحكماء الذين شاهدوا في أراضى كرات السيارات كرات بخارية عظيمة ، فيكون المعنى الذى قوينا احتمالاً في حقيقة السماوات معنى معقولاً مسلماً موافقاً لجميع ظواهر الشريعة الإسلامية .

الطائفة الثالثة

الأخبار الناطقة بأن السماء مخلوقة من البحر أو من الماء المنجمد أو من الموج المسكفوف أى الممنوع من السيولان لجوده ، والكل ناظر الى معنى واحد ، وهى :

١ - في كتاب العلل والعيون والخصال والبحار وغيرها مسنداً عن أمير المؤمنين علي (ع) حين سأله عن سماء الدنيا مم خلقت؟ قال (ع): «من موج مكفوف»، وفي بعض الاخبار: «من بحر مكفوف»، والمراد واحد كما لا يخفى.

٢ - في نهج البلاغة وغيره عن الامام علي بن أبي طالب (ع) انه قال في خطبة ذكر فيها تكوين السماء من موج البحار: «رفعه في الهواء منفثق وجو منفثق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفاً وعليهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً...». أي جعل الطرف الاسفل من كل سماء موجاً ممنوعاً من الهبوط والسيلان، والطرف الأعلى مثل السقف محفوظاً أو حافظاً عن وصول الأدخنة والكثافات الارضية والشياطين وغيرها.

٣ - في الدعاء المأثور - كما في الدر المنثور وبحار الانوار وغيرهما - : «وأمرت الماء فحمد في الهواء فجعلت منه سبعاً وسميته السهوات».

٤ - في مسائل عبد الله بن سلام المروية في كتاب البحار وغيره انه سأل النبي ﷺ عن سماء الدنيا مم خلقت؟ قال ﷺ: «من موج مكفوف» قال: وما الموج المكفوف؟ قال: «يا بن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكان في الأصل دخاناً». قال: صدقت يا محمد.

٥ - في الدر المنثور والسماء والعالم من كتاب بحار الانوار عن النبي ﷺ انه سمي سبحانه مرت عليه (الغيابة) ثم قال: «وان فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ، وان فوق ذلك سماء أخرى، وان بينهما مسيرة خمسمائة عام».

٦ - وفيها أيضاً عن ابن عباس انه قال: قال رجل: يا رسول الله ما هذا السماء؟ قال ﷺ: «هذا موج مكفوف عنكم».

٧ - وفيهما أيضاً عن الربيع بن أنس قال : « السهات الدنيا موج مكفوف ، وهكذا غيرها من الاخبار المصرحة بالمعنى المختار المفسرة بالموج المكفوف أو البحر المكفوف ، أى المنوع من السيول كما فسرناه .
ولعمرك ان الظاهر الاسلامية لا تجدها تلاثم وتتفق إلا مع الترتيب الذى قويناه نحن .

الطائفة الرابعة

ما دل على ان السهات معدن الماء مثل قوله تعالى : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) (١) وقوله تعالى : (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلاً) (٢) وقوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء) (٣) وغيرها من الآيات الكثيرة الناطقة بأن المياه والامطار معدنها السماء - أعنى كرة البخار - فهى وان كانت يجمع الرطوبات الصاعدة إلا ان ذلك لا ينافى اجتماع الرطوبات وقتاً ما فى موضع ثم تتقاطر الى السحاب ، كما قد يتقاطر الندى على وجه الارض فيناسب عندئذ ما ورد فى بعض كلمات شرعنا الأقدس : « ان المطر ينزل من السماء الى السحاب والسحاب يغربه » .

فهذه الآيات موافقة لما اخترناه ومطابقة لباقي ظواهر الشريعة ، ومناسبة لما استقر عليه رأى الحكماء المحققين من المتأخرين .

(١) سورة القمر آية ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٨ .

وأما القدماء فاذ كانوا يفسرون السماوات السبع بأفلاك السيارات وكانت الافلاك عندهم منزهة عن العنصریات لاجرم كانوا يؤولون لفظ السماء المذكور في مثل هذه الآيات والروایات بالجهة العالية .

ومما يصرح بأن السماء معدن الماء مارواه المجلسي في كتاب بحار الانوار والصدوق في كتاب علل الشرائع وغيرهما في غيرهما انه سأل يهودى أمير المؤمنين علياً عليه السلام : لم سميت السماء سماءً ؟ فقال : « لأنها وسم الماء - يعنى معدن الماء ، وكل من روى هذا الخبر جعل جملة « يعنى معدن الماء ، جزءاً من الرواية ومنه أيضاً ما روى في تفسير قوله تعالى : (كاترا رتقاً ففتقناهما) (١) » ان الله تعالى فتق الارض بالخضر والسماء بالمطر ، .

والظواهر الشرعية بأمرها مصرحة بأن المطر من السماء ، ولا كلام لأحد في ذلك ولكن ترتيب القدماء كان يقتضى تأويل لفظة السماء المذكورة في تلك الظواهر الى جهة العلو ، وأما ترتيبنا فلا يقتضى إلا حمل اللفظ على معناه الشرعى والعرفى الموافق لنفس الامر .

الطائفة الخامسة

الاخبار الكثيرة فضلاً عن الآيات الدالة بأجمعها على تقدم خلق الارضين على السماوات ، وإذ كانت تلك الاخبار من الكثرة بمثابة يصعب علينا سردها فلنكتف ببعض الآيات، ومن طلب الزيادة والتكميل فشاأنه استقرأ مواضعها :

قال الله تعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى الى

(١) سورة الانبياء آية ٣٠ .

السما فسواهن) (١) وقال تعالى: ﴿قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتعملون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها والارض اتبيا طوعاً أو كرها قالتا اتينا طائعين﴾ (٢) فان لفظه (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي .

وقد تقدم النص عن أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك في جملة خطبة له أوردناها في الطائفة الاولى ، وقد قال ابن أبي الحديد في أوائل شرح النهج مفسراً لقول على عليه السلام ما نصه : ظاهر كلامه يقتضى ان خلق السماوات بعد خلق الارض .. الى أن قال : وهذا قول قد ذهب اليه جماعة من أهل الملة واستدلوا عليه بالآيتين ..

ولما كانت الظواهر الاسلامية بأسرها ناطقة بتأخر خلق السماء عن الارض أخذ المحققون من القدماء يتقولون أنواع الأقاويل في مقام علاجها بالتأويل من جهة مخالفتها لمباني الحكمة القديمة ، فان من ضروريات مسائلها تقدم وجود الفلكيات على وجود الارضيات بجميع أقسام التقدم المعروفة عندهم ذاتاً وشأناً ودهراً وزماناً وطبعاً ومكاناً .

وأما على تفسير السماء بكرة البخار - كما استفدناه من الآيات والاختبار - فلا بد من تأخر خلق السماء عن الارض ، فان الكرة البخارية حول الارض لا تحصل إلا من تبخير جرم الارض وتبخير المياه القاطنة عليها والرطوبات المنبثة فيها ، سواء كان هذا التبخير بسبب الحرارة الداخلية الارضية التي منزلتها من الارض منزلة الكبد من الحيوان أو بسبب الحرارة الخارجية الحادثة فيها من حركاتها المختلفة على نفسها وحول غيرها ، ولا سيما الحرارة

المرسلة اليها من الشمس وغيرها ، فيكون خلق السكرة البخارية السهارية متأخراً
بجميع أقسام التأخر عن خلق السكرة الارضية ، كما هو المستفاد من الظواهر
الاسلامية .

الطائفة السادسة

الآخبار الدالة على ان هذه الحضرة المبصرة من الجو هي لون السماء ،
هذا والمحققون من حكماء المتقدمين والمتأخرين متوافقون في ثبوت هذه
الحضرة الميناوية للسكرة البخارية الارضية ، وباعتبارها يسمون الجو المحيط
بعالمنا (القبة الزرقاء) .

وقد أوردت أخباراً كثيرة في رسالة (جبل قاف) تنطق بثبوت هذه
الحضرة اللازوردية لجرم السماء .
فاذا تحقق ان ما يدعونه القدماء سماءً لا يجوز اتصافه بلون قطو ثبت
ان هذا اللون إنما يحصل في السكرة البخارية تبين انها هي المقصودة من
اسم السماء .

قال المحقق نصير الدين الطوسي في التذكرة : وقالوا (يعني الحكماء)
الزرقة التي يظن الناس انها لون السماء فانها تظهر في كرة البخار ، لأنه لما كان
الالطف منه أشد صموداً من الاكثف كانت الاجزاء القريبة من سطح كرة
البخار أقل قبولا للضوء من الاجزاء القريبة من الارض لكثرة البعد والطفافة
ولهذا تكون كالمظلمة بالنسبة الى هذه الاجزاء ، فيرى الناظر في كرة البخار
لوناً متوسطاً بين الضياء والظلام .

وقال الفيلسوف الشهير (فلا ماريون) الفرنساوي ما معناه : ان الحضرة
المتوهمة في الجو هي لون كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا كطبقة معلومة الثخن
والهواء المترام إذا اشتد صفاؤه ظهر مع الحضرة والزرقة ، كما ان الماء

المتراكم في البحر إذا اشتد صفاؤه ظهر بلون الخضرة مع انه ليس بندى لون عندما يقل .

أقول : ويناسب المقام غير الاخبار التي مضت الخبر المروى في تفسير القمي عند بيان خلق السماء قال : « وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب ، وفي بعض النسخ « لون الماء الأخضر » .

وكذا الخبر المروى في الأنوار النعمانية : « ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والارض وأمسكه بقدرته (١) وهذه الخضرة التي نراها هي خضرة ماء ذلك البحر » .

وكذا الخبر المروى في الدر المنثور والجزء الرابع عشر من بحار الأنوار عن سلمان الفارسي : « ان السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رفيعا » .

وكذا الخبر المروى عن الشعبي انه قال : كتب ابن عباس الى أبي الجدر حين سأله عن السماء من أي شيء هي ؟ فكتب اليه : « ان السماء من موج مكفوف » .

والمقصود متضح بحمد الله تعالى عند من له أدنى بصيرة .

الطائفة السابعة

الأخبار الدالة على ان السماء تحت مدارات الكواكب ، وهي :

١ - رواية جابر الانصاري المذكورة في تفسير القمي وغيره في قوله تعالى : « (إنى رأيت أحد عشر كوكباً) (٢) قال من بعد ذكر النجوم :

(١) إشارة الى القوة الجاذبية العامة كما حققناها .

(٢) سورة يوسف آية ٤ .

« وكل هذه النجوم محيطة بالسماء ، » .

فان النجوم على كل حال لا تكاد تحيط بشيء إلا باعتبار مداراتها، فالمراد ان هذه النجوم في مسيرها محيطة بالسماء ودائرة حركها . ولا يستقيم هذا المعنى إلا على تفسير السماء بالكرة البخارية الارضية .
وبهذا التمهيد الشديد نجتمع بين ما ورد ان السماء تحت الفلك وبين ما ورد بخلافه من أن الفلك تحت السماء ، فان أمثال هذه النقلات كانت محسوبة في عداد المتناقضات لكننا نصحح الجميع بتفسيرنا السماء بكرة البخار من كل أرض سيارة ، وبتفسيرنا الفلك بمدار السيار ومجراه كما شرحته في مسألة تحقيق الفلك ، وعلى هذا تكون السماء من كل أرض تحت فلك وفوق فلك - فافهم .

٢ - ما وجدته في بعض أخبار البحار عن الدر المنثور : « ان القمر والرجوم فوق السماء الدنيا ، ولا يستقيم ذلك أيضا إلا على تفسير السماء الدنيا بالكرة البخارية الارضية . فان الحكمة القديمة تحكم بكون القمر في السماء الدنيا - أي الفلك الاول - لا فوّه ، وترى استحالة كون الرجوم إلا تحت أفلاك النجوم ، وسوف أتلو عليك شواهد كون السماء الدنيا هي الكرة البخارية الارضية في مسألة المذنبات .

وزبدة القول ان شتات الأخبار والمضامين المنقولة في الشريعة الاسلامية لا يجمعها ولا يتكفل تأليفها وتصحيحها نظام وترتيب إلا الترتيب الذي ذكرته وشرحته في هذا الكتاب .

الطائفة الثامنة

جمل شرعية ترشدنا الى ان الهواء يفتهى محبده ومنتهاه الى السماء وهو

مشيدها ، وهي :

١ - في دعاء يعقوب النبي عليه السلام المروى في تفسير سورة يوسف عليه السلام من كتاب تفسير القمي : « يامن شيد السماء بالهواء وكبس الأرض على الماء ، والكل يعلمون ان الكرة البخارية قائمة ومشيدة بالهواء ، بخلاف السماء المفسر عند القدماء ، فانه غير منوط ولا مربوط بشيء من الهواء .

٢ - قول علي عليه السلام في بعض خطبه المشهورة في صفة السماء : « وأمسكها من أن تمور في خراق الهواء بأيده ، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره ، وهذا يدل أيضاً على وقوف السماء وسكونها من الحركة ، وهذا يناسب كونها الكرة البخارية الواقفة بنفسها الجارية بمتابعة الأرض ، ولا يستقيم مسع تفسير السماء بأفلاك القدماء التي لا تنفك عنهم من الحركة الذاتية ، و (المور) اضطراب الجسم السائل ، كما ان (الميد) اضطراب الجسم الجامد .

وقال علي عليه السلام في أول خطب النهج : « في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ، فان المراد من السقف هنا هو سماء الدنيا فاذا كان سائراً فقد ناقض ما دل على وقوفه وثباته ، ولا يزول هذا التناقض إلا بما قلناه في حقيقة السماوات وترتيبهن ، فان الكرة البخارية المحيطة بأرضنا واقفة ثابتة بالنظر الى اتصالها بأرضنا ليس لها في ذاتها تحرك قط حينما هي سائرة بمشايعة الأرض ومتابعتها في الفضاء حول مركز الشمس .

٤ - قال الامام الحسين (ع) في دعاء عرفة المروى في البحار وبلد الامين للكفعمي والصحيفة الحسينية وغيرها : « يامن كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالسماء ، وفي بعض النسخ « شيد ، مكان « سد » ، بصحيف فيه ، وعلى كلا الفرطين يتأيد ما نقصده كما لا يخفى . وأما سد الهواء بالسماء فظاهره احاطة السماء بكرة الهواء من دون فصل ، وذلك غير متجه على ترتيب القدماء ،

فانهم يرون كرة الماء فاصلة بين كرة الهواء والفلك الاول .
 هـ - في كتاب البحار عن أمير المؤمنين على (ع) انه قال في ضمن خبر
 طويل : « سد الهواء بين الارض والسماء ، وهو صريح فيما أشرنا نحوه .
 ولا يذهب عليك ان الاحتمال الآخر كامن في هذه الجملة ، ولكن
 المختار منها اوفق بظواهر السياق واجمع لشتات باقي المضامين المنقولة وأنسب
 مع التحقيقات المقبولة .

الطائفة التاسعة

ما دل من الآيات والروايات على ان السماوات اطباق وطبقات بتناء
 على ما استفاده جمع من علمائنا القدماء وادعوا ظهور تلك الظواهر في انفصال
 السماوات وفراغ فرجها :

(منهم) العلامة المجلسي (ره) فانه يقول في رسالته الاعتقادية :
 « ويجب أن تعتقد ان السماوات غير متطابقة ، بل من كل سماء الى سماء
 خمسمائة عام ، وما بينهما مملوء من الملائكة ، .

(ومنهم) المحدث الجليل السيد نعمته الله الجزائري في شرحه على الصحيفة
 السجادية عند قول الامام السجاد (ع) : « اطباق سماواتك ، قال السيد :
 يدل هذا وغيره من الاخبار على ان ما بين السماوات فرج واسعة ، فقول
 الرياضيين بالمماسه بين محذب كل واحد مع مقعر الآخر باطل ، وتأويل
 الاخبار لتتطبق على ذلك القول أشد بطلاناً .

أقول : ويعجبني شدة تمسك هذا السيد الحافظ بظواهر كلمات الشريعة
 وشدة كراهته من العدول عن ظاهر شرعه الى مطالب الفلاسفة من قبل أن
 يقطع بصحتها ، ومنشأ هذه الخصلة الفاضلة قوة اليقين باستحكام هذا الدين

ثبتنا الله تعالى عليه حتى نرجع اليه وينبغي لجميع المتدينين أيضاً أن لا يستسهلوا العدول عن ظواهر الشريعة المقدسة ومعلوماتها القيمة الى ما يخالفها من مطالب الفلسفة وغيرها جديدها وتليدها ، إلا إذا اتضح الحقيقتة ونهضت عليها البراهين القوية ، فعند ذلك يحسن ارتكاب التأويل في الظواهر المنقولة المعارضة مع الحقائق المعقولة ، وذلك بحكم من العقول وترخيص من الله تعالى والرسول

الطائفة العاشرة

ما ذكر في الادعية والكلمات المأثورة عن أوصياء نبينا محمد ﷺ ان السماوات والارضين ذوات أوزان وميلان خفة وثقلا ، مثل الدعاء المروي عن الامام السجاد عليه السلام حيث قال : « سبحانك تعلم وزن السماوات سبحانك تعلم وزن الارضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظللة والنور ، سبحانك تعلم وزن النىء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة ... »

روى هذا التسييح عنه عليه السلام جماعة كالفقيه محمد الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٩ في الصحيفة الثانية السجادية في الدعاء الخامس والخمسين قال : روى الزهرى عن سعيد بن المسيب .

والسيد نعمة الله الجزأرى المتوفى سنة ١١١٢ في شرحه على متعلقات الصحيفة السجادية قال : ان الشيخ الفقيه محمد بن مكي العاملي الشهيد سنة ٧٨٦ روى هذه الادعية الملحقه وذكر هذا التسييح منها .

أقول : وجدت هذا الدعاء بعينه في سنة ١٣٣٥ هـ في مجموعة كتب أنساب وأدعية في مكتبة سيدنا الحسن بن الهادى المحدث الكاظمى ، وكانت المجموعة بخط السيد محمد بن عزيز الله الحسينى بتاريخ يوم الاحد السادس من

شهر ذى الحجة الحرام سنة ٩٨٤ هـ .

ولا يخفى مخالفة ظاهرها مع مباني الفلسفة القديمة، إذ الوزن عند أصحابها وعند العرف ليس إلا ميلان الجسم نحو مركزه ، فان كان مركزه علوياً كالنار والهواء سمي ميلانه خفة ، وان كان مركزه سفلياً كالتراب والماء سمي ميلانه ثقلاً . ومن ذلك اتفقوا على نفي الوزن مطلقاً عن الفلكيات مطلقاً ، سواء كان حاملاً كأصل جوهر الفلك أو كان محمولاً كالأجرام المركوزة في الفلك مثل الشمس والقمر والنجوم ، لان حقيقة الوزن عندهم ميل مستقيم وليس في الفلكيات مطلقاً مبدأ ميل مستقيم قطعاً .

قال الرئيس الشيخ ابن سينا في الفن الثاني من طبيعيات كتاب الشفا: ان الفلك مطلقاً جسم كروي شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط .. الى أن قال : والمحمول (يعنى الاجرام) لا تثقل له ولا خفة ولا ميل بوجه من الوجوه ولا ممانعة للتحريك .

هذا كله في الفلكيات وأما العنصریات فتصوروا فيها حالتين :

(الاولى) ميل كل جزء من أجزاء كرة الارض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار الى مركز كرة نفس ذلك الجزء ، مثل ميل الحجارة الى الارض وميل النفخة الى الهواء وميل الشعلة الى كرة النار العليا . وفي هذه الحالة يعقل الميل والوزن عندهم ، ولا يذكر وزن إلا ويقصدون هذه السكيفية .

(الثانية) ميل أصل كرة الارض بمجموع أجزائها أو كرة الهواء بجميع دقائقها صفقة واحدة ، وهذه السكيفية أيضاً مستحيلة لديهم ، وينكرون تحقق الوزن بهذا المعنى للأرض والهواء وغيرهما كانكارهم في الفلكيات . وبرهان إنكارهم ان أصل كرة الارض مركز لا جزائها وكذلك أصل كرة الهواء مركز

لاجزائها ، والوزن ميل الشيء الى مركزه ونفس الكرة لا مركز لها حتى تميل اليه ، وميلها الى نفسها أيضاً محال ظاهر ، فلو كان لجرم الارض وزن وميل فاما ان يكون ميلا الى نفسها وهو محال ، واما ان يكون ميلا الى كرة أخرى والمفروض كمال التباين بينهما ، فيستحيل ميل احدهما الى الأخرى .

والنتيجة ان كرة الأرض بنفسها كباقي الكرات لا خفيفة ولا ثقيلة حيث لا وزن لها ولا ميل كالفلسكيات ، ومع اقرارنا بهذه المباني مثل قدمائنا المحققين لا محيص لنا من التصرف في ظواهر الشريعة الدالة على ان السماوات والارضين ذوات أوزان كظواهر التسبيح الذي رويناه عن الامام الرابع عليه السلام وخصوصاً إذا فسرنا السماوات بالافلاك كما فعله المتقدمون من علمائنا .

أما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجري فالوزن لديهم ليس يحدث إلا بالجذب ، وجميع الاجسام الكونية عندهم خاضعة لنواميس الجاذبية من الدراري الى الدراري ، فالثقل عندهم انجذاب الجسم الى ما هو تحته والخفة انجذابه الى ما فوقه ، فكما تختلف الفوقية والتحتية باختلاف الاعتبارات كذلك الخفة والثقل يختلفان باختلافها ، ويعتقدون انجذاب كل جسم الى الأعظم منه في الحجم أو في الجوهر أو في الكثافة ما لم يمنعه جسم أقوى منه ، فالارضيات بأسرها مجذوبة الى كرة الأرض وهي المانعة من انجذاب الغيوم الى كرة القمر والقمر ونحوه أيضاً منجذب للأرض ، والأرض مجذوبة للشمس وهكذا .

فلو صححت هذه الآراء صح التمسك بظاهر الدعاء من دون تصرف فيه أو تأويل ، وثبت الوزن للأرض والسما والشمس والقمر والهواء ، كما استخرجها المتأخرون بآلاتهم الدقيقة وأفكارهم القريبة لديهم من الحقيقة . ونقتصر هنا على ما ذكروه في ثقل سماء الدنيا ، قالوا : ان ثقل الكرة البخارية ١٨٧٣٠٨٩ ١١٥٢٢٢١١٤٩٤٢٠ رطل بريطاني كما في حدائق النجوم

وقيل : ان جملة بخار الماء المنتشر في هواء الأرض يبلغ ثقله ستمائة ألف واثنين وتسعين ألف مليار قنطار ، أعني ٦٩٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ .

وقد عينوا ثقل مقدار من الهواء يحاذي رأس الانسان من لدنه الى ٤٥ ميلا ، ففي الآيات البينات : ان معدل ما يحمله الانسان من الهواء نحو ٦٢٢٤ رطلا وفي (النجوم المشرقات) ان ثقل العمود الهوائى الذى يتحملة بدن الانسان يبلغ ثلاثة وثلاثين الف رطل وستائة رطل .

ولا يذهب عليك ان بين التحديدين فرق كثير بحيث تيقن في اشتباه أحد الكتابين في العدد - فتدبر (١) .

وإنما لم يؤثر هذا الثقل في أعضاء الانسان مع انها تتأثر من عشير معشاره لتساوى ضغط الهواء من كل جهة وزن الجسد فيه هواء يضغظه الى الخارج فيما يعجز المحيط ، أو لأجل اتصال أجزاء الهواء وتماسكها . كما ان ثقل المياه المستوطنة على ظهر الحوتة في قعر البحر لا تؤثر فيه أصلا مع معظم الثقل في تلك المياه . وخلاصة الكلام ان ثبوت الوزن والثقل للسكر البخرية - كما سمعت -

مع إثبات الثقل والوزن للسموات والسمويات يؤيد ترتيبنا المذكور ، أعني كون الارضين السبع هي أراضى السيارات والسموات السبع هي الكرات البخارية المحيطة بتلك الاراضى وليست السموات عبارة عن أفلاك الفلاسفة السالفين لا بحسب الشرع ولا بحسب الفن ، وسيوضح ترتيبنا في المسألة الآتية بحيث لا تبقى فيك ريبه ولا شك ، وتعرف ان الشرق بنور الوحي كيف سبق الغربيين في كشف أسرار الوجود . ونعم ما كتب الاستاذ الكبير والأديب العربى الشهير ميخائيل نعيمة من نيويورك بعد انتشار هذا الكتاب لأول مرة : « ان ما أدركه الشرق

(١) وقال كاميل فلامريون في كتابه : ان سطح جسم الانسان يحمل من الهواء ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلى .

منذ أجيال بايمانه واختباراتهِ الروحية يحاول الغرب اليوم أن يتوصل اليه بتلسكوبه ومكروسكوبه ، ومن العبر ان الغربي كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهر وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب في هذه الايام عن فلسفات الصين والهند والعرب والمعجم ليجد فيها مفاتيح لما أقفل في وجهه من أسرار الوجود .
 اقرأ هذه الجمل الذهبية التي كتبها ذلك العربي العبقري العظيم وتفكر في حالتك السيئة وترائك المنهوب الذي يتبجح به قوم آخرون وتفتخر به ملل لم يكن لها مفخرة حين كنت رافع الرأس تتطفح من جوانبك العلم والمعرفة والثقافة .

ان حالتنا اليوم حالة مؤسفة جداً يجب أن نبكي عليها وعلى ما اندثر من مفاخرنا وعدم معرفتنا لانتهاز الفرص المؤاتية في سالف العصور لاكتساب المعارف والعلوم وتهيئة الجو الصالح لتثقيف أنفسنا حتى لا نحتاج الى الاستجداء من الغربيين وغيرهم .

«المسألة السابعة»

(في ترتيب السماوات السبع والارضين السبع)

ان ما ذكر سابقاً كان في بيان حقيقة السماوات ، وظهرت هذه الحقيقة واضحة جلية لا غبار عليها ولا غموض ، ولكن يلوح لنا من كل ذلك ان كل سماء محيطة بأرضها احاطة تامة ، ولازم هذا أن تكون السماء الثانية على الارض الثانية وهما مجتمعاً على السماء الاولى ، والسماء الثالثة مع أرضها على السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ... فهل يتفق هذا مع المآثورات عن النبي وأهل بيته - عليهم الصلاة والسلام ؟

(الجواب)

ترتيبنا المختار تنطبق عليه مقالات الشريعة الاسلامية ويوافق الهيئة الكوبرنيكية .

أما الهيئة الغابرة فحيثما لم يجوز علماءنا المحققون غيرها أصبحوا يتصرفون في ظواهر أخبارنا لكي تأتلف وتنطبق على تلك الهيئة بتفسيراتهم البعيدة ، مع ما ورد في شريعتنا من الطعن والتشنيع على الفلاسفة الاقدمين وعلى آرائهم البالية ، وصراحة مقالات شرعنا في خلاف ما هم عليه في ترتيب السماوات والارضين .

قال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في رد من زعم ان الفلاسفة يقولون الفلك إذا تغير فسد : « ذلك قول الزنادقة » .

وقال علي عليه السلام في بعض خطبه المشهورة : « وكيف علقت في الهواء سمواتك . » .

وقال أيضاً في خطبة له أخرى : « ونظم بلا تعليق رهوات فرجها . وفي تفسير القمي عند تفسيره قوله تعالى : (من أقطار السموات) (١) قال : « فإذا كان يوم القيامة أحاطت سماء الدنيا بالأرض وأحاطت السماء الثانية بسماء الدنيا وأحاطت السماء الثالثة بالسماء الثانية وأحاطت كل سماء بالتي تليها ثم ينادى : يا معشر الجن والانس . . . » .

وظاهر هذا الحديث يهدي الى أن ترتيب السموات كما يراه القدماء بحيث يكون كل سافل منها في جوف عاليه لا يكون إلا يوم القيامة .

وإنما يتحقق النظام البطليميوسى في السموات على فرض تفسيرها بالافلاك بعد تبدل نشأة الدنيا بالآخرة لا غير .

والنقلات المنافرة لترتيب القدماء وافرة في الشريعة الاسلامية ، والجدير بي أن أضرب عن ذكرها صفحاً واشير الى شرح ترتيبي بعد تمهيد مقدمة ، وهى :

ان المتأخرين قد ارتأوا بأدلة وبراهين ان أراضى سبعة من السيارات الشمسية محاطة وملبسة بالسكره البخارية كأرضنا وزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل وأرانوس ، ولم يصرحوا في نبتون وفلكان بكرة بخارية ، كما ذكرنا في مسألة حصر الأرضين في سبعة ، وسيأتى تصريحاتهم بالكرات البخارية لكل واحدة واحدة . ولست بناس ما تلوناه عليك من جواز تسمية الكرات السامية باسم الأرضين وانها سبعة ، كما لم نفس الشواهد العظيمة التي ذكرناها على ان السماء في شرعنا هي الكره البخارية الأرضية واسم السماء يقع

على كل جرم علوى .

فاذا تمهدت لديك هذه المقدمات قلت ؛ ظنى المستفاد من آثارنا
الاسلامية هو ان الارضين السبع والسموات السبع مرتبة بنظام الله الاكمل
هكذا :

(الارض الاولى) هى التى نحن عليها وندفن فيها ، وإنما ابتدأنا بها
لكوننا فيها ولجهات كثيرة أخرى . والسماء الدنيا هى كرتنا البخارية المحيطة بأرضنا
(الأرض الثانية) هى كرة زهرة بما عليها من الهواء والجبال والبحار ،
وإنما صارت الثانية لأن أولى الحالات فى اعتبار السيارات هو حال ظهورها
لنا ومصيرها فى تجاهنا ، فتكون الزهرة عندئذ أقرب السيارات الى الارض
ثم من بعدها عطارد ثم من بعده المريخ وهكذا الى بقية السيارات السبع .
والسماء الثانية هى الكرة البخارية المحيطة بأرض زهرة وهوائها .

(الأرض الثالثة) كرة عطارد ، والسماء الثالثة كرتة البخارية المحيطة به
(الأرض الرابعة) كرة المريخ وما عليها وما فيها . والسماء الرابعة
الكرة البخارية المحيطة به .

(الأرض الخامسة) كرة المشتري . والسماء الخامسة كرة البخار
الحافة بأرضها وهوائها .

(الأرض السادسة) كرة زحل وما فيها . والسماء السادسة كرتة البخارية
(الأرض السابعة) كرة أرنوس . والسماء السابعة الكرة البخارية
المحيطة بها .

انظر لتبيين ماقلناه الشكل (٧) وقد مضى فى صفحة ٦٣ .

ومن بعد ذلك الفضاء الفاقد للانفضاء المحيط بعالم شمسنا .

وإنما أخرجت نبتون وفلكان عن عداد الأرضين لما مر في مسألة حصر الأرضين في سبعة .

وهذا الترتيب القريب قد صرح به الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) في خبر مروى عنه بأسانيد قوية في اكثر كتب الامامية ولقد وجدته في تفسير القمي وتفسير العياشي وهما من أبناء القرن الثالث والرابع الهجري وفي تفسير سورة الطلاق والذاريات من كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هـ ونور الثقلين المؤلف قبل سنة ١٠٦٥ هـ وتفسير الصافي لمحمد محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ وبحار الانوار والانوار النعمانية وقد صححنا اكثر هذه الكتب في المقدمة الاولى من صدر هذا الكتاب والخبر الرضوي هو هذا بلفظه : ان الحسين بن خالد سأل الرضا علي بن موسى عليه السلام عن ترتيب السماوات والأرضين وقال له : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : فبسط الرضا عليه السلام كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال : هذه الارض الدنيا والسما الدنيا عليها فوقها قبة ، والارض الثانية فوق سما الدنيا والسما الثانية فوقها قبة ، والارض الثالثة فوق سما الثانية والسما الثالثة فوقها قبة ، والارض الرابعة فوق سما الثالثة والسما الرابعة فوقها قبة ، والارض الخامسة فوق سما الرابعة والسما الخامسة فوقها قبة ، والارض السادسة فوق سما الخامسة والسما السادسة فوقها قبة ، والارض السابعة فوق سما السادسة والسما السابعة فوقها قبة ، وعرش الرحمن فوق سما السابعة ، وهو قوله تعالى : (سبع سماوات ومن الارض مثلن) .. الى أن قال - أي الحسين بن خالد : فما تحتنا إلا أرض واحدة ؟ فقال عليه السلام : ما تحتنا إلا أرض واحدة وان الست لهن فوقنا .

أقول : لا يرتاب عارف بالعلم واللغة ان هذا الخبر منطبق على ترتيب

المذكور كأنطبق اللفظ على المعنى والاسم على المسمى ، فهو المهد الذي اليه يستريح والمضمون الذي بمعانيه ينطبق ويصح الكلام الفصيح ، وهو نص قاطع وبرهان ساطع على صحة الهيئة الحاضرة وبطلان الهيئة الغابرة ، لتصريحه بوجود الارضين الستة فوق أرضنا بل وفوق السماء وفاقاً للبعاصرين وخلافاً للقدماء .

وهل كان لما قل في غابر الزمان جرأة التفوه بأمثال هذه الكلم؟ ومن أجل ذلك تاهت العقول من علمائنا المتقدمين في فهم هذا الخبر المقدس الساطع منه أنوار الامامة والوحي ، وإذ لم يتمكنوا من تكذيبه وطرحه لسبب قوته وشهرته تشوشوا في شرحه :

قال العلامة المجلسي بعد نقل الخبر : « ولما كان هذا الخبر ظاهر مخالفاً للحس والعيان فيمكن تأويله ، فأوله بمعنى فاسد بعيد غير مناسب .
وقال السيد نعمة الله الجزائري في الانوار النعمانية : ولا يخفى ما في هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الاخبار وظواهر الآيات أو على أقوال الحكماء والرياضيين ، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وإرجاعه الى متشابهات الاخبار .
أقول : لقد أصاب هذا السيد الجليل في مخالفته مع الحكماء في هذا الحديث ، ولسكنه اشتباه إذ حكم بمخالفته لظواهر الآيات والروايات ، فانه لم يخض فيها خوض تحقيق ولم يغص غرص اجتهاد وتدقيق ولم يستدشق طيب طيب الفلسفة الحديثة حتى يفوز بما فزت به . والحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولي على ترتيب المذكور شاهد قوى غير ذلك الحديث الرضوى وغير اظهار على عليه السلام تعليق السماوات في الهواء ، وغير قوله عليه السلام : « الحمد لله

الذي لا توارى عنه سماء سماءً ولا أرض أرضاً ، ذلك هو المضمون المتواتر في الآثار الاسلامية ، أعني كون السموات السبع متباعداً كل منها عن السماء الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، وكذلك الأرضون السبع متباعد كل منها عن الأرض الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، ولو تأملت علمت ان ذلك بظاهرة لا يكون إلا على ترتيبنا الماضي ، فان المقصود من مسيرة خمسمائة عام غير معلوم تحقيقاً ، ضرورة اختلاف السير حسب اختلاف الأحوال والأوقات والأشخاص والأدوات وغير ذلك من الجهات ، ولكننا نعلم اجمالاً ان المقصود من هذا التحديد في تباعد الارضين هو المراد في تحديد تباعد السموات ، والنتيجة تساوى المسافات فمن كل أرض الى أرض أخرى كمثل المسافة من كل سماء الى سماء أخرى ، كما ستسمع التصريح بهذا المعنى في طي أخبار المسألة .

* * *

وبعد تمهيد ذلك نقول : ان أراضي السيارات السبع إذا انتظمت على ابعادها المعلومة تقريباً وكانت السموات السبع كراتها البخارية كان ما بين أرض والأخرى مسافة مثل ما بين سمائها وسماء أخرى تقريباً ، كما نطقت به الأخبار الكثيرة .

ولو حققنا النظر في مسيرة خمسمائة عام لازداد هذا الشاهد قوة وظهوراً فانا ان فرضنا دابة متعارفة تسير كل ساعة فرسخاً كما هو معلوم ومعمول أبداً حتى ان عرفنا يسمي الفرسخ بهذه المناسبة ، (١) فيكون مجموع سيرها في كل سنة تسعة آلاف فرسخ تقريباً ، ثم يكون المجموع من سيرها في خمسمائة

(١) لأن لفظة الساعة مأخوذة من (السعي) بمعنى السير وقطع

عام أكثر من ستة عشر مليون ميلاً (١) .

وهذا التحديد - كما تعلم - قريب جداً من تحديدات المتأخرين في مسافة الفواصل بين أراضي السيارات ، ولا يناسب مبنى آخر ولا هيئة أخرى .
ولنذكر نبذة من الأدلة الناطقة بهذا المعنى :

١ - في البحار والدر المنثور نقلاً عن سبعة كتب أو أكثر في خبر طويل من جملته : « ان ما بين كل سمانين مسيرة خمسمائة عام » .
٢ - قال الفاضل النيسابوري في تفسيره عند تفسير قوله تعالى : (ومن الأرض مثلن) : « انها سبع أرضين ما بين كل واحدة منها الى الأخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل أرض منها خلق ، الى أن قال : « وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها » .
وفي هذه الألفاظ الأخيرة دلالة أخرى على صحة ترتيبنا تلوح لمن حقق النظر .

وقد ذكر شراح نهج البلاغة كالراوندى وغيره ابعاد السماوات والارضين هكذا في أوائل كتبهم .

(١) ظهر لى في رجب سنة ١٣٣٦ هـ أن المقياس في مسيرة خمسمائة عام المتواتر في الأحاديث الشريفة ليس هو بسير الابل ونحوه ، بل المقياس المذكور في الأحاديث نفسها ، وهو سير الطير كما ترى في حديث التوحيد للصدوق بسنده عن الامام الصادق عليه السلام : « ان لله تعالى ملكا بعدما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير ، وهكذا في أحاديث أخرى ، وهذا التقدير لا يناسب أبواب السماوات بل يناسب أبواب العرش والكرسى ، كما ان هذه الاخبار أيضاً واردة هناك ، فان سير الطير في كل يوم ينوف على مائة فرسخ - فلاحظ .

٣ - في البحار ج ١٤ باب عدد السماوات والدر المنشور عن ١٩ كتاب عن عباس عم النبي قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : « هل تدرون كم بين السماء والارض ، والخبر طويل نعرض عن ذكره وخلاصته ان ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام .

٤ - وفي الدر المنشور عن عدة كتب بأسانيدهم عن ابي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء الى التي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وكذلك الى السماء السابعة والارضون مثل ذلك .

٥ - عن قتادة في قوله تعالى : (فسواهن سبع سماوات) قال : « بعضهم فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ، .

٦ - في البحار عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ : « ان ما بين كل ارض الى ارض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام ، .

٧ - في كتاب دائرة المعارف في لغة السماء عن ابي هريرة قال : خرج رسول الله (ص) على أصحابه وهم يتفكرون ، فقال : فيم أنتم ؟ فقالوا : نتفكر في الخالق . فقال (ص) لهم : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ، تفكروا في ان الله تعالى خلق السماوات سبعاً والارضين سبعاً وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام ، وفي السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه ، .

أقول : ولن تجد ترتيبنا في الظاهر ينطبق عليه جميع هذه الظواهر إلا ما ذكرته ورتبته .

وقوله (ص) : « وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله ، إشارة

الى ما ذكرته في شرح البحار السبعة من مسألة تعدد الارضين ان الفضاء الممتلئ من الجوهر الموج الاثيرى أشبه شئ ببحر موج تسبح فيه الحيتان الصغار والكبار . فاذا اعتبرته بحسب مجارى السيارات فيه صار سبعة أبحر ، وإذا اعتبرت جميعه شيئاً واحداً كان بجرأ واحداً عمقه مقدار مسافات السماوات والارضين .

ويجوز أن يكون الملك القائم في هذا البحر هو الجوهر القدسي الحافظ بقوة جذبه نظام عالمنا الشمسى .

٨ - في تاريخ علم الفلك للظلياني عن مسند احمد بن حنبل بسنده المرتقى الى عباس عم النبي عن النبي (ص) انه قال : « ان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكسوف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله كما بين السماء والارض » .

أقول: الظاهر حمل السماوات في هذا الخبر على الأجرام السامية السيارة
٩ - عن قتادة في تفسير قوله تعالى : (سبع سماوات) قال : « بعضهن فوق بعض ، بين كل سماتين مسيرة خمسمائة عام » .

١٠ - في تفسير أبي السعود بن محمد من فضلاء المائة التاسعة الهجرية عند تفسير قوله تعالى : (ومن الارض مثلهن) ان الجمهور (يعنى اكثر المفسرين والمحدثين) على انها سبع أرضين بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض ، وفي كل أرض سكان من خلق الله تعالى ...

قلت : وهذه الألفاظ صريحة فيما ذهبت اليه ولا تكاد تنطبق إلا عليه ولا ينقض استعجابي من غفلة المحققين عن هذه الآثار الواضحة مع انها تنادى وتصحح بمفاد صحيح هو عين ترتيب المتقدم ذكره .

١١ - في تفسير القمي في سورة مريم والبحار بسند صحيح عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في خبر ادريس النبي عليه السلام : « انه قال لملك الموت : ان غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ، وكل سماء وما بينها كذلك . »

أقول : لا ينبغي ظهور الخبر فيما مر ، ولكن الاشكال إنما هو في قوله (ع) : « غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، إلا ان يراد بالسماء الرابعة كرة البخار من أرض المشتري ، فانها عند الابتداء من فوق أرضنا رابعة السماوات ، وهي غليظة جداً . أو يراد من السماء نفس كرة المشتري . وقد ذكرنا مراراً ان السماء كثيراً ما تطلق على نفس أجرام الكرات السامية ، وغلظ جرم المشتري ليس ببعيد من هذا التحديد ، فان قطر الارض ثمانية آلاف ميل وقطر المشتري اكثر من ستة وثمانين ألف ميل ، أو يراد المجموع المسكور المركب من جرم المشتري وكرته البخارية - والله أعلم بالصواب وأولياؤه الملمهون (١) . »

* * *

و خلاصة النتائج في هذه المسألة ان الآراء المعتمدة عليها في الهيئة الجديدة متفقة على وجود الأراضي العديدة السيارة في الفضاء الفارغ ، وعلى ان لكل منها كرة بخارية محيطة به ، ونحن لا نجد مانعاً شرعياً أو عقلياً

(١) كل هذه التوجيهات وجيهة ومقبولة لو كان الغلظ المذكور في الحديث مختصاً بالسماء الرابعة فقط ، ولكن ماذا نصنع مع الجملة الاخيرة في الحديث الشريف : « وكل سماء وما بينها كذلك ، فان هذه الجملة تنادي بعدم اختصاص هذا الغلظ بالرابعة بل انه موجود في كل سماء من السماوات السبع - (ف) . »

يمنعنا عن تطبيق الارضين والسموات على ذلك ، بل نجد الأدلة الصريحة - فضلا عن الامارات في آيات شرعنا مضافاً الى الروايات - ناطقة بأن الارضين في عالم شمسنا سبعة ، وهي اجرام منفصلة متباعدة بمسافة عظيمة كسيرة خمسمائة عام ، وان السماوات السبع متكونة من بخار الماء ، وكل سماء منها محيطة بأرض من الارضين السبع - كما تقرر في الهيئة العصرية .

فأى مانع يصدنا عن اختيار هذا التطبيق وحمل الظواهر عليه ، مع ما في ذلك من الثمرات الجسيمة مثل شرح الاخبار المستصعبة وحل ما اعتاص وتشابه من ظواهر الكتاب والسنة ، ومثل اثبات ان النبي الامي ﷺ لم يكن ترجماناً لآراء الفلاسفة الأقدمين ، بل كان مخالفاً لهم في علومهم وعقائدهم ناهياً عن تصديقهم .

والاعظم الأتم في مثل ذلك اظهار صدق الشريعة الاسلامية - كثر الله حمايتها في البرية - وتقدمها على المتأخرين في الاخبار غن هذه الحقائق والأسرار والأمور التي قصرت عن نيلها الأبصار والبصائر وعجزت عن دركها العقول والمشاعر .

فوالله على ما اندرس من آثار الاسلام ا وآها آه على ما فاتنا من أقوال الحجاج الكرام ا فكم قد أهمل الحفاظ والرواة آثاراً وأحاديث في هذه الابواب ، فلم ينقلوها من شدة غرابتها عن عقولهم ، وتنفر أبناء ذلك الزمان من أمثال هذه المضامين ، فلم يظهرها الرواة خوفاً من تهكم الجاهل بالتاقل أو القائل ، ومع ذلك كله طفح علينا من رواشع هاتيك الاخبار والآثار رشيحات سقت حداثق العلوم سيجاً .

«المسألة الثامنة»

(في كون الشمس مركزاً للحركات الأجرام)

قد تقرر في الهيئة الكوبرنيكية بعد القرون الكثيرة الهجرية ان شمسنا هذه ثابتة في مركز الحركات كاحدى ثوابت الكون يستقيم بها نظام مجذوباتها فهي في أوسط هذا النظام كالمركز لأدوارها .
فإذا يصنع المسلمون بما يوجد في شرعهم الأقدس من الظواهر الدالة على تحرك الشمس وجريانها ؟

(الجواب)

خالف الفيلسوف المؤسس (كوبرنيك) ومن بعده جميع المتقدمين ، فارتأى ثبات الشمس وتوسطها لدوران الكرات السيارة حولها شبه المركز ، فهي كالبيت الحرام لطواف حجاج الاجرام على أفلاك بيضوية ، ويقع قرص الشمس في أحد المحترقين ، كما يبدو في الشكل الثاني وقد مضى في صفحة ٦٣ .
ثم لا يذهب عنك ان هؤلاء المتأخرين إنما ينفون التحرك عن جرم الشمس بالنظر الى وضعه مع اتباعه ومجذوباته ، ولا ينفون التحرك عنهارأساً كيف وهم ينادون في كل ناد ان للشمس تحركاً على نفسها وضعياً وفي بيدها الفضاء انتقالياً ، ولا يناقض ذلك كونها أيضاً مركز الحركات ، نظير الارض فانها مركز لأدوار القمر ، وهي مع ذلك سيارة على نفسها وحول الشمس مع القمر فسبحان الذي يكون على سطح القمر لا يشعر بسير الارض السنوى إلا إذا

انتقل الى كرة غيرها كذلك من كان على سطح الشمس الجارية أو على سطح
احدى كراتها المنجذبة، فانه لا يشعر بسير الشمس الانتقالى، إذ المجموع من
الجاذب والمجذوب سيار بسير واحد.

نعم إذا انتقل الناظر الى كرة خارجة عن نظام شمسنا أدرك التحرك
الانتقالى للشمس بسهولة.

حركات الشمس

ولنصرف عنان البيان نحو المقصد الاصلى فنقول: ان المتأخرين عن
الالف الهجرى أثبتوا حركتين لجرم الشمس مع قولهم بمركزيتها لادوار اتباعها
(احدهما) حركة وضعية فى حيزها على محور نفسها فى خمسة وعشرين
يوماً ونصف بالتقريب، اكتشفوها فى القرن السابع عشر من الميلاد. وقد
اتفقوا الآن على هذه الحركة واستنبطوها من تحرك الكلف والبقع والشامات
والعلامات المنكشفة على سطح الشمس كلها على نسق واحد من الغرب الى
الشرق فى المدة الميينة.

(الثانية) حركة انتقالية فى البعد البعيد والفضاء المديد تسير بنفسها
وبجميع مجذوباتها الرابية فى حجر شفقتها، فهى تعدو كالمراة الهائمة فى بيداء
الجو ويعدو خلفها أطفالها بلا مأوى ولا مشوى.

ولسكن القوم مختلفون فى استطالة هذه الحركة واستدارتها وفى مركز
دورها وفى جهة الحركة وصوبها ساحبة من ورائها ليف سياراتها حول العالم؛
قال فى حدائق النجوم: ان عالم شمسنا يتصاعد الى نجم فى الفخذ الايمن

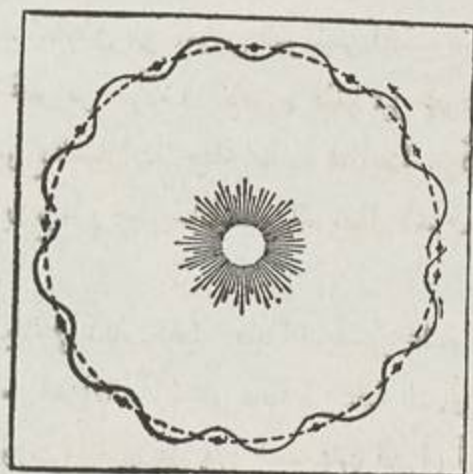
من الجائى على ركبته في سطح معدل النهار .

وفي مشهد الكائنات عن قاموس القواميس المطبوع بباريس عند ذكر الشمس : انها لا تخلو من حركة في الافق ، لانها تميل نحو مجموع انجم هركيل جارة ورامها بمجموع السيارات المحيطة بها ، ولها أيضاً حركة على نفسها تتمها في خمسة وعشرين يوماً وخمس ساعات من الغرب الى الشرق على محور عمودى في فلك البروج .

وقال فاندريك في كتاب الهيئة : فقد اتفق أشهر علماء الهيئة الآن على ان الشمس ونظامها من العوالم السائرة نحو نقطة من القبة السماوية موقعها على الخط الموصل بين (أ) و(ب) الجائى على $\frac{1}{4}$ البعد بينهما عن (أ) أى مماس هذا الفلك العظيم ينتهى الى (أ) الجائى شمالاً والى (ج) الحمارة جنوباً ، والحركة السنوية الى تلك الجهة ١٦٢١ من نصف قطر فلك الارض ، أى ٤٠٠ ٠٠٠ ١٤٨ ميل ، وهى دائرة حول نقطة في الثريا مركزاً أى (ب) الثور حسب رأى ميدلر ، وصرعة هذه الحركة نحو أربعة أميال كل ثانية .

وقال في الآيات البينات ؛ والشمس باجماع الفلكيين الآن تسير بكل اتباعها الى نقطة في الجائى بسرعة معدلها نحو ٤٢٢٠٠٠ ميل فى اليوم ، وظن بعضهم انها تدور بكل عالمها حول ارض انجم فى الثريا يسميه الافرنج (السيوتى) ويسميه العرب (عقد الثريا) .

وفي المجلد الحادى عشر من مجلة الهلال المصرية ص ١٢٤ : ان الاستاذ (كبل) مدير مرصد ليك من أمريكا يعتقد ان الارض تدور حول الشمس كما فى هيئة كوبرنيك ، ولكن الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال ونظامها يتبعها ، فهى لا ترسم أفلاكاً فى مسيرها هذا بل ترسم خطاً متعرجاً يشبه الحية حال مشيها - كما فى الشكل (٦) .



(ش - ٦) سير القمر اللولبي حول الشمس

وقال كبل : ربما تبادر الى الأذهان ان الشمس تسير في خط منحنى ، بحيث يعود نظامها بعد دهر وادهار الى نقطة مبدئها ، ولاكننا لا نمنع أن تكون سائرة في خط مستقيم كما تسير القنبلة من المدفع (١) .

* * *

(١) قال الطنطاوى في كتابه : فاعلم ان حركة قنبلة المدفع لا تزيد عن عشرة أميال في الدقيقة ، وسرعة الأرض في حركتها اليومية ١٦ ميلا في الدقيقة وفي الحركة السنوية الف ميل في الدقيقة ، وفي الحركة العمومية للنظام الشمسى ثلاثمائة ميل كما نقله اللورد أفبرى ، مع ان الزهرة وعطارد أسرع منها إذ يبلغ الاخير قريبا من الف ميل في الدقيقة ، أى كسرعة قنبلة المدفع ما تى مرة .. أقول : بهذا يستدل على ان الحركتين اليومية والسنوية للأرض وإلا لذابت من الحرارة كقنبلة المدفع .

إذا اطلمت على اتفاق المحققين من الحكماء المتأخرين على تحرك الشمس بحركتين وضعية وانتقالية قلنا لك : ان الظواهر الاسلامية دالة على تحرك الشمس فقط من دون تعرض أو ارشاد الى بيان تلك الحركة ، فهي مسوقة على منهج يستقيم مع القول بالحركة اليومية أو السنوية للشمس كما قال بهما المتقدمون ويستقيم أيضاً مع القول بالحركة الوضعية أو الانتقالية للشمس كما قال بهما المتأخرون ، بل لو منحت ألقاظها تدبراً صادقا لظفرت على امارات وشواهد مقترنة بها تشير الى الآراء الجديدة في الشمس وأحوالها :

(منها) قوله تعالى في سورة يس بعد ذكر الشمس والقمر والمنازل والأرض : (وكل في فلك يسبحون) (١) وقد ذكرنا غير مرة ان هذه الآية الكريمة لا ينطبق ظاهرها على الهيئة القديمة ، إذ يمتنع لديهم تحرك الكواكب في جسم الفلك ، ولاجل ذلك النزم القداماء صرف ظاهر الآية بنحو التجوز ، ونسبة السباحة الى المتحرك بالعرض - أي الكواكب - دون المتحرك بالاصالة - وهو الفلك - كنسبة التحرك الى الجالس في السفينة .

وأما نحن المتأخرين ففي غنى عن ارتكاب التجوز والتأويل ، فنأخذ بظاهر الآية ونقول بتحرك نفس الشمس والقمر والمنازل السماوية والأرض ونحوها بالحركة الانتقالية كل في فلك مخصوص به ، غاية الامر ان فلك الشمس مجمول المركز وباقي الافلاك محيطة بالشمس .

(ومنها) قوله تعالى في سورة يس أيضاً : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) (٢) فاحتج الاوائل بظاهرها على كون الحركة المحسوسة طلوعاً وغروباً إنما هي للشمس ، واضطر بوا في (لمستقر) فأخذوا اللام تارة بمعنى الى وفسروا المستقر بمبدأ البروج ، وأخرى بمعنى في وفسروا

(١) سورة يس آية ٤٠ . (٢) سورة يس آية ٣٨ .

المستقر بفلكها .

وعندى فى كلا التفسيرين نظر :

(أما الأول) فلأن المقصود من المستقر لو كان هو البرج الذى تعود إليه الشمس واللام بمعنى الى لا تنلزم سكون الشمس بعد حلولها فيه ، وهذا باطل قطعاً ، ووجه اللزوم هو كون ما بعد الى غاية للجريان مثل وصمت الى المساء ، فلا يشمل الحكم لما بعد الغاية ، فيلزم سكون الشمس بعد وصولها الى البرج الذى ابتدأت منه ، كما لو قلت : « جرى الماء الى موضع كذا ، أى لم يجر من بعد ذلك الموضع .

(وأما الثانى) فلأن المستقر لو فسر بالفلك وكان اللام فيها بمعنى فى كان المعنى ان الشمس تجرى فى جرم فلكها ، وهو مسلم البطلان فى الهيئة القديمة ومناف لمبانيها .

هذا ، ولا يلزم شىء من هذه المحاذير إذا حفظنا ظاهر الآية وطبقناه على النظام الجديد بحمل الجريان على الحركة الانتقالية للشمس فى أعماق الفضاء تامة المأوى وحمل المستقر على زمان الاستقرار لا مكان الاستقرار ، فيكون المعنى - والله أعلم - : والشمس تجرى الى أن يأتى وقت القرار وهو يوم القيامة إذا الشمس كورت والنجوم انكدرت .

واحتمل العلامة الكبير السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى وغيره : ان المستقر بمعنى محل الاستقرار ، وتكون اللام بمعنى (فى) كما فى قوله تعالى (يا ليتنى قدمت لحياتى) (١) أى فى حياتى ، وفى قوله تعالى : (لا يجلبها لوقتها إلا هو) (٢) أى فى وقتها ، وغير ذلك . فيكون المعنى - والله أدرى - ان الشمس تجرى وتحرك فى مستقرها وموضع قرارها بالحركة

(١) سورة الفجر آية ٢٤ . (٢) سورة الاعراف آية ١٨٧ .

الوضعية ، ويكون قوله تعالى : (ذلك تقدير العزيز العليم) إشارة الى لطف هذه الحركة في بادىء النظر وفي نفس الأمر .

هذا كله بناءً على القراءة المعروفة المتداولة ، أعنى قراءة عاصم برواية حفص ، وأما على القراءة المروية عن أئمة آل النبي ﷺ : (والشمس تجرى لا مستقر لها) بلا النافية فتنتطبق على الحركة الانتقالية المنقولة عن المتأخرين انطباقاً ظاهراً لا يحتاج الى تحشم التفسير . وهذه القراءة الأخيرة رواها المفسرون عن أمير المؤمنين على عليه السلام وسبطه زين العابدين والامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم واختار هذه القراءة شيخنا الشريعة الاصفهاني كما سمعته منه ورأيتـه أيضاً في كتابه (انارة الحالك في قراءة ملك ومالك) ، ونقل هذه الأقوال عن مجمع البيان والدر المنثور . وهي تدل على ان الشمس ليس لها مركز محسوس تدور حوله كما يحسبه (كبل) الامريكي . أو تدل على انها لا تستقرار لها كما هو الحق ، إذ الـ (مستقر) مصدر ميمي .

(ومنها) قوله تعالى : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) (١) فان الصارف لظاهر الآية عن النظام الغابر الى النظام الحاضر هو اسناد الحركة الشديدة المفهومة من لفظ التسخير والدأب الى نفس الشمس والقمر ، فانهما إنما يتحركان بأنفسهما في جوف الجوز في النظام الجديد ولا يتحركان قط في النظام التليد إلا بحركة أفلاكما .

ولعين هذه العلة كان أسلافنا يصححون تفسير الآية بعد بنائهم على الهيئة القديمة ، اما بحملها على التجوز في الاسناد أو بحملها على الهيئة العرفية . وقد علمتم بفضل الله تعالى صحة الاعتماد على ظاهر الآية من دون

ارتكاب تأويل أو تصرف بعد البناء على الهيبة الحديثة والقول بتحريك الشمس
وضعا وانتقالا ، وان كان الأوجه قصد الحركة الوضعية من تسخير
الشمس والقمر .

فان قلت : مساق الآية على اظهار نعم الله تعالى لعباده ، وتسخير
الشمس بمعنى تحريكها بالحركة الحسية اليومية والسنوية يدرك الكل له منافع
عظيمة وفوائد عميمة تحقق كون ذلك نعمة ومنة ، وأما تسخير الشمس بمعنى
تحريكها حول نفسها في موضعها فلا ندرك له منفعة لنا أبداً حتى يتحقق كون
ذلك التسخير نعمة للناس .

قلت : راجع كتب القوم وما سطوروا فيها من المنافع العظيمة الظاهرة
في كرة أرضنا الناشئة من دوران الشمس على نفسها ، فان سطوح السكرة
الشمسية مختلفة جداً ، ففي بعضها كلف وشامات كبيرة يبلغ القطر من بعضها
خمسين ألف فرسخ - انظر شكل (٧) .



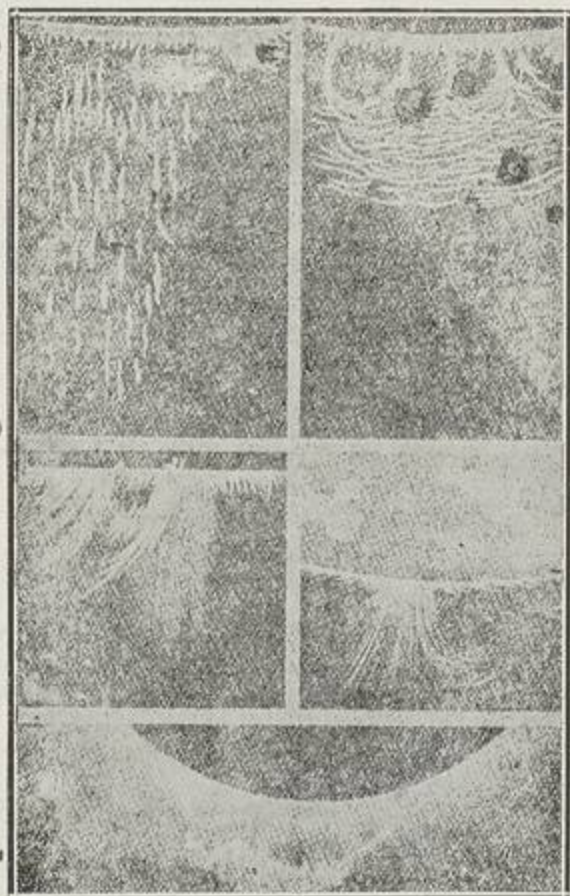
(ش-٧) نوع من الكلف الشمسي

وفي بعضها مشاعل عظيمة وملونة ، ولهبات شديدة الحر والشرر من اشتعال الاجزاء المغنيسومية وغيرها - انظر شكل (٨) .
والمقصود انهم رأوا في ظهور هذه الشامات والكلف ونحوها على وجه الشمس إذا قابل الارض في دوره - بل أيقنوا من العلام - ان ظهورها تيك الامور مؤثرة تأثيراً عظيماً في الشفق وفي جونا وفي الظواهر الكهربية والابر المغناطيسية، فتضطرب وتنحرف عن القطب انحرافاً فاحشاً مختلفاً باختلاف الكلف ، حتى ان معظم المطر يوافق معظم الكلف والعكس بالعكس - كما صرح به فانديك .

ونقلت (اليزا افرت) في كتابها مختصر الهيئة عن (هرشل) ان مواجهة كلف الشمس للأرض مؤثرة في فصولها من جهة خصيها وقحطها . ثم قالت : ان ما انتهت اليه الى الآن معرفتنا بهذه الامور هو ان مدة زيادة الكلف توافق زيادة وقوع الأمطار في الاقاليم الاستوائية .
أقول : بل يؤثر في الحر والبرد أيضا ، لا سيما في الاقاليم الاستوائية وله غير ذلك من التأثيرات النافعة لنوع العباد .

فلا غرابة في أن يكون تسخير الشمس في سيرها المحورى من البارى تعالى لأجل حصول هذه الحالات في الارضين متاعاً لهم وارتفاعاً .
وستطلع أيضاً في المقالة السادسة من البحث الاول من مسألة صفات الشمس على الامطار الشمسية الناشئة عن دوران الشمس ، كما تنشأ الامطار الارضية عن دوران الارض ، ونذكر هناك تأثيرات الامطار الشمسية في أرضنا فتكون أيضاً من فوائد تسخير الشمس بتحريكها الوضعى .

يقول المؤلف هبة الدين الحسينى : ولى أيضاً رأى تحدسته في سبب حركات الارضين من الغرب الى الشرق وان ذلك ناشيء من تحرك قرص



(ش ٨) اللمبات النارية المختلفة في الشمس

الشمس في حيزها كذلك فتبهما بناتها المجذوبة لها ، ولا يستطيع هذا المقام بيان منشأ هذا الحدس وشرحه ، وليس الغرض إلا بيان ان الارضين إذا كانت أدوارها اليومية والسنوية ناشئة عن دور الشمس على نفسها من الغرب إلى الشرق ، وكذلك أدوار الاقار والسيارات ، فقد عادت الفوائد والمنافع بأسرها إلى تسخير الشمس وتحريكها الوضعي على ما مر ، وارتفع الاعتراض والشك من دون شك .

(ومنها) قول علي أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « والجو المكفوف الذي جعلته مغيظا لليل والنهار ويجري للشمس والقمر ، وهو ظاهر في كون التحرك والجريان لنفس الشمس والقمر - كما يراه من تأخر - لا لآفلا كما عن القدماء .

ومن بعد تفسير هذا الجريان بسير الشمس وباقي الاجرام في جوف الجو - كما تقدم عن المتأخرين - يبقى ظهور الكلام محفوظا على أبلغ منهج . وصدر هذا الكلام مصرح بظهور الليل والنهار من تحرك الظلمة والنور إذ الليل ليس عند التحقيق إلا ظل الارض المتحرك دائما من مشرق الارض إلى مغربها ، والنهار في الحقيقة ليس غير النور الشمسي الذي يشرق من مشرق الارض دائما ويغيب في مغربها .

ومعنى كون الجو مغيظا لها انه موضوع غروبها ، ففي نسبة «الغيض» بالضاد والغروب إلى الظلمة والنور لا إلى نفس الشمس اشعار بأن الحركة الليلية والنهارية إنما هي للظلمة والنور ، فلا تنافي عندئذ مسكون الشمس ، لجواز حصول هذه الحركة للظلمة والنور بسبب تحرك الارض .

فكان الامام عليه السلام أشار أولا إلى عدم مدخلية الشمس في إيجاد الليل والنهار ثم أثبت للشمس جريانا مستقلا ، وهو سيرها السريع في أعماق الجو

الوسيع . راجع الدليل الرابع عشر في مسألة حقيقة الفلك .

• • •

وفي القرآن العظيم آيات يمكن الاستشعار منها بمركزية الشمس للسيارات (١) :

(أحدها) قوله تعالى : (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها) (٢) حيث اشار تعالى في القمر إلى تلوه وتبعيته في الحركة ، وسكت في الشمس عما يؤهم تحركها بل اكتفى بذكر أظهر صفاتها وهو نورها وشعاعها الملائمان للطباع والابصار في صدر النهار ، فلو كانت الحركة المحسوسة لذات الشمس كان ذلك التحرك من أظهر صفاتها وأحقها بالذكر .

وأيضا في التعبير بلفظة (تلاها) اشارة الى تبعية القمر للشمس في الحركة كما يراه المتأخرون ولم يكن بين القدماء ذكر من تبعية القمر وغيره للشمس في الحركة بلا واسطة ولا معها .

(١) لا تنس أيها القارىء الكريم ان البحث في هذه المسألة الثامنة كان حول ان الشمس مركز لحركات الاجرام السيارة ، وليكن سماحة المؤلف ذكر في أوائل المسألة ان مركزية الشمس للسيارات التابعة لها لا تنافى مع تحرك الشمس وبقية توابعها مجتمعة بحركة خارجية ، ورأى بمناسبة المقام أن يذكر حركات الشمس وبعض الأدلة الشرعية القائمة على هذه الحركات وفي الحقيقة ان هذا الموضوع كان خارجا عما هو بصدده ومن هنا يبدأ بالموضوع نفسه ، أى ذكر مركزية الشمس لحركات الاجرام السيارة التابعة لها - (ف) .

(٢) سورة الشمس آية ١-٢ .

(وثانيها) قوله تعالى : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) (١)
قال نور الله : ان هذه الآية تشير إلى ان الشمس هي الجاذبة للقمر دون
العكس ، ويشبه قولك في سفيتين عظيمة وصغيرة تتبعها أن تقول : لا
العظيمة ينبغي لها أن تدرك الصغيرة ، أي لا يليق لها بل يليق بشأن الصغيرة
الالتحاق بالكبيرة - فتأمل .

واحتمل العلامة الشهرستاني المرعشي انطباق هذه الآية والثالثة على
النظام الحديث من حيث ان الشمس مركز الحركات لا تتحرك والقمر لا يزال
في دور وانتقال ، فيصدق قوله تعالى : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) .
أقول : ان الإدراك ظاهر في حقوق الشيء لما تقدم عليه بسرعة ،
والشمس في سيرها الانتقال مع السيارات تسير أربعة عشر ميلاً في الثانية ،
والقمر في سيره الانتقال مع الأرض يسير عشرين ميلاً في الثانية ، فالشمس
لا ينبغي لها أن تدرك القمر على آراء المتأخرين أيضاً .

يقول المؤلف هبة الديج : ونجوى فكرتي ان هذه الآية السكريمية ناظرة
الى الحركة الانتقالية للشمس وآية (والشمس تجري لمستقر لها) ناظرة الى
الحركة الوضعية لها ، فسورة يس مشيرة الى حركتي الشمس الوضعية
والانتقالية معاً .

(وثالثها) قوله تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
وقدره منازل) (٢) حيث وصف تعالى الشمس بالاضاءة والقمر بالنورانية ،
ثم خصص القمر بالتحرك في منازل المقدرة وسكت عن تحرك الشمس ، فلو
كانت متحركة في البروج حقيقة - كما زعمه الأقدمون - لكانت الشمس بهذا

(١) سورة يس آية ٤٠ .

(٢) سورة يونس آية ٥ .

التخصيص أولى كما لا يخفى ، مع تعليل ذلك بمعرفة العباد عدد السنين والحساب
وقال نور الله : ويؤيده ان الشمس لو كانت هي المتحركة لكانت أولى
بأن توصف بالتقدير في البروج ، سيما مع اقترانها لفظاً بالقمر المقدر في
المنازل . وحيث ان الله وصفهما بعد ذكرهما وسكت عن تحرك الشمس في
بروجها مع أولويتها دل ذلك على سكوتها واختصاص القمر بالسير .
ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم ﴾ (١) فانه تعالى بعد ذكر الشمس والقمر مقترنين أفرد
القمر بخاصية التقدير في المنازل دون الشمس مع انها أولى بذلك عند القدماء .

* * *

بقي التعرض لبعض ما يستدل به على صحة النظام القديم من المأثورات
الشرعية :

(منها) ما في روضة الكافي والوافي وتفسير القمي والبحار وغيرها
بالاسانيد القوية عن الأصبح بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ان للشمس
ثلاثمائة وستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، فتنزل كل
يوم على برج منها ، .

وهذا الخبر رواه في مجمع البحرين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرحه أسلافنا
على الوضع القديم في الهيئة قائلين : ان المراد من البرج درجة الدائرة جرياً
على المعنى اللغوي لا البرج بالمعنى الاصطلاحى - أعنى سدس نصف الدائرة -
والدائرة منقسمة الى ثلاثمائة وستين قسماً متساوياً تسمى كل قسمة درجة
وتنزل الشمس كل يوم في برج منها - أى في درجة واحدة - حتى تكمل الدورة
في سنة ، فنسبة النزول الى نفس الشمس في الحركة السنوية مشعرة بكون الشمس

متحركة .

قلت : وفي الخبر شواهد واضحة على بطلان هذا التفسير :
 (أحدها) ان الدرجة لدائرة الشمس عند القدماء - سواء أخذتها من
 فلك الشمس أو من فلك البروج - فانها اضعاف كرة الارض تماماً ، فكيف يصدق
 مع ذلك قوله عليه السلام : « كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب » ، فان
 الجزر الواقعة في جزيرة العرب صغيرة جداً ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى
 مجموع الارض ، فكيف ينطبق عليها درجة الفلك الفاضلة على اضعاف بمجموع
 الارض ؟ فاعط النظر حقه .

(وثانيها) ان الشمس لا تقع على درجة واحدة في كل يوم من دائرة
 البروج ، بل هي في غاية الاختلاف ، فقد تقع على اكثر من درجه في اليوم
 وقد تقطع الاقل منها - كما لا يخفى .

(وثالثها) ان السنة الشمسية اكثر من ثلاثمائة وستين يوماً بعدة أيام ،
 واللازم من تفسيرهم المذكور للخبر المسطور أن تكون السنة ثلاثمائة وستين
 يوماً لا أقل من ذلك ولا اكثر ، وهو باطل جزماً .

هذا ، وقد روى المحدثون والمفسرون كما في البحار وغيره عن ابن عباس
 عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : « ان للشمس ١٨٠ منزلاً في ١٨٠ يوماً ثم انها
 تعود مرة أخرى الى واحد منها في أمثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة . »
 وظاهر ان هذا الحديث مع الحديث المتقدم مسوقان على سياق واحد
 وينظر ان نحو منظور مفرد والبرج والمنزل في العرف بمعنى المحل ، فلو صح تفسير
 علمائنا المتقدمين توجهت الاشكالات المذكورة على هذا الحديث أيضاً باضافة
 اشكال آخر أصعب مما مر ، وهو تصريح هذا الخبر المتأخر بأن منازل الشمس
 تتكرر في السنة وانها لا تكون ثلاثمائة وستون إلا بعد عود الشمس في كل ستة

أشهر الى نفس تلك المنازل التي قطعتم، فيكون المجموع من ١٨٠ يوماً و ١٨٠ يوماً سنة كاملة ولا يلتزم هذا الأمر مع تفسير الخبر بما قد مروى من حمل نزول الشمس على حركتها في البروج الاثني عشر، إذ لا تعود الشمس الى شيء مما حملته إلا بعد تمام السنة وإذا انحرف وجه الحديث عن الوضع القديم فمعج به نحو النظام القويم واحمله على بيان الحركة الميلية الأرضية لترتفع الاشكالات جميعاً ويتفق الحديتان معاً وتلتئم الظواهر بالحقائق .

حركة الارض ومعرفة الدرجات والبروج

ان الأرض من جهة ميل محورها الاستوائى ترى حالة سيرها السنوى كهد يتحرك فى موضعه، توجه صفحات سطحها الى الشمس راتحة من الجنوب مثلاً الى الشمال فى ١٨٠ يوماً ثم ترجع من الشمال الى الجنوب فى ١٨٠ يوماً وبمجموع ٣٦٠ يوماً يكون سنة كاملة طبق ما نطق به خبر ابن عباس .

ثم ان البرج والمنزل غير محمولين على معناهما المصطلح قطعاً، بل ينظر ان الى المعنى العرفى لهما هو المحل والموقع، والمقصود منهما فى هذه الاخبار قطاع من الارض من دائرة نصف النهار يقع عليها توجه الشمس فى كل يوم، فتكون البروج والمنازل - بناءً على هذا - مأخوذة من سطح الارض لا من سطح الفلك ومعلوم ان هذا القدر من خط نصف النهار الذى يواجه الشمس عند ميلها الجنوبى والشمالى قريب من ٤٧ درجة اصطلاحية، والدرجة اكثر من عشرين فرسخاً عند القدماء ونحو من ثمانية عشر فرسخاً عند المتأخرين، فمسافة مجموع ما بين الميادين - أعنى الشمالى والجنوبى - اكثر من ثمانمائة فرسخ على كل تقدير

فاذا فرضنا منازل الشمس التي تواجه كل يوم واحداً منها على خط ما بين المليون وفرضنا عددها مائة وثمانين - بمقتضى تصريح الحديث - بكل المقر وضين لزمننا تقسيم عدد الثمانمائة فرسخ على مائة وثمانين قطعة ، فيقع نصيب كل قطعة من الارض التي تنزل الشمس عليها في يوم واحد خمسة فراسخ تقريباً .

فعلى هذا يرتفع الاشكال الاول من قوله **بالتيم** : وكل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، وينطبق على هذا التحديد ، لأن جزائر العرب السلف الكائنة في جزيرة العرب بمنظرهم ومسموعهم لم تكن عظيمة قطعاً - كالجزائر المعروفة في هذا العصر - لقصر انظار القدماء وسعة انظار المتأخرين وحيطتهم بمجمل الارض ومفصلها احاطة لم يكن معشار بعضه لاسلافنا .

والخبير بتواريخ الاقدمين يعلم انهم يطلقون الجزيرة على أرض محاطة بالماء طولها من جريب واحد الى عشرة فراسخ ، فيساعده تحديداً الماضي . ورفع الاشكالين الآخرين ووضح على هذا المبني كما لا يخفى .

ويظهر من الخبر ان للشمس حال ميلها مائة وثمانين منزلاً في الارض بحسب مواقع نورها ومواجهة قرصها من مدار الجدى الى مدار السرطان ، فتنزل أشعة الشمس كل يوم على قطعة خاصة تقرب من خمسة فراسخ بجزيرة من جزائر العرب وهكذا الى نصف السنة ثم تعود الى ما قصته من المنازل واحداً واحداً حتى تكمل ثلاثمائة وستين يوماً وثلاثمائة وستين منزلاً ، وهذا المجموع سنة كاملة .

ولا يختلف منظر الخبرين على هذا التحقيق ، إذ يكون الاول ناظرألى مجموع منازلها في السنة - سواء فيها المنازل الرواحية والرجوعية - بخلاف الخبر الثاني فانه يذكر المنازل السنوية لكنه يفرق بين نصفها الرواحي والنصف الرجوعي .

ولو تأملت في هذا البيان تحقيقاً لو وجدت الخبرين منطبقين عليه أصح الانطباق من دون حاجة الى تصرف أو تأويل في شيء من ألفاظ الخبر ، إلا في نسبة النزول الى أشعة الشمس بنحو تقدير المضاف عند قوله : « فنزل الشمس كل يوم » .

وأما باقي التفاسير فيحتاج فيها الى التصرف والتأويل اكثر مما مر ، مضافا الى ابتنائها على الهيئة الغابرة وانطباق تفسيرنا على الهيئة الحاضرة ، فيكون أولى من بقية التفاسير وارجح .

ومع هذا كله ففي نفس الخبر مؤيدات وشواهد على صحة تفسيرنا : (منها) قوله ﷺ : « نزل على برج منها ، حيث عبر بكلمة (على) فتناسب أخذ البرج والمنزل من سطح الأرض ، ولو كانا مأخوذين من الأفلاك لعبر عنها بكلمة (في) أو غيرها .

(ومنها) تعبيره ﷺ عن مسير الشمس بالنزول ، لا سيما مع التعبير بـ (على) ، فانه يناسب نزول أشعة الشمس على قطاع الأرض في حركتها المييلية السنوية لا غير .

وإنما أطنبت في هذا الخبر لأن جمعا من المحققين القدماء كالعلامة المجلسي وسيد الحكماء الشهير بالداماد وغيرهما فسروا هذه الأخبار بما لا ينطبق على نظام صحيح ، مع أن كلام الحجج الاطهار حرى بالتدبر والاستبصار لعلنا بعلمهم كاملا بالحقائق والاسرار .

ومما يستدل به على كون الحركة اليومية من تحرك الشمس هو الظواهر الناطقة بطلوع الشمس وغروبها وأمثالها .

والجواب عنها (أولاً) بحملها على الهيئة العرفية وحكم الحس في النظرة

البدوية .

(وثانياً) بارادة مطلق الظهور من لفظ الطلوع والايان ونحوهما و ارادة مطلق الخفاء من الغروب والأفول ، فيناسب ذلك نظام القدماء والمتأخرين . هذا كله مضافا الى ان بعضاً منها ليس محكياً من الله تعالى ، بل هو نقل رأى عن الرأى ، مثل ما فى قوله تعالى حاكياً حسبان ذى القرنين : (وجدها تطلع على قوم) (١) وفى قوله تعالى : (وجدها تغرب فى عين حمئة) . وحيث انتهى شرح المسألة الى هذه الآية المشكلة فلا بأس بحل اشكالها مختصراً فنقول : اعترض البعض على هذه الاية المباركة من وجهين :

(أحدهما) ان الارض كروية الشكل لا يتعين فيها موضع خاص للمشرق فقط ولا للمغرب فقط ، بل كل نقطة منها مشرق لمن فى غربها ومغرب لمن فى شرقها ، فكيف يناسب هذا المعنى قوله تعالى : (حتى بلغ مطلع الشمس) أو (مغربها) .

(وثانيهما) ان جرم الشمس أعظم من جرم الارض بكثير عند الاوائل والاواخر فكيف يجوز غروبها فى عين ماء من عيون أرضنا حتى يناسب قوله تعالى : (فوجدها تغرب فى عين حمئة) .

والجواب عنهما ان القدماء كانوا يحسبون ان القطاع البارزة من كرة الماء هى آسيا وأفريقيا وأوربا فقط ، ونحن لا نعلم قطعاً كيفية مسير ذى القرنين ، ولكن المشهور انه سار المعمورة شرقاً وغرباً برأً وبحر ، فلا يبعد وصوله الى سواحل أفريقيا الغربية ، ثم يعجز من عبور الاقيانوس الاطلاتيك كلما بذل الجهد فوجد فى حسبانه الشمس كأنها تغرب فى ذلك البحر وان لا أرض بعده .

ومعلوم ان ظاهر الآية يحكى وجدان ذى القرنين المتوسط في البحر ،
فانه يحسب الشمس طالعة من الماء وغاربة فيه ، وليس في الآية حكم من الله
تعالى بغروب الشمس في العين .

ثم اطلاق لفظ العين على البحر صحيح ، فان لفظة العين ذات معان حجة
قد تعد سبعيناً ، ومن جملتها - كما في القاموس وأقرب الموارد وغيرهما - مصب
الماء ، والماء الكثير ، وفيضانه ، وجريانه وغيرها ، ومصب المياه حقيقة هو
البحر ، فان الجدول مصب مياه الينابيع والنهر مصب مياه الجداول والبحر مصب
مياه الانهار ، فهو المصب الحقيقي لجميع المياه فيطلق عليه لفظ العين .

وأما قوله تعالى : (في عين حمة) أى كثير الحمة وهى الطين
الاسود ، أو فى عين حامة أى شديدة السخونة حسب اختلاف القراءات
فمنطبق على المحيط الاطالنتيك فى غرب أفريقيا ، فان المنقول كثرة السواد
والسخونة فيه ، لا سيما الكائنة منه على خط الاستواء .

فارتفع من انضاح معناها ما اعترضوا عليها بما نقلته وما لم أنقله .
وأما قوله تعالى : (وجدها تطلع على قوم لم نجعل من دونها ستراً)
فلا يتوجه اليه اشكال ، ولا استبعاد أن يكون أولئك القوم سكنة أقاصى شرق
المعمورة مثل سيبريا واليابان والهند ومن يقرب من المحيط الكبير ، وكلهم
اليوم ما خلا اليابان فى التوحش كالخمر عقلا والسباع أ كلا .

والحاصل انه بلغ فى سياحته شرقي العمران موضعاً متوحشاً ووجد
الشمس تطلع على قوم عراة كالوحوش . وبعض الهنود والزنوج المتوحشين لم
يجعل الله لهم ساتراً من الشمس ، فيكون هذا الكلام أبلغ ما قيل مبالغة فى عراء
الانسان ، حيث ان الشمس الكاشفة المبدية لكل شىء هى الساترة لهم لا غير .

« المسألة التاسعة »

(في تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس)

كنا نصدق الحكماء في صفات أثبتوها بأدلتهم لشمسنا المبصرة من حيث الوزن والحجم والعدد وتوليد الحرارة والدوام الى الابد ونحو ذلك ، وكنا نعتقد موافقة تلك الصفات لشريعتنا المنورة ، وقد عثرنا في هذه العصور على مسائل الهيئة المتأخرة فوجدناها نافية لتلك الآراء الناطقة ببطلان مادعاه القداماء تستند في أحكامها الى مبادئ حسية وبراهين جلية ، فهل يتأتى الائتلاف في تلك الاوصاف بين الكشفيات الجديدة وظواهر الشريعة أو لا يحصى من الطرح أو التأويل ؟

(الجواب)

يعلم كل نقاد خبير ان العلوم العقلية - ولا سيما الرياضية - قد انعقدت تكليف بيانها على ذمة العقل دون الشرع ، ولو أفاد الشرع فيها رأياً فذلك من فضله ، وشرعنا الاسلامي إذ كان ختام الشرائع الحقة لاجرم كان اكثرها لإحكاماً وسياسة واكملها تأثيراً في تهذيب النفوس وترقيتها بأصناف المعارف والكمالات .

ولاجل ذلك لم يقتصر كبعض الشرائع على تكميل جهة واحدة كافتقار الدين المسيحي على تكميل أخلاق الخلق ، بل منح نبينا الامي صلى الله عليه وسلم دقائق الحقائق لجماهير الخلائق وفتح لهم ابواب العلوم بأسرها على السنة أو صيانه

من بعده، ففسروا من نكات الحكمة الحقة ما أغنى الباحثين في كل عصر ومصر .
ولعمري ان أقوالهم غدت من كثرة الموافقة للكشفيات المستحدثة توهم
ان المسكتشفين أخذوا آراءهم من تلك الأقوال ، لولا استناد المسكتشفين الى
أدواتهم وآلاتهم . والفحص في مقالاته يبشرنا بصدق هذه القضية كما سترى
فالأنسب بمقامنا شرح بعض ما قالوا في المباحث الخمس المذكورات
في السؤال :

المبحث الاول

(ان الشمس هل هي مصدر الحرارة والنور أم لا ؟)

قد اختلفوا في أن الشمس هل هي بذاتها مصدر الحرارة مثلما انها ينبوع
النور ، كما تقرر في الفلسفة الجديدة أو هي بالذات منبع النور فقط ، وليست
بذات حرارة ولا نارية كما تقرر في الفلسفة القديمة .
وزبدة دعوى القدماء ان الشمس بذاتها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة
ولا يابسة ، لان هذه الامور تخص العناصر والاجرام بأسرها مقدسة عن
العوارض العنصرية ومنزهة من آثار العالم السفلي حسب مبانيهم الظنية ، فالحرارة
المشهودة من الشمس أو اليبوسة أو الاحراق ليست عندهم من نفس الشمس
بل النور الشمسي ذو خصوصية في الوجود تقتضى بعد السطوع على سطوح
الارضيات ثم الانعكاس عنها إحداث الحرارة ونحوها من الآثار .
فنسبة صدور الحرارة الى المستنير أحق وأولى من نسبه الى المنير ، وإنما
المنير سبب اعدادى يوجب ظهور الحرارة من الارضيات ، وليست الحرارة

ثائرة من نفس النور أو الشمس بل المنير مثار النور فقط والمستنير مثار النار .
فالشمس عند المتأخرين كالسراج مصدر النور والنار معاً . وليست
كذلك عند القدماء ..

وحكى العلامة المجلسي في باب ركود الشمس عن المنجمين : ان حرارة
الشمس ليست باعتبار جرمها حتى يقع تعذيب المشركين بتقريبهم من عين
الشمس ، بل باعتبار انعكاس الاشعة عن الاجسام الكثيفة ، ولذلك كلما بعد
عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أضعف - انتهى .
ونقل عنهم في باب محو القمر عدم قبول الفلكيات للسخونة ، وهذه
المسألة معلومة النسبة اليهم .

* * *

وأما الفلسفة الأخيرة فأصحابها متفقون على ان جرم الشمس بنفسه مثار
النور والنار ومرسلهما بالاشعاع الى كل سيار ، وان كرتها مركبة من طبقات
نارية وبخارية لا تبرح عن الثوران والاشتعال ، وشبهوها ببحر عظيم من نار
تلاطمت أمواجه وشعله ، وقد يبلغ طول ألسنتها وزبائيتها نحو خمسين ألف
فرسخ ، وربما انحرفت عن حافته كأنحراف شعلة الشمع إذا لاعتها الريح .
ولو ترى لهايتها الملونة في المناظر الطيفية وما ترمى من الشرر باشتعال
الأجزاء (المغنيسيومية) وغيرها ، ولقد حققوا فيها حتى الان اكثر من أربعة
عشر مادة مما يوجد في أرضنا كالنحاس والحديد وغيرها ، والتفصيل موكول
الى محله (١) .

(١) بلغ كشف المواد الأرضية الموجودة في الشمس بعد تأليف هذا
الكتاب الى أربعين مادة ، وقد اكتشفت هذه المواد بواسطة
سبكتروسكوب - (ف) .

وانما الغرض بيان معتقد الأواخر في شدة نارية الشمس ، وانها تبث النور والنار من نفسها بقضاء الله تعالى في واسع الفضاء وتوصلهما الى سياراتها الراقية في حجر عطوفتها ، وان استلزم تلف آلاف أضعاف ما يحتاج اليه كل سيار ، حتى قالوا : ان الذي يصل الى أرضنا من حرارة الشمس هو جزء من النى مليون وثلاثمائة وواحد وثمانين مليوناً ، وباقى ذراتها النارية يتلف أو يصل الى بقية السيارات والاقمار والشهب والمذنبات .

وأما الشريعة الاسلامية فلن نجد فيها مقالة تشعر بالرأى القديم أبداً ، وأمامقالاتها الناطقة بهذه الاراء المستحدثة فكثيرة والله الحمد، ونذكر منها مايلي :

المقالة الأولى

قوله تعالى : (وجعل الشمس سراجاً) (١) فان الظاهر من هذه الاية كون الشمس كالأسرجة والمصابيح تقيض النور وتثير النار بذاتها وفاقا للمتأخرين ولا يخفى ان القرآن يصف الشمس بكونه سراجاً أو ضياءً أو يصف القمر بكونه نوراً ، ولا يغير هذه السيرة اشعاراً بأن الاشعاع في الشمس غيره في القمر ، إذ الشمس تثير النار والنور بذاتها والقمر لا بذاته بل بغيره .

المقالة الثانية

قوله تعالى : (وجعلنا سراجاً وهاجاً) (٢) فان المفسرين أطبقوا حسب

(١) سورة نوح آية ١٦ .

(٢) سورة عم آية ١٣ .

المنقول على ان المراد من هذه السراج هو الشمس .
 وقال الثعلبي المفسر بعدما فسر السراج بالشمس : الوهاج هو الحار الوقاد
 وقال مقاتل المفسر : الوهاج يجمع النور والحرق .
 وفي القاموس : وهج النور اتقدت .
 فالاية تشير الى كمال المبالغة في وقوع الشمس واشتعالها كما عليه المتأخرون

المقالة الثالثة

في روضة الكافي والخصال والعلل والبحار ومناقب ابن شهر اشوب في
 باب علوم الباقر عليه السلام وغيرها بالاسانيد القوية الى محمد بن مسلم عن الامام
 الخامس أبي جعفر الباقر عليه السلام وفي نور الثقلين وجمع البحرين وتفسير القمي
 والبحار باسناد آخر عن سلام بن المستنير قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : لم صارت
 الشمس أحر من القمر ؟ قال عليه السلام : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار
 وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى اذا صارت سبعة أطباق ألبسها
 لباساً من نار ، فمن هنالك صارت أحر من القمر ، .
 وسوف أذكر الباقي من الخبر في صفات القمر .

وكان السائل كان يعلم من سائر المقالات الشرعية ان الشمس مثار الحرارة
 الحقيقية واسكنه طلب العلم بعلته ذلك ، فشرح له الامام علته بطريق الم (١)

(١) طريقة الاستدلال في المنطق والفلسفة ينقسم الى قسمين :

الأول - طريقة الـ (لم) أي معرفة المعلول بواسطة العلة كأن نقول :

« ان الشمس فيها أجزاء نارية فاذن هي محرقة ، .

الثاني - طريقة الـ (إن) أي معرفة العلة بواسطة المعلول كأن نقول :

« ان الشمس محرقة فاذن فيها أجزاء نارية ، - (ف) .

وذكر جيولوجي الشمس وجغرافيتها الطبيعية .
 وظاهر الخبر يرشدنا نحو عدة من الكشفيات الحديثة المخالفة
 للمطالب القديمة :

(أحدها) ان جرم الشمس مركب على طبقات - كما شرحه المتأخرون -
 وليست مثل ما زعمه المتقدمون بسيطة جداً لا يشوبها نحو تركيب أصلاً .
 (وثانيها) ان الشمس كالأجرام الأرضية مركبة من العنصریات
 والماديات من نار وماء وبخار وهواء وغير ذلك كما تقرر في الفلسفة الجديدة،
 خلافاً للمتقدمين البانين على بساطتها وتقديسها عن الفلسفيات ونزهها عن
 العنصریات .

(وثالثها) كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية وفاقا للمتأخرين
 وخلافاً للقديما وقد مر القول في آرائهم تفصيلاً .
 (ورابعها) ان جرم القمر أيضاً ذو حرارة وليكنها خفيفة، وسأشرح
 القول فيه في أحوال القمر .

(وخامسها) ان العمدة في وجه حرارة الشمس ان الله تعالى ألبسها
 لباساً من النار يحيط على طبقاتها المودعة فيها حسب منطوق الخبر، وبذلك
 قال المتأخرون أيضاً .

ففي ارواء الظلم لكر نيلكوس فانديك : ان قوة اشعاع الشمس
 منحصرة في غلاف من مادة نيرة تحيط بالجرم سميت ال (فوتوسفير) وكل
 قوة نواة الجرم منصرفه في ابقاء تلك الكرة على فعلها من اشعاع النور
 والحرارة، فكون الجرم ذاكرة محيطة نيرة مشعة شرط لازم لاعتبار ذلك
 الجرم شمساً بين شموس الفضاء، وتلك الكرة النيرة لا تتكون إلا من مادة
 مشتعلة تؤثر في النور المشع من النواة وهذه المسألة لا يحلها إلا آلة السبكتروسكوب

أعنى المنظار الطيفي بجلها النور الى ألوانه الأصلية - انتهى .
قلت : فما لا يحله شيء غير السيكتروسكوب كيف يمكن أن يشرحه
حامل الوحي والالهام لأهل عصره أزيد مما قال؟ وليت شعري كيف تلفظ بهذا
القدر وكيف تحمله السائل والسامعون وصدقوه حيث لا رأى يعاضده ولا
أداة تساعده .

ولعمري أن تصديق الناس لأقوالهم والحالة تلك كاشف عن منتهى ثقة الناس
بهم بسبب ما شهد الناس من أهل هذا البيت القدسي من الصدق والصفاء
والامتيازات العلية والعملية عن سائر الناس .
والأعجب من الجميع وصولهم الى دقائق هذه الحقائق الخفية ، من
دون طريق على ولا عملي وصولا لا يحل له غير جهة الولاية والاحاطة
الغيبية بجميع ما في الكون .
وأيم الله تعالى انه بما تعرضنا عند العثور على أمثال هذه المقالات
الشرعية دهشة ليست بأقل من دهشة الحاضر بين يدي صاحب الشريعة
الطاهرة الناظرة الى معاجزه الباهرة .

المقالة الرابعة

في الكافي والبحار بالاسناد القوي الى الأصبح بن نباتة صاحب علي (ع)
انه قال : قال أمير المؤمنين علي (ع) في حديث طويل : « ان
الشمس لو كان وجهها لأهل الارض لأحرقت الارض ومن عليها من شدة
حرها » .

وظاهر هذا الخبر الشريف ناطق بكون الشمس بنفسها ذات حرارة

شديدة فاتقة النهاية .

* * *

فان قلت : ان الشمس جرم كروى دوار على نفسه فلا يكون له وجه
أحر من وجهه ، ولو فرض أيضاً فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران ،
فلا تبقى صفحة لا تواجهنا أبد الدهر .

قلت : قد ادعى القوم فى ارضادم الجديدة - كما فى تقويم سنة ١٣٢٣ هـ
لنجم الملك الطهرانى - ان الشمس بعض وجوها أحر من بعض ، وان
صفاحا الاستوائية لو خلت عن كلف هى أحر من أطرافها التى تتجاوز
عرض ثلاثين درجة على نسبة ١٧ مع ١٦ ، فاندفع قولك : « لا يكون له
وجه أحر من وجهه » .

ثم انهم ادعوا أيضاً - كما فى التقويم المذكور - ان الصفحة الشمالية
للشمس أحر من صفتها الجنوبية ، وقد سبقهم الاستاذ هرشل فى دعوى
كون النصف من وجه الشمس أحر من النصف الآخر ، فاذا كانت الصفحة
الشمالية أحر من الصفحة الجنوبية اندفع قولك : « ولو فرض أيضاً فانه يرينا جميع
صفاحه عند الدوران ، لأن صفاحا القطبية - شمالية كانت أو جنوبية - لا تواجه
أرضنا ابداً حيث ان الارض تدور حول الصفاح الاستوائية للشمس ، وقطبها
بمعزل عن مواجهة الارض . فن كان على الأرض - وان رأى قطبي الشمس
بالفرض إلا انه لا يواجه القطب فى استفادة الاشعة ، فلا تتجه أشعة
قطب الشمس نحو الارض مثل اتجاه أشعة أو ساط الشمس ، ويظهر حق الامر
بأدنى تأمل فى المسألة .

* * *

إذا عرفت ذلك جاز ان تراد الوجهة الشمالية من لفظ الوجه المذكور

في الخبر: « لو كان وجهها الى الارض لاحرقت ، ولا شك في ان الوجهة الشمالية ليست مواجهة لأرضنا بالمعنى المتقدم ، فلو كانت مواجهة لآحرقت حيث ان الوجهة الشمالية أحر وجوه الشمس بشهادة الراصدين ، فلا يبعد أن تكون تلك الوجهة من الحرارة بمثابة لو كانت أشعتها مواجهة للأرض كواجهة الأشعة الاستوائية كانت محرقة لأرضنا ولمن عليها ومفسدة لمزاجها وأيضاً نجيب عن الاعتراض بأن الوجه قد يكون بمعنى التوجه ، فعليه يكون قول علي عليه السلام: « لو كان وجهها لأهل الأرض ، بمعنى لو كان توجهها لأهل الأرض خاصة لآحرقت الأرض ومن عليها . وهذا معنى صحيح يعترف به المتأخرون أيضاً ، فقد قال بعضهم : ان الحرارة التي تلتف من شمسنا في اليوم الواحد لو اجتمعت في أرضنا لكانت كافية لذوب مقدار من الجليد دفعة، والحالة انه يغطي كل وجه الأرض وسمكه أحد عشر ميلا . وقال فانديك ما خلاصته : ان الحرارة التي تصل من الشمس الى خصوص الأرض في السنة لو أعطيت اليها دفعة وقد اكتست بجليد قطره خمسون ذراعا لذاب الجليد من حينه - انتهى .

فكيف اذا توجهت نحو الأرض أعواماً؟ فهلا تصهر أصلب معادننا وتجعلها مع ما فيها وما عليها بخاراً بل هباءاً في الهواء ، كما أشعر به هذا الخبر - فتبصر .

المقالة الخامسة

في تفسير القمى وجمع البحرين والبحار ونور الثقلين بالاسناد الى الامام الثامن على الرضا عليه السلام انه قال : « الشمس والقمر آيتان ، الى ان قال عليه السلام « وضوءهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم ، فاذا كانت القيامة عاد

الى العرش نورهما وعاد الى النار حرهما، فلا يكون شمس ولا قمر ، .
وبدل هذا الخبر على أمور :

(منها) ان جرم الشمس ذو حرارة ونارية ، وهو مطلوبنا في
هذه المسألة .

(ومنها) ان القمر له ضوء من نفسه لا من الشمس ، كما سنشرحه في
الامر الثالث من مسألة أحوال القمر .

(ومنها) ان جرم القمر أيضاً ذو حرارة ونارية ، وسيأتي شرحه في
آخر أحوال القمر .

(ومنها) ان الفناء بانعدام الصور وتلاشي المواد لا بانعدام المادة . والى
هذه النكتة تنظر بقية المقالات الشرعية في فناء الأجسام - والله العلام .

المقالة السادسة

في الكافي والبحار وجملة من كتب الاخبار مسنداً عن جابر انه سمع
الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول في حديث له : « ان للشمس ملكا
ينضحها بالماء ، ولو لا ذلك لاشتعلت الأرض ، » .

ودلالة هذا الكلام على كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية واضحة
ولكن البحث يتوجه الى كشف الماء الذي ينضح به الشمس .
ولى في هذا المقام ثلاثة أوجه :

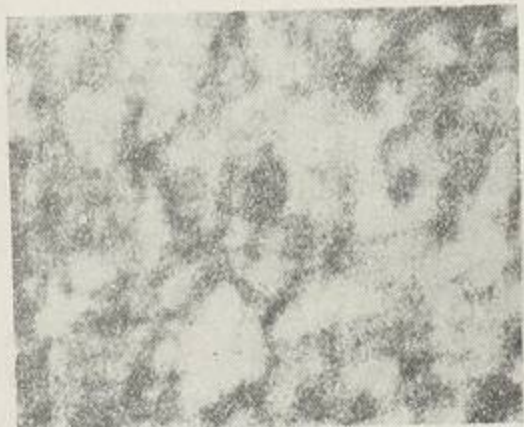
(الاول) ان اكتشاف الاسرار العظيمة من كلمات شريعتنا القويمية
يعدنا باتضاح هذه المشاكل وظهور مهام الحقائق منها في الدور المستقبل .

(الثاني) يجوز أن ينظر ظاهر الخبر الى بث الله تعالى ذرات مائية
ورطوبات رشيّة في كرتنا الهوائية لتنقيص حر الأشعة الشمسية الساطعة على

أرضنا، سواء كانت الرطوبات من تبخير البحار أو من نفس كرة البخار، ولولا ذلك لاحتقرت الأرض وأهلها - كما مر في المقالة الرابعة .

(الثالث) احتمل أيضاً أن يكون ذلك إشارة الى الأمطار الشمسية التي ادعوها في دورنا الجديد ، ونقل عنهم الفلكي نجم الملك الطهراني في تقويم سنة ١٣١٦ هـ ما خلاصة معناه :

« ان من الحوادث الشمسية امطارها ، وقد وجدوا في ناحية من الصوب الغربي للشمس في سعة ثلاثين درجة زائدة سحابة الشكل متشعبة قد اختلط بعض أقواسها العالية والتي على ناحية الـ (كرومسفر) منها كان على شكل السهام والشعل عليه بقع سحابة نيرة كما ترى في شكل (٩) وعلى طرفها



(ش - ٩) بقع الشمس كما رؤيت في ٢٥ يوفيو الساعة ٤ والدقيقة ١٩

سنة ١٩٠٥ م

الشمالى شبه خيوط رقيقة وخطوط دقيقة أو كصيب من السماء تصوب نحو السفلى ، وفى مركز القرص سحابة كثيفة طريقة الشكل نيرة يمتد منها الى السفلى مثل العروق السكثيرة تشبه نزول الغيث ، وينزل عن يمينها الى ناحية القرص مثل شدات الخيوط النيرة كالمطر المورب فى نزوله بسبب اختلاف الريح .

« وقد حسبوا سرعة نزوله فى كل ثانية مائة وخمسين فرسخاً ، وظهر فى ذلك التاريخ حسب الاتفاق فى أوروبا شفق عظيم جداً ، وشاهدوا بعد ذلك أمطاراً كثيرة شمسية ورأوا بعد شهرين سحابة كثيفة منيراً على الشمس ومن أسفله شبه خيوط وعروق كالخطوط المنحنية » - انتهى .

والحكم منهم بكون ذلك مطراً فى الحقيقة حدسى ولم يبلغ بعد مبلغ الجزم به ، إلا انه لو صح وثبت انطبق عليه فى الظاهر قوله (ع) : « ان للشمس ملكاً ينضحها بالماء ، إذ المطر الحقيقى الحامل لرتوبة وماء كاسر قطعاً لسورة نيران الأشعة المنبعثة والحرارات المنبثة ، ولو كان ذلك المطر ناشئاً من نفس الشمس وأبخرتها التى ادعوا تصاعدها منها والغازات المتوفرة فى ذلك الجحيم . فاتضح والله الحمد من هذه المقالات ان النبى (ص) وأوصياؤه القديسين نطقوا بهذه الآراء المستحدثة فى هذا المقام أيضاً كسائر المقامات . فحققوا يا اخوتى نظر الاعتبار فى كلمات هؤلاء القديسين الاخيار لعلكم تفوزون بالفوائد العظيمة انفعها لىكم الايمان بالشرعية القويمة .

المبحث الثاني

(في قطر الشمس وكمية جسامتها)

قد اختلف الأقدمون في قطر الشمس وكمية جسامتها. فزعم (هيرقلس) الفيلسوف ان جرم الشمس لا يزيد عما نشاهده بالابصار ، وزعم (انكسفوراس) ان جرمها اكبر من بلاد المورة .

كذا في هامش مشهد الكائنات ص ٨٣ ، وفيه أيضاً ان (طاليس) الفيلسوف زعم ان جرم الشمس مضى بنفسه وقدره مثل جرم القمر مائة وعشرين مرة - انتهى .

والمعلوم باليقين لدى كل عاقل مرتبط بالعلوم الفلكية هو ان الشمس اكبر جرماً من أرضنا بكثير .

وأما تحديد ذلك الكثير تحقياً فلا يستريح من شكوك ونقوض كتحديد سائر الاجرام السماوية ، ولكن المعروف من مذهب بطليموس واتباعه ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض بمائة وستين مرة . وذهب الفيلسوف غياث الدين الكاشاني الى ان الشمس اكبر من أرضنا بثلاثمائة مرة . والارض تحديدها موضع وفاق بين المحققين ، ولم يذكر أحد قط معشار العشر مما ذهب اليه المتأخرون عن الألف الهجرى ، لاتفاقهم ظاهراً على ان شمسنا هذه اكبر من أرضنا بأكثر من ألف ألف مرة ، حتى ان بعضهم

دقق النظر فقال: انها اكبر من أرضنا ١٤٠٤٠٩٠ مرة ، فأين الثريا وأين الثرى ،
والتفاوت بين هذا الرأى ورأى بطليموس كالتفاوت بين رأيه ورأى هيرقلس

وأما الديانة الاسلامية فقد ظهرت في عصر ومصر مظلّين لا يحسبنا وهما
بنور علم ولا يكشف حقيقة ولم يروا بل ولم يشعروا بألّة فلسفية ، ومع ذلك
أعلنت هذه الديانة المقدسة رأياً في قدر جرم الشمس يوافق رأى المتأخرين
أشد الموافقة ، فان علياً وصى نبينا الأُمى ﷺ عندما سأله الشامي عن طول
الشمس وعرضها قال **الشمس** : « تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ » .

وهذا الخبر الشريف رواه جمع من أعظم المحدثين كالشيخ الصدوق في
العلل والعيون والعلامة المجلسي في البحار والسيد الداماد في بعض كتبه .

وفي تاريخ علم الفلك للسنيور الطلياني : حكى المطهر بن الطاهر المقدسي
من علماء القرن الرابع في كتاب البدء والتاريخ وارويه بحروفه قال : روى أبو
حذيفة عن عطاء انه قال : بلغني انه قال : الشمس والقمر طولها وعرضها تسعمائة
فرسخ في تسعمائة فرسخ . قال الضحاك : فحسبناه فوجدناه تسعة آلاف فرسخ
والشمس أعظم من القمر - انتهى .

أقول : في آخر مقاله شاهد على ما سأقوله من ان هذا التحديد ينطبق على
الشمس بكيفية وعلى القمر بكيفية أخرى حتى يصح قوله أخيراً : « والشمس
أعظم من القمر » .

وقال السنيور في هامشه ما لفظه : « ما أفهم معنى قول الضحاك هذا ، لأن
محصول ضرب تسعمائة في مثلها هي ٨١٠٠٠٠ فالواضح انه ليس له علاقة
بما يسبقه » .

ثم لا يخفى ان الكرة لا يفترق طولها عن عرضها لتساوى أبعادها الثلاث

فيكون الطول كالعرض كناية عن القطر ، ويقع الخبر العلوي موقع ان يقال: محيط الشمس تسعائة في تسعائة ، كما هو متضح .
وهذا الكلام يدل بدلالته المطابقة على مقدار محيط الشمس - أعني نتيجة ضرب تسعائة في تسعائة .

ويدل أيضاً بدلالته الإلزامية على ان كرة الشمس مستديرة تامة على خلاف السيارات التي في جانبي قطبيها شبه تسطيح، وانما يستفاد هذا المعنى من الخبر من جهة انه لم يفرق بين الطول وبين العرض في كرة الشمس أبداً، بل ذكر قدراً واحداً لطول الشمس ولعرضها .

وهذان الأمران اللذان أفادهما هذا الخبر يوافقان الآراء الجديدة أى موافقة :

(أما الثاني) فقد قال فاندريك في النقش في الحجر في ذكر الشمس :
وهي كرة تامة لا دليل على تسطيحها من ناحية قطبيها - انتهى (١) .
(وأما الأول) أى كون محيط كرة الشمس تسعائة فرسخ في تسعائة فرسخ

(١) لكن جاء في المقتطف ج ٣٩ ص ٦١٣ : انه ظهر من رصد الشمس وتصويرها مدة السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٩ م ان قرصها غير مستدير استدارة تامة ، أى انها ليست كرة متساوية الأقطار ، بل ان قطرها القطبي أطول من قطرها الاستوائى ، والفرق بينهما يتغير من سنة الى أخرى ... الى ان قال: ويظهر من ذلك ان القطر القطبي كان دائماً أطول من القطر الاستوائى وان زيادته عليه تزايدت رويداً رويداً الى أن بلغت ٣١ بالمائة من الثانية ثم نقصت رويداً رويداً وقد بلغ الفرق سنة ١٩١٠ خمسة في المائة من الثانية ، فن المحتمل ان شكل جرم الشمس يتغير ، وان لتغيره هذا علاقة بظهور الكلف .

فقد قال فاندريك وغيره ان محيطها ٢٧٨٤٥٠٠ بالأميال الانجليزية وذلك
 ٩٢٨٤٧٠ أى تسعمائة الف فرسخ وثمانية وعشرون ألف فرسخ وأربعمائة وسبعين
 فرسخاً تقريباً بالفراسخ الانجليزية .

وهذا التقدير ينطبق عليه الخبر المتقدم انطباقاً واضحاً ، فان الامام عليه السلام
 قدر محيط الشمس بنتيجة ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، أى ٨١٠٠٠٠
 أى ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة آلاف فرسخ ، فينقض عن تحديد القوم بمائة
 ألف فرسخ وشيء ، من جهة ان الفرسخ الواقع في كلام علي عليه السلام هو الفرسخ
 الاسلامى وهو اكثر من الفرسخ الانجليزى بكثير ، بحيث لو حسبنا زيادته على
 الانجليزى بدقة وأضفناها على ٨١٠٠٠٠ لكان عين تحديد فاندريك أو قريباً
 منه ، ولو حصل تفاوت جزئى جاز التسامح فيه من الامام عليه السلام أو من القوم
 فان هذه التحديدات منهم تقريرية غير تحقيقية .

وامرئ ان تحديد جسامة الشمس لو صح في نفس الامر - كما يدعيه
 المعاصرون - لم يبق للنصف عذر في ترك الايمان بهذا الوصى الخبير بهذا التحديد
 قبل اليوم بأكثر من ألف سنة ، حيث لم يكن في العالم طريق حسى ولا حدسى
 يتوصل به الى هذه الحقيقة غير الانتساب الى الوحي وارتباط نفسه القدسية
 بالمبادئ العلوية الذى لا يتفق إلا لخاصة أولياء الله تعالى .

ولو كنت في ريب من السكتب الحافظة لهذه الآثار فعليك لازالة ريبك
 بمراجعة ما نشرته في المقدمة الأولى من صدر هذا السكتب مع تدقيق النظر فيه

* * *

فان قلت : قد سأل السائل في هذا الخبر عن طول الشمس والقمر
 وعرضهما معاً في سؤال واحد ، وأجاب الوصى عليه السلام عن التحديد معاً بقوله :
 « تسعمائة في تسعمائة ، ويتبادر من ذلك مساواة الشمس والقمر في الطول والعرض

ولو ازمنهما، ومن البديهي ان الشمس أعظم من القمر فكيف يستقيم التحديد
فيهما بضرب واحد ؟ .

قلت : مضافا الى بعض النسخ لم تذكر إلا الشمس فقط مع ذلك
يستقيم التحديد فيهما بالضرب الواحد على المباني المستحدثة مع ذكر
القمر أيضاً .

وبيان ذلك : ان الطول والعرض في الكرة - كما مر - كناية عن المحيط
فكانه (ع) قال : محيط الشمس والقمر تسعمائة في تسعمائة .

ولا يخفى ان لفظ (المحيط) ومعناه يعان السطح المحيط بالكرة والدائرة
المحيطة بها ، فاذا كان المحيط معنى عاماً جامعاً لفرديه جاز أن يطلق الامام لفظ
المحيط ويريد معناه العام - أعني ما يحيط بالجسم - سواء كان سطحاً محيطاً بها
أو خطأ محيطاً بها كالدائرة ، فيصح قوله (ع) : « محيط الشمس والقمر تسعمائة
في تسعمائة ، بناءً على كون المحيط في الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها ، وفي
القمر بمعنى السطح المحيط به ، فيطابق تحديدات القوم .

أما كون محيط الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها فقد تبين انه تسعمائة فرسخ
في تسعمائة فرسخ . وأما كون محيط القمر بمعنى السطح المحيط به فيقرب أيضاً
من ذلك ، حيث ان قطر القمر عندهم يقرب من ألفي ميل ، فتكون الدائرة
المحيطة به ستة آلاف ومائتي ميل - على قانون نسبة القطر الى المحيط وانها كنسبة
السبعة الى اثنين وعشرين .

واذا كانت المساحة على كل كرة هي مضروب ربع القطر في الدائرة
المحيطة بها يكون سطح القمر ٣١٠٠٠٠٠ ميلاً ، أي الف الف فرسخا
انجليزيًا وشيئا ، فينقص عنه مضروب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ
أعني ٨١٠٠٠٠ بثلاثمائة ألف فرسخ ، وبعد تميم نقص القراسخ

الانجليزية حتى تطابق الفراسخ الاسلامية يتقارب العدان وينطبق تحديد الوصى (ع) لسطح القمر على تحديد القوم بلا تفاوت كثير ، فحقق النظر حيث ان المقام دقيق .

ثم اعلم ان هذا كله لا يعارض ما روى في البحار ويجمع البحرين وتفسير القمى ونور الثقلين ونسخة الفقيه ابى الليث السمرقندى وغيرها مسنداً الى على أمير المؤمنين (ع) انه حينما سأله عن طول القمر وعرضه قال (ع) : « اربعون فرسخاً في اربعين فرسخاً » .

وبيان عدم المعارضة ؛ ان الطول والعرض في الكرة لما كانا كنايةتين عن المحيط وكان المحيط عاماً للسطح المحيط والدائرة المحيطة أخذنا محيط القمر في كلامه الأول بمعنى السطح المحيط فيكون تسعاً في تسعاً ، وأخذنا محيط القمر في كلامه الثاني بمعنى الدائرة المحيطة فيكون اربعين ، فيكون التحديدان معا مطابقين لتحديدات القوم .

أما التحديد الأول فقد مر تطبيقه ، وأما التحديد الثاني فلأن نتيجة ضرب الأربعين في الأربعين ألف وستمائة فرسخ اسلامي ، والدائرة المحيطة بالقمر عندهم تقرب من ألفي فرسخ انجليزي ، وبعد اعتبار فضل الفرسخ الاسلامي على الفرسخ الانجليزي يتطابق العدان أو يتقاربان .

المبحث الثالث

(في وزن جرم الشمس)

قد فصلنا سابقاً باختلاف الحكماء المتقدمين والمتأخرين في جواز ثبوت

الوزن لسكرات الأفلاك وما فيها وعدم جوازه ، وشرحنا أدلة القوم على امتناع ثبوت الوزن لسكرات العناصر وكرات الأفلاك والأجرام السماوية المركوزة فيها شرحاً كافياً في الطائفة العاشرة من أخبار مسألة حقيقة السماوات فراجع البتة ، إذ لا نعيد كلامنا حذر التطويل مع وجوب الاطلاع عليه وتوقف اتضاح هذا المبحث على المراجعة والتدقيق فيه .

وتنتيجة ذلك الكلام ان القدماء متفقون ظاهراً على ان الوزن مطلقاً - خفة كان أو ثقلاً - منفي عن الفلكيات ، فلا يعقل كون الفلك أو الشمس أو القمر أو النجوم خفيفاً أو ثقيلاً أو حاراً أو بارداً - كما سبق .

وأيضاً الوزن مطلقاً منفي عن كرات العناصر ، فلا يعقل كون كرة الأرض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار خفيفة أو ثقيلة . نعم اجزاء هذه السكرات الأربع تقبل الخفة والثقل بالنسبة الى ميلها نحو مركزها ، وأما أصل الكرة وبمجموع أجزائها فلا ميل فيه فلا وزن له كما شرحناه .

وأما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجري فقد أذعنوا بما استكشفه الفيلسوف (كبلر) ركن الهيئة الجديدة الألمانية في القرن السابع عشر المسيحي ، فيعتقدون حصول الخفة والثقل بشدة الانجذاب وضعفه ، فما قوى انجذابه لجسم ثقل وما ضعف خف ، فالحجر اكشف من الماء وأشبهه بالأرض من حيث الاجزاء فيكون جذب الأرض للحجر أقوى وانجذابه اليه أشد فيكون الحجر أثقل من الماء ، والماء أشبه بالأرض من الهواء واكشف فيكون جذب الأرض للماء أقوى وأشد ، فيصير الماء بذلك أثقل من الهواء ، وهكذا يثقل كل جسم بشدة انجذابه لجسم آخر ويخف بضعف انجذابه ، فنشأ الثقل قوة الانجذاب ومنشأ الخفة وضعفه .

وأما منشأ الانجذاب بنفسه فقد يكون كبر الجسم الجاذب حجماً ويكون

تارة كثافة أو قوة في جوهره أو غير ذلك .

وعلى هذا المبنى يثبتون لسكره الهواء ثقلا ولسكره الماء ثقلا ولسكره الأرض ثقلا ولكل من الثوابت والأقار والشمس والنجوم ثقلا ووزنا، كما مر وزن السكره البخارية في مسألة حقيقة السماوات .

وفي تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ : ان الهواء المحيط بالأرض زنته بجزء من مليون جزء من الأرض .

وأما زنة الشمس ففي التقويم المذكور لسنة ١٣٢٠ : ان جوهر الشمس تعادل جوهر الأرض ٣٢٥٠٠٠ مرة ، وإذا فرضنا كرة فخم حجري يساوي حجمها حجم الشمس كانت أقل ثقلا من الشمس بقليل، ولو قدرنا وزنها بالخر واز الفارسي لكانت الشمس (.....) خرواراً .

وفي مجلة الهلال المصرية المجلد السابع عشر ص ٤٧٨ : ان وزن الشمس ٩٣٦ ٣٥٤ أضعاف وزن الأرض .

ولهم في تعيين هذه الدقائق واستكشاف هذه الحقائق مباني وموازين لا يبعد صدقها وصحتها .

* * *

وأما ظواهر الشريعة الاسلامية فتوافق رأى الحكماء المتأخرين ، وتثبت لكل جسم وزناً ومقداراً يختص به حتى الأرض والسماء والنجوم والهواء والشمس والقمر ، بل تثبت الوزن لأشياء لم تصل اليها أفكار الغربيين بعد مثل النور والنيء والظلمة وغيرها مما نخاله عدما محضاً لا يقبل الوزن أصلاً ، فلا تستبعد استكشاف كونها أموراً وجودية طبقاً لبعض ظواهر الشريعة ، فان هذه الشريعة قد أرتنا غرائب لا تصل اليها غرائب الطبيعة .

كان العلماء من الأواخر والقدماء يتلون في القرآن قوله تعالى : (هو الذى خلق الموت والحياة) (١) ولا يبرح خاطرهم ان الموت أمر عدى كيف يتعلق به خلق الله تعالى ؟ حتى أخذت الآراء الجديدة تميل الى انه صفة وجودية كالحياة ، واعتضدوا بأدلة وكشفيات متينة .

ولنذكر ما تحفظه عن الامام الرابع على بن الحسين السبط عليه السلام ، فانه قال فى مناجاته وتسبيحه لله تعالى : « سبحانك تعلم وزن السموات ، سبحانك تعلم وزن الارضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن النور والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة . »

وقد ذكرنا الكتب المنقول عنها هذا الدعاء والتسبيح فى آخر مسألة حقيقة السموات .

المبحث الرابع

(فى دوام كرة الشمس أو زوالها وفنائها)

قد اختلف الحكماء العظام فى هذا المقام حديثاً وقديماً :
أما المتقدمون فالمعروف من مذهبهم هو ان الافلاك مع ما حوته من الأجرام وغيرها باقية سرمدية فعالة أبدية ومتحركة دواماً لا يكاد يعترها فتور ولا اختلال ولا يقرب من حمائها الفساد فضلاً عن الزوال ، وأقولهم فى هذا الباب لا يؤدى نقلها غير الاطئاب ، وقد ذكرنا فى غرة مسألة الفلك قول

(١) سورة تبارك آية ٢ .

الشيخ الرئيس ابن سينا : « ان الفلك مطلقاً لا يقبل خرقاً ولا التثاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالاً عن حيزه أبداً ولا تغييراً في صفته ، وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر والنجوم كروية من جنس جوهر الفلك الذي لا يتكون ولا يفسد » .

وقال أيضاً في الفصل الرابع من كتاب الشفا : « واففقوا (يعني الحكماء) على انه ليس عنصر الفلك عنصراً للأجسام الكائنة الفاسدة » .
وقد اتبع الفلاسفة الاقدمين كثير من حكماء المسلمين كالشيخ الرئيس وغيره ، ولم يزل الجدال على ساق بين هؤلاء وبين علماء الدين من المسلمين ، والنزاع على قدم الى هذا العصر المبارك الذي اعتنق فيه الدين مع العلم الصحيح وجعلنا يمسيان كتفا بكتف على ما يراه أرباب العلم الصحيح والدين الخالص الاسلامي .

* * *

وأما الحكماء الغربيون المتأخرون عن الألف الهجري فن بعد ما رفضوا التقليد في الفلسفة واجتهدوا في استكشاف الحقائق الكونية بالأدوات الدقيقة والبراهين الرصينة ذهبوا الى ان الأجرام الكونية بأسرها شمسا كانت أو قرأ نجمة كانت أو أرضاً أو غيرها فهي حادثة بالذات والزمان كائنة وفاسدة ، أى كان زمان لم يكن فيه شمسنا ولا قمرنا ولا أرضنا ولا الأنجم السيارة بل ولا الكواكب الثابتة ، ثم كانت وحدثت بعد ان لم تكن قبل اليوم بملايين ملايين من السنين ، وسيأتي عليها زمان الفناء ، فلا تكون شمسنا ولا أقمارها ولا أنجمها بعد ان كانت - فراجع رأيهم في باب السدادات ومبدأ الخلقه - فهم وان اختلفوا في كيفية مبدأ الخلقه على أوجه كثيرة لكنهم لم يختلفوا في أصل حدوث هذه الأجرام وتكونها بعد العدم ، ولا في أصل زوالها وفنائها بعد الكون

خلافاً للمتقدمين .

جاء في المقتطف سنة ١٩٠٥ م ص ٧٠٥ في خلاصة أفكار الفلاسفة في القرن التاسع عشر : « أما الشمس فجسم من غاز حام ، وسبب حرارتها تقلصها بفعل الجاذبية ، وهي تشع الحرارة على مقدار معلوم محدود ، ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدروا ان حرارتها تنفذ بعد عشرة ملايين سنة ، فنظّم حينئذ كأنهم تكن مشرقة وتبرد كأنهم تكن اتون نار آكلة ، ما لم يطر أعليها طارىء . يجدد حرارتها ويبعث فيها قوة شباها بالماضى ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الأول . ثم ذكر اصطدام الكواكب وقال : « ولا يعد ان ينال النظام الشمسي مثل ذلك ، ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انه لو قدر اصطدامنا بأقرب جار لنظامنا وبقيت سرعتنا على ما هي عليه الآن - أعني ١٢ ميلا في الثانية - لاقتضى لنا خمسون ألف سنة قبل الوصول اليه » .

وفيه ص ٣١٢ سنة ٨٩٠ : « ان الشمس قد بلغت درجة من البرد زال فيها اكثر الهيدروجين من جوها وبقي فيها الكلسيوم والالومنيوم والحديد والمنغنيس والنيكل ، وسيأتي وقت يزيد الكربون في جوها ويمتص نورها وحرها لتظلم وتبرد كالارض » .

وقد استخرج هؤلاء المتأخرون من آثار الارض ورسوم أطباقيها اكثر أحوالها الماضية والآتية ، وأوان خلقها وانعقادها وزمان كونها وفسادها وانقباضها وتقلصها وانبساطها وتملصها ، وكشفوا عن حال كل قطعة من أرضنا وبقعة متى كانت معمورة ، وعينوا أعمار الجبال وما اعتراها من الاحوال ، وشرحوا النبات مم كان ومتى استبان ومتى تكون الحيوان ومتى تولد الانسان ، واليك علوم الجيولوجيا والبيولوجيا وغيرهما (١) .

(١) وقد أثبتوا أن جوف الارض مائع ملتهب كما ورد في أحاديث كثيرة .

واستعملوا من موازين الحرارة والنور وتفاوت حر الشمس ونورها بحسب الدهور بل بحسب الأعوام والشهور وأحوال الشمس وعصر خمود ناراها ونفوذ نورها وغير ذلك مما سبق ويأتي .

فالحدس وان كان له الدخل الكامل في استخراج هذه المسائل ولكن الحدس - كما لا يخفى عليك - لا يقصر عن الوجدان اذا اقترب بالشواهد الظاهرة والمقربات الوافرة .

* * *

وأما الشريعة الاسلامية فقد طبق الآفاق نداؤها وتصريحها بحدوث العالم ووجود جميع أجزائه بعد العدم وفاناً للتأخرين وان الشمس والقمر لا يبقى نورهما ولا حرهما ولا شكلهما بل ولا حقيقتهما ، وكذلك الأرض والنجوم تنفث وتنفطر وتذسف وتنفجر وتنطمس وتنكدر وتنكشط وتنتثر ويعتريها الزوال والانتقال والفساد والاضمحلال - كما كانت أول مرة معدومة باطله فاسدة متلاشية .

قال الله تعالى عند بيان أهوال يوم القيامة : (إذا الشمس كورت) أي ذهب نورها وحرها (وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت) (١) .

وقال تعالى : (إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت) (٢)

- عن النبي ﷺ انه قال : « ان أسفل الأرضين السبع سبعين ، ويعذب فيها أرواح المنافقين » .

(١) سورة التكوير آية ١-٦ .

(٢) سورة الانفطار آية ١-٥ .

- وقال تعالى : (وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت) (١)
- وقال تعالى : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) (٢) .
- وقال تعالى : (يوم تطوى السماء كطلى السجل للكتب) (٣) .
- وقال تعالى : (يوم تمور السماء موراً) (٤) .
- وقال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) (٥) .
- وقال تعالى : (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) (٦) .
- وقال تعالى : (يوم تكون السماء كالمهل) (٧) .
- وقال تعالى : (وإذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت) (٨) .
- وهكذا غيرها من الآيات البينات من لدن حكيم عليم .
- أما الاخبار المنقولة عن النبي وأوصيائه الأطهار - عليهم السلام - فتواترة في ان العالم بجميع أجزائه من شمس وقر ونجم وحجر حادث بعد العدم واجنبي عن مقام القدم ومنعدم بعد الایجاد وفاسد بعد السكون كما كان بعد الفساد، وان الله تعالى قد كان إذ لم يكن شيء ويكون كما كان حين لا كون لشيء .

- (١) سورة الانشقاق آية ٣-٤ .
- (٢) سورة القارعة آية ٥ .
- (٣) سورة الانبيا . آية ١٠٤ .
- (٤) سورة الطور آية ٩ .
- (٥) سورة القمر آية ١ .
- (٦) سورة الحاقة آية ١٦ .
- (٧) سورة المعارج آية ٨ .
- (٨) سورة الانشقاق آية ١-٢ .

وكم نادت أخبار مبدأ الخلق ان الله تعالى فعل كذا حين لا شمس مضئية ولا قر منير ولا سما ولا أرض ولا كذا ولا كذا ، وكم قرع الأسماع ماورد في شرح القيامة ويوم المعاد والميعاد . ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب البحار والكافي ونهج البلاغة وغيرها .

ولا تزعم اختصاص هذه الأحوال والأحوال بالأرض والسماء والانجم والنيرين ، بل تعرض للكواكب الثابتة والانجم السائرة والسكرات بأسرها لعموم قوله تعالى : (وإذا النجوم انكدرت . وإذا الكواكب انتثرت) وهكذا بقية الآيات التي مر ذكرها .

وهذه الأحكام من شريعتنا المقدسة موافقة لتصريحات الفلكيين في

هذا الدور الجديد :

قال فاندريك المحقق الامريكي في باب السدام من كتاب النقش في الحجر كغيره : وكل جرم مضيء لا بد من نفوذ حرارته ونوره على مرور الزمان ان كان نار حمة أو شمساً أو نجماً في قبة السماء .

وقال أيضاً في ارواء الظماء : وإذا قل نور نجم بحيث تظهر في طيفه أشعة منفصلة (أى انفصل بين ألوانه بفسحات مظلمة قيل ان طيفه متقطع) فلا يعد إذ ذاك شمساً ، وربما كان أقرب الى كونه سديماً ، والنجوم على درجات متفاوتة من هذا القبيل ، أعني ان بعضها على أشد قوتها ونورها وحرارتها وبعضها أخذ في التبريد وبعضها صار في حالة الهرم والشيخوخة .

ثم قال بعد ذكر ما هو من القسم الاول كالشعري الجمانيه : القسم الثاني الذي نجومه تشبه شمسنا التي قد جاوزت عز عمرها وأخذت نحو الانحطاط والشيخوخة والهرم مثل العميق والدب الأكبر .. الى أن قال : والبعض كالشعري الشامية ونسر الطائر ونجم القطب متوسطة بين القسمين - انتهى

وقد لاح من هذا الكلام ان شمسنا هذه قد انقرض عصر شبابها واقرب زوالها ونهوض قيامتها واختلال نظامها كما قال الله تعالى : (واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كُنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) (١) .

المبحث الخامس

(في وحدة الشمس وتعددتها)

يقول مؤلف هذا الكتاب هبة الدين الحسيني الشهرستاني : لم يختلف من المتقدمين فاضلان بل ولا جاهلان في ان الشمس واحدة متفردة في عوالم الوجود ، حتى إذا شاؤا التمثيل بأمر كلي ينحصر بفردته في الوجود ذكروا الشمس مثالا له ، فان كليها - أعني الكوكب المضيء الذي ينسخ طلوعه وجود الليل - منحصر المصدقا لدى خارج الاذهان في شمسنا هذه ، ولم نعهد أحداً جوز وجود شمس أخرى غير هذه الشمس ، فان الطريق الى ادراكه اما الحس أو العقل :

(أما الحس) فكليل غير قابل ، إذ البصر لا يبصر غير الانجم والكواكب من غير تفرقة بين ما هو نوره من ذاته وما يكتسب الضوء من غيره ، ولا يحس أيضا بكرات تدور حول الكواكب والنجوم ولا بعوالم ونظامات غير نظامنا وعالمنا ، فادراك عالم آخر أو شمس أخرى أمر تقوم به العقول وتعجز عنه الابصار المجردة والحواس العارية .

(١) سورة الانبياء آية ٩٧ .

(وأما العقل) فلم يكن عندهم مقتضياً لوجود شمس أخرى أو عالم آخر بل كان مانعاً عن اعتقاد عالم آخر بنظام آخر في دائرة الوجود الخارجى ، فكان العالم لديهم أيضاً كلياً منحصراً بفردة المشهود - أعنى الكرة الواحدة - مركزها مقعر الأرض ومحيطها محذب فلك الافلاك .

غاية الامر ان هذه الكرة الواحدة كانت تنقسم لديهم الى ثلاث عشر كرة منضدة شبيهة بطبقات البصل ، تسعة منها أفلاك وأربعة منها كرات العناصر الاربع وكل كرة من المجموع يحيط بالسفلى من كل جهة كما مضى في الشكل الاول في الصفحة ٥٦ ، كما مر هذا الكلام في صدر المقدمة السادسة من صدر الكتاب وسيأتى أيضاً .

وكانوا يعتقدون دخول الثوابت بأجمعها في عالمنا وفي نظام شمسنا وانها بتأثيرها دائرة حول أرضنا في كل أربعة وعشرين ساعة مرة ، كما يدور قرنا حول الأرض في كل شهر مرة .

وكانوا يعتقدون احاطة الفلك الاطلسى بفلك الثوابت وانه المدير للجميع في اليوم دورة يحصل منها الليل والنهار ، وان ثخن الفلك الاطلسى مستوعب لتنام عالم الوجود ، وما كانوا يقنعون بالسكوت عما بعد الاطلسى والترس بكلمة (لا ندرى) بل كانوا يمتنعون وجود عالم غير عالمنا ، كما صرحوا بذلك في مباحث المعاد من كتب الحكمة .

والخلاصة انهم ما جوزوا وجود عالم آخر حتى يجوزوا فيه وجود شمس غير شمسنا أو قر غير قرنا أو بشر غيرنا ، حتى انهم كانوا يعتقدون امتضاء الثوابت والسيارات بأسرها من نور شمسنا هذه وإلا فهي مظلمة بذواتها وشمسنا المفيضة عليها أنوارها .

نعم ظن الشيخ الرئيس ابن سينا ان الكواكب الثابتة منيرة بأنفسها

ولسكن لا بعنوان كونها شمساً ، فان مجرد كونها منيرة بذاتها لا يثبت لها في العرف والاصطلاح عنوان الشمسية بل يتوقف ذلك على كونها عظيمة الجسم ذات نظام خاص وعالم مخصوص وسيارات وأقمار كما في عالم شمسنا .

والشيخ الرئيس كان ممن يعتقد رسوخ الثوابت في ثخن فلك البروج وان ليس لاحدها نظام أو عالم ، بل هي بأسرها تابعة وخاضعة لعالم أرضنا وشمسنا فهو أيضاً كان ممن يجزم بوحدة الشمس وانفرادها في عالم الوجود ، غاية الامر انه ظن اضاءة الثوابت بانفسها كما كان يعتقد ذلك في الشهب أيضاً .

بل كان ظن الشيخ وكثير ممن تلاه ان السيارات أيضاً منيرة بانفسها غير مستفيدة من الشمس كالقمر ، ومجرد ذلك لا يثبت عنوان الشمسية لها وإلا كان ماسوى الارض والقمر من الاجرام كلها شمساً لديه ، حتى السيارات والشهب ولا ريب في بطلانه .

والحاصل ان المتقدمين مطلقاً لم يذهب منهم ذاهب الى تعدد الشمس ولا الى جواز كثرتها الى هذه العصور الاخيرة التي تكاملت فيها الهيئة المستحدثة واستكشف علماءؤها كثرة الشمس من طرق قديمة حادثة من أدوات حل النور والنظارات ونحوها ، بل اكتشفوا درجات أنوار الثوابت وما فيها من الاجزاء المنيرة والعناصر المثيرة للنور والنار وقاسوا أبعادها ومقادير كراتها .

فأنتجت آراؤهم ان الكواكب الثابتة هي بأسرها شمس منيرة بذاتها حامية بنفسها ساجحة في أعماق الفضاء الواسع سبجاً ولا نخده من كثرة البعد الشاسع وليس شيء منها منوطاً بعالمنا ولا مربوطاً بنظام شمسنا ، ولكل واحدة منها نظام خاص وعالم مخصوص مؤلف من أراض سيارة وأقمار دوارة ، وهي في مركز نظامها كشمسنا في عالمنا ، ولا زالت هذه الآراء في نمو وانتشار حتى أصبح اليوم تعدد الشمس كالشمس في وسط النهار .

وأما الشريعة الإسلامية فقد سبقت المتأخرين طراً في إظهار هذا الرأي الجليل بأكثر من الفسنة، فأظهرت في موارد عديدة تعدد الشمس والاقمار في عالم الوجود بالتلويح تارة وبالتصريح أخرى، كما سيتلى عليك . ولكن هذا سبق من أمناء الدين الخفيف إذ كان حاصله بأقوال مجردة عن البراهين والأدلة الحسية المشاهدة ، وكانت براهين أدلة المسائل والفنون والمباني المسلمة في تلك القرون مخالفة لظواهر أقواله الحقنة لاجرم أخذ العلماء والحكام من مسلمي تلك العصور يؤلون مقالات الشريعة ، ويظهرون للناس ان المقصود من هذه الظواهر والأقوال معان خفية غير المعاني الحقيقية ، فصرفوا بتأويلاتهم البعيدة وجه الكلام عن مرامه ومرماه وبدلوا حقائقه تبديلاً ، ونشكر الله تعالى إذ أظهر الحقائق ونشر العلوم الصحيحة في عصرنا هذا فأمكننا استفادة المعاني الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا القدسية ؛ (منها) ما رواه الشيخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ في كتاب بصائر الدرجات وغيره في منتخب البصائر وفي روضة الوافي وفي المجلد السابع والرابع عشر من كتاب البحار للمجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ بسند قوى الى الامام السادس أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير ، وإن من وراء عين قرمكم هذه أربعين قرماً فيها خلق كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه ، (١) .

(١) وروى في بصائر الدرجات أيضاً بسنده عن الامام الباقر (ع) انه قال : « إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمس الى شمس أربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه ، وإن من وراء قرمكم هذا أربعين قرماً ما بين قر الى قر مسيرة أربعين يوماً فيها خلق -

وهذا الخبر الشريف كما تراه صريح في وجود شمس حسية خارج عالمنا ومن وراء نظام شمسنا كما يراه المتأخرون . ولا ينقضى عجبى من علمائنا المتقدمين إذ كانوا يؤلون هذه الشمس الى معان وهمية في عالم الخيال .
مع ان الوصى (ع) قد أكد كلامه بما لا ينبغي معه التأويل من اشارته الى الجرم المحسوس و اضافته الى المخاطبين وتكرير لفظ عين فقال : « من وراء عين شمسكم هذه ، فكيف يسوغ التأويل ؟

نعم نعذر القدماء بأن ما ذهبوا اليه كان مبلغ علمهم في تلك الأعصار فما يصنع من لم يشم نفحة من الآراء الحديثة ولم يحوز كثيراً من مباني الفلسفة الجديدة .

ولو تركوا شرح هذه الأخبار وفوضوا إظهار أسرارها العظيمة إلى أواخر العصور لكان ذلك أحوط لأمرهم وأولى .

وقوله **ع** : « أربعين عين شمس ، احتمال في هذا التعداد وجوها من القول :

(أحدها) أن لفظة الأربعة والأربعين والسبعة والسبعين والمائة وخمسةائة والآلاف ونحوها من الأعداد الشائعة كثيراً ما تأتي بها العرب لبيان الكثرة فقط والمبالغة في التعدد لا لتعيين المعداد وتشخيص كميته ، فلا ينافى تجاوز الشمس حد الآلوف في الواقع ، مع توصيفها بالأربعين ونحوه في هذا الخبر .

(وثانيها) وجود المانع عند الخطاب من الترقى في العدد مثل كون المخاطب فاقد التحمل والطاقة لاستماع أكثر من ذلك ، ولذلك قد ورد في

- كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه .

أقول : التعبير عن فاصلة ما بين الشمس بالعام اشارة الى اكثرية بعدها .

مورد آخر عدد الشمسس اثني عشر شمسا ، وورد من دون تشخيص العدد في مورد ثالث . ونفصل هذا الوجه في مسألة تعدد العوالم .

(وثالثها) ان الشمسس عند بعض المتأخرين في مبدأ حالها مثل كتلة عظيمة وغازات حامية مجتمعة ، ثم يحدث فيها مبدأ انقباض وتقلص بسبب التبرد ومبدأ انبساط وتمدد بسبب الاشعاع ، فيحدث فيها من هذين المبدأين دوار على نفسها ، ويشتد بمضى دهور عليه حتى تصير الكتلة بالدوران الوضعي كرة ، ثم يحدث عليها من تبردها بمرور الدهور قشرة ثم تتصلب بمرور ملايين من السنين ، ثم تنفصل القشرة بمر الدهور الطوال ويتكون المنفصل كرة حامية تحوم حول أمها في الدوار ويطرأ عليها ما طرأ على أمها بمرور الاعصار ، وهكذا يمر عليها دهور لا يحصيها غير الرب جل وعلا الى ان تصلح ظهور الكرات المنفصلة للعيش والحياة وتكون الجماد والنبات فتكون الكتلة السدامية الاولى عند ذلك شمسا ذات نظام وعالم وحيوان وكيان .

وعلى هذه الآراء يصح أن تكون الثوابت مع كثرتها لا يتصف شيء منها بصفة كونه شمسا ذات عالم ونظام وخلق واناس غير جملة معدودة تبلغ الاربعين مثلا .

في الشمس والقمر كائنات حية

وأما قوله **﴿يَتِيم﴾** : ان في الشمس والقمر خلق كثير ، فظاهره يخالف ما اشتهر عند أواخر المتأخرين من ان الشمس والقمر يفقدان لوازم العيش

من وجود الهواء واعتدال الحر والمياه القابلة ونحوها ، فكيف يوجد الحي
فيها ويبقى ؟

إلا أن يراد بقوله **الشمس** : « في الشمس ، عالم الشمس بالمجاز وبحذف
المضاف ، أى وفي عالم كل شمس خلق كثير (١) .

نعم ذهب الاستاذان (هرشل) كاشف نجمة أرانوس و (أراغو)
وجماعة ممن تأخر عنها الى ان الأجرام بأسرها مسكونة وحاملة للخلق حتى الاقمار
والشموس ، غاية الامر ان الكائن في كل جرم خلقه الله تعالى على حسب
استعداد موطنه مثل كائنات حية تعيش في النار كـ (السمندل) على ما نقل (٢)

(١) هذا التوجيه جيد وصحيح في بادىء النظر ، ولكن ماذا نصنع مع
الخبر المذكور إذ شارك القمر في هذا الحكم ولا يمكننا اطراد هذا التوجيه فيه
وتقدير مضاف محذوف فيه بأن يقال : « في عالم كل قمر خلق كثير ، لان
القمر ليس له عالم ونظام خاص به وإنما هو كرة واحدة برأسها ، وعلى كل حال
الاحسن ان نأخذ بظاهر الخبر على ما هو عليه وتبع فيه رأى هرشل وتابعيه
ونقول : ان في كل كرة من الكرات - شمساً كانت أم قمرأ أم غيرهما - كائنات
حية لكنها تختلف حسب اختلاف الاستعداد والموطن . وجاء في خبر آخر
« ان في النجوم مدائن كمدائنكم ، وطبيعى ان وجود المدائن في النجوم متفرع على
وجود كائنات حية ذات شعور وعقل حتى تحدث تلك المدائن وتصنعها - (ف)
(٢) ولنعم ما قيل في هذه المناسبة :

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

نعم ان الهيكل الانساني عالم صغير ، وكلها يوجد في العالم الكبير - وأعنى
به الدنيا - يوجد نموذج منه في العالم الصغير ، وهكذا يمكن أن يقال : ان
الدنيا عالم صغير إذا قيست الى مجموع الكرات الكونية ، فما يوجد في تلك -

وظنى في المقام ان الظاهر من الخبر المتصدى لاثبات المخلوق في الشمس

- السكرات والعوالم يوجد منه أيضاً في أرضنا هذه .

فمثلاً كما انه يوجد في كل كرة حيوانات وكائنات حية لا تتمكن من البقاء والحياة في كرات أخرى كحيوانات الكرة الشمسية التي لا تتمكن من الحياة في القمر وبالعكس في القمر حيوانات لا تتمكن من الحياة في الشمس كذلك في كل قطعة من الارض حيوانات لا تتمكن من الحياة في قطعة أخرى، كالكائنات الحية التي تعيش في الماء ولا تعيش على وجه الارض أو تعيش فيها ولا تعيش في النار .

وعلى هذا يمكن أن يقال : كما ان في الارض حيوانات لها حياتين تعيش في الماء والارض على السواء كالبط أو تعيش في النار والارض كالسمندل كذلك يمكن وجود احياء تعيش في كرتين أو اكثر على السواء ، ومع قطع النظر عما يعتقد المتشرعون في أوليائهم ربما يأتي يوم يتزاور أهل أرضنا وكرتنا مع أولئك الاحياء الذين يعيشون في السكرات الأخرى نتيجة للتقدم العلمى الذى ساد العالم وطبق الآفاق والذى ننتظر ازدياده في كل يوم وفي كل ساعة وحينذاك تفتح أبواب الذهب والاياب والسفريات المنظمة بين الارض وسائر العوالم الأخرى وتسهل الإقامة في السكرات لسهولة تهيئة الاسباب واللوازم المناسبة للكرة التي نريد الإقامة فيها .

وفي ذلك اليوم يصبح العالم غير عالمنا في هذا اليوم، فان كل مدينة تكون حينذاك كبيت وكل مملكة كمدينة وكل بقعة من بقاع السكرات كلواء من الاولوية وكل كرة بأسرها كملكة كاملة ، وربما ترتبط السكرات مع بعضهم اكثر مما فلنا ويكون الامر الالهى شاملاً لها على السواء ينهبون كلهم شرعاً واحداً ولا يختلفون في شيء أبداً .

من دون بيان حقيقته ولا اشارة الى انه حي أو عاقل أو نبات أو سائل فيكفيها إذا وجود الكائنات الغازية والعناصر السائلة في الشمس لانها من المخلوقات أيضاً، فلا ينافي ظاهر الخبر رأى المتأخرين .

وأما القمر فظاهر الخبر يهدى الى وجود كائنات فيه حية ناطقة كالبشر لان الامام عليه السلام نفى العلم والدراية عنهم حيث قال : « لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق ، ونفى العلم بشئ مخصص مشعر بأن ما نفيت عنه قابل لاصل العلم والدراية لسكنه فقد علماً خاصاً ودراية بأمر جزئي ، فلم يقل الوصي عليه السلام انهم لا يدرون شيئاً حتى يكون نفياً لمطلق العلم بل قال عليه السلام : « لا يدرون خلق آدم ، (١) ، فلم من نفى العلم الخاص عنهم كونهم قابلين لاصل العلم ، فيثبت كونهم أحياء ناطقين ، فيتردد الامر بين كونهم من نوع البشر أو من الملائكة المجردين وقد نقل لي بعض الفضلاء المعتمدين رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال : « ان في قرم هذا خلقاً كادوا يحرثون ، لكنني لم أظفر به في كتاب كلما تفحصت عنه .

وزبدة الكلام ان الظواهر الشرعية لو نطقت بوجود كائنات حية في القمر فلا ينبغي استبعاده بمعارضته للمشهور ، فان جمعاً من عظماء الفلاسفة المتأخرين خالفوا المشهور وذهبوا الى وجود الحيوان في خصوص قرنا، مثل هوك وهرشل وغرك وكاسني وأراغو - على ما في حدائق النجوم - وكستوك

- واني لأسف جداً ان هذه المواضيع خارجة عما نحن بصدده وأخشى أن يقال : انك خرجت عن موضوع الكتاب ، وإلا فهذا أوان الكتابة وهنا يليق بنا أن نكتب - (ف) .

(١) لا يخفى ان هذا الوصف يمكن أن يشمل الشمس أيضاً ولا يختص بالقمر فقط - (ف) .

وبيكرين وفلامريون (١) وغيرهم ، ولهم شواهد وأدلة ربما نقلها في مبحث القمر .

ولو صح التنبؤ به في الشريعة انتظرنا استكمال الأدوات وارتقاء الافكار في المستقبل لكشف هذه الحقيقة ، كما كشف استكمال أسباب هؤلاء كثيراً من الحقائق الخفية عند المتقدمين والغرائب التي تنبأ بها نبي الاسلام ﷺ وأوصياؤه - عليهم الصلاة والسلام .

(ومنها) ما وجدته في بعض أخبار البحار والدر المنشور للسيوطي من أبناء القرن التاسع الهجري : « ان الله تعالى استوى على العرش في يوم الجمعة في ثلاث ساعات ، تخلق في ساعة منها الشمس ... » .

وهذا الاثر أيضاً صريح في تعدد الشمس في عالم الوجود ، وان كان الباقي من مضامين هذا الخبر وجمله بجملاً ومتشابهاً لا يفيدنا مدلولاً متضحاً . وسيرفع العلم الصحيح حجاب اجماله في المستقبل ويحل رموزه كما حل كثيراً من الرموز وأظهر وأقرأ من الكنوز .

(ومنها) ما رواه الطبرسي من أبناء القرن السادس الهجري في كتاب الاحتجاج والصفار في البصائر والمفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ في كتاب منتخب الاختصاص والمجلسي في السابع والرابع عشر من البحار بالاسانيد القوية عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث له مع العالم اليمني ، فقال عليه السلام في وصف الشمس : « انها إذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً واثني عشر قرأ واثني عشر مشرقاً واثني عشر مغرباً واثني عشر بجرأ واثني عشر عالماً » .

(١) في المقتطف المجلد التاسع ص ٢٦٤ : ان فلامريون يعتقد مسكونية

القمر ، وحاول أن يصنع نظارة كاسرة نفقتها مليون فرنك ليرى بها سكان القمر ، ودعى محبي المعارف أن يدوه بالمال لخطب مسعاه .

وظاهر كون هذا الخبر صريحاً في وجود شمس متعددة وعوالم متكثرة وأقار غير هذا القمر ومشارق ومغارب لا تحوم شمسنا حولها ولا تقرب منها، حيث لم يأمرها مديرها ومدبرها الحقيقي، فلو أمرت حدث فيها مبدأ سير قوى بحيث تسبح وتسيح في الفضاء الفسيح وتقطع حدود تلك الشمس والعوالم وتجاوز مدار هاتيك الأقار والبحار وتر بتلك المشارق والمغارب .

ولا يتأني عدد الاثني عشر ما ورد سابقاً بلفظ الأربعين، حيث ذكرنا ان اختلاف أطوار البيان قديكون بسبب اختلاف أحوال السامعين، فبعضهم لا يتحمل استماع تعدد الشمس أصلاً ومنهم من يحتمل ويتحمل استماع تعددها الى الثلاثة وبعضهم الى العشرة ونحوها وبعضهم الى الأربعين وبعضهم الى اكثر حسب اختلاف مقادير القلوب، كما نرى مثل ذلك فيمن نخاطبهم فلا ريب في اختلاف أحوالهم وعقولهم بالنظر الى استماع الغرائب .

وطريقة الكاملين من العقلاء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم - كما أمر به الدين الاسلامي الحنيف .

لطيفة

إذا كان العالم كناية عن نظام شمسي - كما هو المصطلح بين القدماء والمتأخرين - وكان المشرق والمغرب أيضاً كناية عنه قرب المجموع من الأربعين .

فكان الامام عليه السلام أراد بقوله : « اثني عشر شمساً واثني عشر مشرقاً واثني عشر عالماً ، ستة وثلاثين نظاماً شمسياً - والعلم عند الله تعالى .

تنبيه

يجوز أن يكون المراد من قول الامام عليه السلام : « ان الشمس غير مأمورة اليوم لسكها إذا أمرت قطعت كذا وكذا ، الاشارة الى ما يعرض الشمس عند هلاكها وبوارها - على ما زعمه كثير من حكماء العصر - وهو : ان الشمس إذا نفذ نورها ونارها في قيامتها واختل نظامها وانتفى صفاتها وخواصها ولت هائمة في الفضاء وتخلي عنها اراضيها وسياراتها وطلبت مركزاً لنفسها بعد أن كانت مركزاً بنفسها .

وربما انقلبت أرضاً لاحدى الثوابت ، فهي بعد تخليها عن المركزية والتجرد في السير والسياحة في بيداء الفضاء قد تمر بالعوالم السكثيرة والنظامات الشمسية الوافرة ، فلا تتخذ منها موطناً إلا العالم الذي قد اتصل جذبه بها والنظام الذي يدعوه بقوة الجذب الى موئده داره والاستفادة من نوره وناره ، فتخضع هذه البائرة السائرة لضياته ومراضيه وتخرط في سلك اراضيه (ومنها) قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا ﴾ (١) .

أقول : قرأ المشهور السراج في هذه الآية الشريفة مفردة ، أى (سراجا) بمعنى المصباح ، فيكون اشارة الى الشمس المبصرة . وقد نقل المفسرون قراءتها بضم السين والراء أيضاً ، فيكون بمعنى المصابيح . وبناءً على هذا يجوز أن تكون اشارة الى الشمس التي اعتقدها

المتأخرون حيث ان السراج جسم يشع من نفسه النور والنار معاً ، وكذلك الشمس عند هؤلاء - على ما تقدم - فكأنه تعالى قال : جعل في السماء شمساً . وقد مر مراراً عن اللغويين ان « كلما علاك فهو سماؤك » ، وان شرعنا الأقدس يطلق كلمة السماء بنحو الاشتراك على نفس الكرات السيارة السامية وعلى نفس الفضاء أيضاً - كما في هذه الآية المباركة .

فكأنه تعالى قال : جعل في الفضاء السامى بروجاً وشموساً مسرجة . (ومنها) مارواه السيد نعمه الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ هـ في النور الأرضي من كتاب الأنوار النعمانية وفي البرهان في تفسير سورة الفاتحة عن جابر الجعفي عن الامام الخامس محمد بن علي الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى أربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أو لم يخلقه ، وان من وراء قرمكم هذا أربعين قرصاً ما بين القرص الى القرص الآخر أربعون عالماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه ، . وصریح هذا الخبر أيضاً يعطى كثرة الشمس ، وألفاظه ومضامينه موافقة للخبر الأول لكنه يزداد عليه بأمور :

(أحدها) قوله (ع) : « ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى أربعون عالماً ، و « ما بين القرص الى القرص الآخر أربعون عالماً ، . وفي بعض النسخ « أربعون عالماً ، بدل « عالماً ، وهو من تصحيف الناسخين . وعلى كلا التقديرين لا يظهر تحقيقه الموافق لمسائل الهيئتين معاً ، فنذره في سنبله ونستودعه الى ظهور أهله .

(وثانيها) التعبير عن القمر بالقرص ، ومعلوم انه أعم فيشمل الشمس والقمر وغيرهما .

(وثالثها) قوله (ع) في صفة المخلوقين في الشمس : « ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلقه ، .

وقد مر في شرح الخبر الاول تجويز وجود الكائنات في الشمس - كما ذهب اليه هرشل وأراغو وغيرهما - وجواز التجوز في تعبير الخبر، واحتمال ارادة الملائكة منهم وغير ذلك .

والنتيجة ان هذا الخبر الشريف أيضا مصرح بكثرة الشموس وكثرة العوالم والادمين في السكون المحسوس - كما هو مختار المتأخرين .

فهذه يا اخواني ناصية الارض قد ابيضت وشابت بكرور الأعصار حتى استولدت مبادئ ومباني وأدوات أنتجت هذه الافكار الأبيكار وأصبحت ملل الغرب تفتخر بكشفها، وأضحى أبناء الشرق يفتخرون بأخذها ونشرها . فانظروا الى أوصياء النبي - عليهم الصلاة والسلام - كيف فاهوا بها وذكروها في غابر الدهور وماضى العصور ، حيث لا عين ولا أثر من هذه المباني ولا خطر على قلب بشر بعض هذه المعاني .

ومع هذا كله لم يمنعوا (ع) هذه الأسرار أهمية ولا أورثت فيهم إعجابا ، بل كانوا يهتمون ويستعظمون المعارف الآلهية ورعاية النواميس الشرعية ، ويحرضون الناس على اصلاح مملكة النفس وتكميل كالاتها وملكانها والعمل لما بعد الموت ، فانه مفترس كل نفس باليقين . فالفوز لمن استيقظ عقله واكتسب النعيم الدائم .

« المسألة العاشرة »

(فيما يتعلق بالقمر)

قد ادعى الفلاسكيون في هذه القرون اثبات أوصاف وأمور لجرم القمر ما كنا نسمع أو نعقل شيئاً منها ، ونجد اليوم كثيراً من آرائهم مخالفاً لمبادئ الهيئة القديمة ومناقضاً لمسلماهم ، فهل جاء في هذا المقام عن شارع الاسلام حكم أو بيان أو سكت عنه هذا الدين كسائر الأديان ؟

(الجواب)

قد اضطربت أفكار الحكماء من المتأخرين والقدماء في جرم القمر وصفاته وحالاته ، وما صفي أمره لديهم مع قرب جواره وانكشاف عذاره فقيل مسطح وقيل مفرطح وقيل صغير وقيل كبير وقيل بسيط لطيف وقيل مركب كثيف وقيل نوراني وقيل ظلماني وقيل منفرد وقيل متعدد ، الى غير ذلك من الاختلافات المستندة إلى شواهد وبيانات نصطفى من بينها الأمور المهمة الآتية :

الامر الأول

(في محل القمر من الأنجم ونسبة فلكه الى افلاكها)

قد ذهب الأقدمون طراً الى ان جرم القمر مركز في ثخن فلك جسيم

يحيط بكرات العناصر ويحيط بهذا الفلك فلك جسم آخر مركز في ثخنه عطارد ويحيط بفلك عطارد فلك مثل سابقه للزهرة ويحيط بفلك زهرة فلك عظيم وفي ثخنه قرص الشمس ويحيط بفلك الشمس فلك في ثخنه المريخ ... وهكذا وأما أصحاب الهيئة الجديدة فمتفقون على أن محل القمر فوق هواء الأرض بائنين وستين ألف فرسخ تقريباً ، فهو بنفسه دوار في مداره حول الأرض غير مركز في جسم ، ثم انه مع الأرض يدوران في مدار واحد سنوي . ولما كان مدار الأرض وفلكها متوسطاً بين أفلاك السيارات يكون موضع القمر وسطاً بين السيارات ، فان كلا من زهرة وعطارد أمام الأرض نظراً الى الشمس ، والمريخ وما بعده خلف الأرض ، فيتوسط القمر بين الانجم عند قاطبة المتأخرين ، ويكون تحتها طراً عند القداماء .

ولقد ظفرت في شريعتنا القدسية على ظواهر تهدي نحو الرأى الأخير

وتوافق النظام الحادث الشهير :

(منها) قوله تعالى في القرآن الكريم . (ألم ترأ كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) (١) .

فظاهر قوله تعالى : (وجعل القمر فيهن نوراً) يدل على انه متوسط في السماوات وان مجموعها كالظرف للقمر ، فلم يقل تعالى : (جعل القمر في سماء ، أو في السماء ، حتى يناسب قول القداماء ، بل قال تعالى : (جعل القمر فيهن نوراً) فينطبق على مختار المتأخرين ، سواء فسرنا السماوات كالقداماء بالأفلاك فيكون القمر بينها ، أو فسرناها بالكرات السامية كما تقدم فالقمر أيضا بينها ، أو فسرناها بالكرات البخارية المحيطة بالكرات السامية كما حققته في مسألة حقيقة السماوات فالقمر أيضا بينها .

وعلى كل تقدير جائز عند المتأخرين يتفق القمر وسطاً في السماوات .
ويؤيد هذا المعنى ان الله تعالى لم يقل : « وجعل الشمس فيهن سراجا ،
حتى يستوى حال الشمس والقمر في هذه الجهة ، مع ان ذلك عند القدماء
أولى بالشمس من القمر ، بل اكتفى في الشمس بصفة كونه سراجا ، لأن
الشمس شأنها عند الأواخر غير شأن القمر ، إذ هي المركز لحركات الكرات
السامية حولها وليست متحركة بيهن كالقمر - فتدبر .

وأما كون السماوات طباقا فلسنا على يقين في أن معناه كون السماوات
طبقات كطبقات البصل يحيط العالى بما يليه مثلبازعمه المتقدمون ، إذ يجوز
أن يراد كونها طبقات كطبقات البيت والغرف كل منها فوق الأخرى أو تحتها
- كما اختاره السيد الجزائرى و يراه المتأخرون أيضا .

وأما الكلام في نصب « نوراً » فنحيله الى محل آخر مناسب لمثل هذه

المباحث .

(ومنها) ما وجدته في فرج المهموم في النجوم للسيد رضى الدين على بن
طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ وفي بحار المجلسى وغيرهما مستنداً عن أمير المؤمنين
على عليه السلام في خبر احتجاجه على الدهقان (سرفيل) المنجم الفارسى انه عليه السلام
قال : « أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الفسق
وظهر تلاقؤ المريخ وتشريقه في السحر وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربع
القمر ... » .

ويدل بظاهره على ان المريخ قد يقرب ويشدد اقترابه من قرنا ، وهذا
المعنى لا يتحقق إلا على النظام الجديد ، فان النظام القديم - كما سبق -
يثبت سيارات وأفلاكا جسيمة الثخن عظيمة المسافة بين فلك القمر وفلك
المريخ ، فكيف يتقاربان مع دوام انفصالهما بفلك عطارد والزهرة والشمس؟ .

وأما النظام الجديد فيبرهن على أن فلك المريخ محيط بفلك الأرض ليس يفصل بينهما فلك ولا سيار، والقمر أيضاً يدور حول الأرض، فبعد كون أفلاك هذه الثلاثة بيضوية مستطيلة إذا فرضنا الأرض في القطر الأقصر من فلكها والقمر في القطر الأطول من فلكه والمريخ في القطر القصير من فلكه عند الأرض حصل من القرب بين القمر وبين المريخ ما يوهم اتصالهما هكذا . وكثيراً ما يتفق في القرون هذا الاتقان .

قال فاندريك في باب المريخ من كتابه النقش في الحجر : « وأما فلكه فتطاول جداً هليلجيته كثيرة، فتارة يقرب إلينا كثيراً وأخرى يبعد عنا كثيراً فهو حينئذ أقرب في موقع حسن للرصد . »

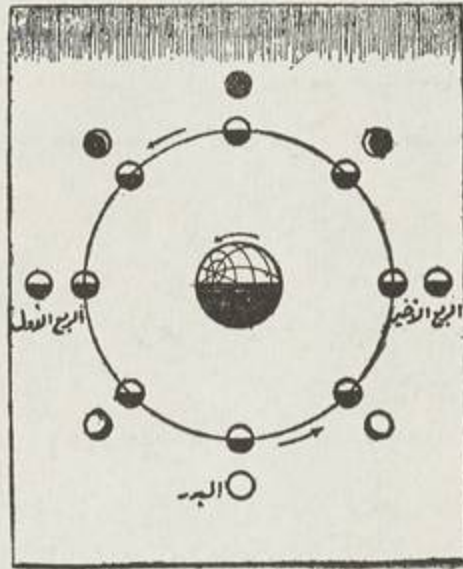
وفي ترجمة كتاب فيلكس ورنه ما معناه : « وكلما قرب المريخ من مقابلة الشمس كبر جرمه في النظر، فانه عند ذلك قريب الاتصال من أرضنا، ويقع هذا الاقتراب في كل سنتين وخمسين يوماً . »

فاستبان لك جواز قرب المريخ من القمر اقتراباً يوهم الاتصال، وانه عند ذلك يظهر لنا تالأو المريخ وبهجهته لكالم قربه منا وكبره في نظرنا . قال في حدائق النجوم : « ان المريخ في بعده الاقرب منا يكبر في نظرنا خمسة وعشرين كبره في بعده الابعد . »

فانظر الى سلامة هذا الخبر الشريف بناء على النظام الجديد، وموافقة الفلاسفة مع قوله عليه السلام : « وظهر تالأو المريخ وتشريقه في السحر . »

أقول : ولا يبعد أن يقع ذلك الاقتراب وقت سحرنا وعند تريبس القمر في عصر هذا الخطاب، انظر شكل (١٠) .

وقوله عليه السلام في المشتري وزحل : « لما استنارا في الفسق، اشارة الى ان اجرام السيارات مظلمة بالذات كالقمر، وانما تستنير وتستضيء من قرص



(ش - ١٠) أشكال تربع القمر

الشمس - كما ثبت في الهيئة العصرية - وليست بجرم الشمس فيرة بالذات كما ثبت في الهيئة القديمة .

وسوف أشرح هذه المسألة في المقالة الثانية من خاتمة الكتاب ، واذكر موافقة شرعنا مع الفلسفة الحاضرة .

(ومنها) ما وجدته في كتاب الدر المشور والبحار ج ١٤ : د ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا .

وهذا أيضاً ظاهر الموافقة مع النظام المختار عندنا دون نظام القدماء فانه بناء على كون السماء الدنيا هي الكرة البخارية الارضية - كما حققته في مسألة حقيقة السماوات - يكون القمر فوق السماء الدنيا ، وكذلك النجوم والرجوم على الاغلب في الاخير .

وأما اذا كانت السماء الدنيا فلك القمر - كما اشتهر عند المحققين المتقدمين -

أو كانت كناية عن فلك البروج - كما قيل - لزوم أن يقول: « أن القمر في السماء الدنيا ، بناءً على مذهب المشهور ، أو يقول: « هو تحت السماء الدنيا ، بناءً على القول النادر ، فما اخترناه بحمد الله تعالى هو الأوفق بظواهر الدين وبالحق المبين .

الامر الثاني

(في وحدة القرص أو تعدده)

قد شرحت القول في المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس وذكرت ان القدماء جميعاً الى القرن الحادى عشر بل الثانى عشر من الهجرة لم يتفطن أحدهم بتعدد القمر في عالم الوجود .

وأول قمر اكتشفوه غير قرنا المبصر قمر للبشرى اكتشفه غالبه سنة ١٦١٠م بأول نظارة صنعها سنة ١٦٠٩م ، ثم تابعت اكتشافات الاقار الخفية حتى بلغ القدر المسلم منها في عصرنا الحاضر ثمانية وعشرون قرأً . واحداً لارضنا واثنان للريخ ، وثمانية للبشرى ، وتسعة لزحل ، وثمانية لأرانوس ، وواحد لنبتون - كما سبق في المقدمة السادسة .

ويزداد على ذلك بإضافة قمر واحد لزهرة كما ادعى رؤيته كاسنى ومونتايين وغيرهما - على ما في دائرة المعارف .

وقال ميخائيل في هامش مشهد الكائنات : « ان كثيراً من مشاهير الفلكيين أثبتوا زهرة قرأً مثل قرنا ، حتى ان بعضهم رآه أربع مرات ، وحسب بعضهم قطر قمر الزهرة ألفين ميل ، وان بعده عن جرم زهرة كبعد

قرنا عن أرضنا تقريباً ، .

وبإضافة قر آخر لأرضنا على ما ادعى ، ففي آيات اليينات وفي باب المذنبات من أصول هيئة فاندريك : « زعم البعض ان واحداً من هذه الأجرام (المذنبات) صار تابعاً للأرض - أى قرأ لها - يدور حولها في ثلاث ساعات وعشرين دقيقة على بعد معدله خمسة آلاف ميل ، .

أقول : ويبعد صحته أمور بعضها عدم ظهوره للنظارات بعد ترقياتها الباهرة مع ظهور ما هو أخفى منه وأبعد .

° ° °

وأما أوصياء النبي - عليهم أفضل الصلوات والتسليمات - فقد ذكروا وجود أقمار أخرى غير هذا القمر المحسوس قبل أن يحدث في العالم رأى بتعدد الاقمار اكثر من الف سنة ، فهم السابقون في هذا الرأى الجليل وما كان من هذا القبيل على جميع العلماء طراً .

وقد فصلنا الاخبار المتضمنة لتعدد الاقمار في المبحث الخامس من

مسألة صفات الشمس .

ففي بعضها تصريح بوجود أربعين قرأ من وراء عين قرنا هذا ، وفي بعضها تصريح بوجود اثني عشر قرأ . وقد شرحنا المطالب هناك من كل جهة - فراجع .

وقد وجدت في روضة الوافي خبراً عن أمير المؤمنين على (ع) يشعر بوجود قر غير هذا القمر ، مثل قوله (ع) : « قرنا أم قرهم ، فانه ظاهر في ان لنا قرأ ولغيرنا ايضاً قر - والعلم عند الله تعالى باريء الكون .

الامر الثالث

(في برودة القمر وحرارته)

لم يكن أحد من العالمين يشك في أن نور القمر بارد بالطبع لا حر فيه أصلاً ، وأن الجرم منه مقدس عن العنصرية لا تشوبه نارية أبداً ، حتى اخترع المتأخرون أدوات دقيقة فكشفوا غطاء الجهل عن هذه الحقيقة واعتقدوا أن القمر يصحب نوره حرارة خفيفة خفية وليس بارداً رطباً فقط كما زعمه المتقدمون .

قال فاندريك في أصول الهيئة : القمر يرسل حرارته نحو الأرض على طريقتين : (الأولى) بالانعكاس أى ينعكس عنه شعاع الشمس . (الثانية) بالإشعاع أى يحمى القمر تحت حرارة الشمس ثم تشع منه حرارة كما تشع من جرم آخر .

أقول : يعنى كما أن الأجرام العنصرية الأرضية تحمى تحت حرارة الشمس فتجود بأجزاء نارية مكمونة في باطنها ، ولو لم يكن فيها عناصر نارية لم تشع حرراً ولم تنصف بالاحتواء ، ولذلك تختلف الأجزاء الأرضية في الاحتواء بالشمس مع تساويها في اكتساب الأشعة .

وفي ترجمة هيئة فيلسكس ورنه ما معناه : أن ضوء القمر تصحبه حرارة خفيفة ، وكان الحكماء السالفون ينكرونها لنور القمر ، ولكن المتأخرون استنبطوها بالتجارب الكاملة من الآلات الفاضلة واستقر رأيهم على أن قمرنا يرسل لنا حرارة مصحوبة مع نوره .

أقول : وقد سبق المتأخرين طراً في إثبات الحرارة لنور القمر واعتقاد النارية والتركيب لجرمه اثنان :

(الأول) هو الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام حيث سأله سائل عن القمر لم صارت الشمس أحر منه ؟ فقال عليه السلام : « ان الله خلق القمر من ضوء (١) نور النار وصفو الماء طبقة من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء (٢) فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس . وقد ذكرت أسانيد هذا الخبر الجليل وتامه مشروحاً في المقالة الثالثة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس .

وقد استفدت من ظاهر هذا الحديث مطالب :

(أحدها) تركيب جرم القمر من طبقات عنصرية كما ثبت في هذه العصور ، وأنه ليس بسيطاً ومنزهاً عن العنصرية كما اعتقده القدماء .
(وثانيها) ان القمر تابع للشمس ومتأخر عنه في الحلقة ، لأن الامام عليه السلام قال في تشریح الشمس : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار ، وقال في تشریح القمر : « ان الله تعالى خلقه من ضوء نور النار ، فيستفاد من هذا التعبير تبعية القمر للشمس كما اختاره المتأخرون ، وقالوا بقعية القمر لها في النور كما هو واضح ، وفي الحركة حيث ان الشمس تحرك الأرض وهي تحرك القمر ، وفي الحلقة حيث ان القمر عندهم منفصل عن جرم الأرض في مبدأ التكوين ، والأرض منفصلة عن الشمس (٣) ، واستشهد

(١) فيه دلالة على ان نور القمر مستفاد من الشمس .

(٢) هذا مشير الى وجود الماء والبحار في كرة القمر .

(٣) يعتقد بعض الفلاسفة المتأخرين ان الكرة الارضية متوجهة الى الفناء والدمار وتفصل عنها دائماً ذرات وأجزاء تسبح في الفضاء الواسع ، وعلى هذا تنطبق الآية الكريمة المذكورة هنا على هذا الرأي أحسن انطباق ولا نحتاج الى تفسيرها بما فسره سماحة المؤلف ، وان كان تفسيره لا يخلو من -

لهم البعض بقوله تعالى : (نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) (١) واسم التوابع عند هؤلاء لا يطلق إلا على الأقمار .

(وثالثها) ان القمر يصحب نوره حرارة خفيفة ، لقوله (ع) فى صدر الخبر : « فمن هنالك صارت الشمس أحر من القمر ، فأفضلية الشمس على القمر وزيادتها عليه فى الحرارة يستلزم أن يكون القمر ذا حرارة ولو قليلة ، حتى يصدق ان الشمس أحر منه .

وقد ذكرنا لك مختار الأواخر فى حرارة نور القمر (٢) .

(ورابعها) ان للقمر طبقات نارية منظوية فيه ومخفية فى جرمه ، لقول الوصى (ع) : « طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ، أقول : ذهب أواخر المتأخرين أيضاً الى وجود طبقات نارية فى وجوف القمر ، كما ذهبوا إلى وجود نار حامية فى بطن أرضنا ، ينفجر القمر عنها أحياناً بالبراكين كما تنفجر أرضنا بالبراكين - انظر شكل (١١) .

وأول من اكتشف عن الجبال النارية والبراكين فى قرص القمر هو

- لطف لأن كلى الانفصال عن الأرض يصدق على انفصال القمر عنها أيضاً- (ف)

(١) سورة الرعد آية ٤١ .

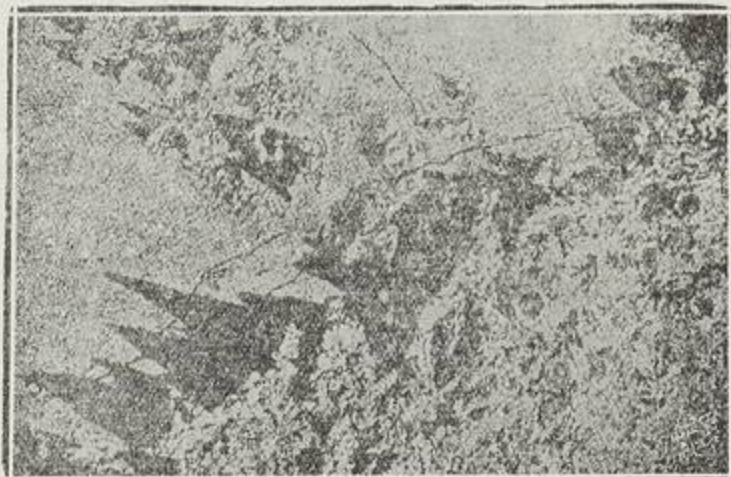
(٢) قاس الاستاذ (بيازى سميث) حرارة القمر فوجدان الشمعة التى بعدها عن آلتها ١٥ قدماً حرارتها الواصلة الى آلتها أشد من حرارة القمر الواصلة اليها .

وقاس الاستاذ (لنغلى) حرارة القمر فوجدها جزءاً من مليون جزء من الدرجة .

أقول : النار مهما خفت لا تفقد حسن تأثيرها كالنار الحصانية فى الطيور وعند الكيمائيين .

الفيلسوف (هوك) على ما نقل في كتاب حدائق النجوم ، وانه استكشفا في كسوف ذات الحلقة سنة ١٨٣٦ م وظهر له في هذه المراقبة الصبح والشفق من كرة القمر ، وكان ضوء نار البركان أوضح عنده من ضوء شفق القمر . وقد قطر المخرج الأعم من فوهة هذا البركان بنظارة (هرشل) بقدر الكوكب من القدر الرابع بحيث كان من الممكن أن يراه البصر المجرد أيضاً . ومن هنا ذهب الفيلسوف هوك الى وجود جو وبحار وهواء في كرة القمر ورجح وجود الحيوان فيها ، فان الصبح والشفق ونار البركان شواهد قوية على وجود الحيوان في القمر - كما مر في المقالة الأولى من مبحث تعدد الشمس .

(الثاني) ممن أثبت الحرارة لنور القمر قبل المتأخرين هو الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فانه قال : « الشمس والقمر آيتان ، الى قوله (ع) :



(ش - ١١) الجبال النارية والبراكين في القمر

« وضوءهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم ، وقد نقلنا مقاله مشروحاً في المقالة الخامسة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس - فراجع .
 وقد ذكرنا مراراً أن السبب في عدول حكماء المسلمين عن أقوال هؤلاء القديسين في المطالب الفلسفية هو أن أقوال الأوصياء كانت فتاوى من دون أدلة ، معتمدين فيها على انكشاف حقائق السكون لديهم بالوحي ، ومحض ذلك لا يقنع الحكماء إذا وجدوا براهينهم العقلية تناقض أقوال الأوصياء .
 ولا ريب في أن مبادئ الفلسفة القديمة كانت كثيرة المخالفة لظواهر أقوال شرعنا الأقدس ، ولذلك كان بعض علماء الدين يوافقون ويؤلفون بين ظواهر الدين وبين مسلمات الفلسفة القديمة ، بتأويل الظواهر وتوجيهها إلى معنى آخر .

وظاهر هذا الخبر يوصي إلى كون القمر ذا نور من نفسه غير ما يكتسبه من الشمس ، ولم يذهب إلى هذا الرأي غير جماعة من الأواخر .
 بل قال الاستاذ هرشل - على ما في حدائق النجوم - : إن للأجرام المظلمة بأسرها نور خفيف ذاتي لها .

وأيد بعضهم ذلك بأمرين :

(الأول) رؤيتنا كثيراً للقمر نهراً وهو في المحاق .

(الثاني) رؤيتنا له دائماً حالة الكسوف أو الخسوف الكليين وهو نوراني

بنور ضعيف يميل إلى حمرة قوية .

وهذان الأمران لا يتمان إلا بكون القمر نورانياً بذاته ولو بالقليل جداً

ولا تستبعد أن يكون للقمر نور ذاتي خفيف مستهلك في نوره العظيم

المستفاد من الشمس .

فاستعملوا الفكرة واستعينوا يا أصفياء السريرة بنور البصيرة فيما أظهره
النبي الأسمى وأوصياؤه القديسون قبل اكتشافات المتأخرين بأكثر من
عشرة قرون .

انظروا الى أولياء الله تعالى كيف فتح الله عليهم أبواب العلم بالحقائق
الكونية وكشف لهم أسراره الغيبية ، فأخبروا عما عجزت وقصرت عنه
عقول الناس فضلا عن الحواس .

لا تحمل ذلك إلا على شدة الاتصال بعالم القدس والارتباط بالملكوت
واللاهوت وغاية القرب من المبدأ الأعلى والوحي والالهام من الملك العلام ،
إذ لا يجوز عليهم غيرها .

والعجب كل العجب من الذين يرون هذه الآيات الباهرة والمعجزات
الظاهرة ويصرون على مكابرتهم وعنادهم ولا يعترفون للحق الصراح ويلزمون
جانب الأهواء ، فـ (أولئك هم الكفرة الفجرة) .

اننا لا نعجب من أولئك الجاهلين الذين آذوا النبي ﷺ وناوؤه لأنهم
كانوا بعيدين عن العلوم والمعارف والثقافة متوغلين في الهمجية الصارخة ،
اننا لا نعجب من أولئك وانما نعجب أشد العجب من أبناء عصرنا الحاضر -
عصر الذرة والنور - كيف يسوغ لهم العلم والثقافة عدم ايمانهم لذلك النبي الأسمى
وأهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام - الذين طبقوا العالم بعلومهم
وأيقضوا البشر من سباتهم العميق ، انهم أخبروا في ذلك العصر المظلم - الذي
لا توجد فيه آلة ولا تنهياً لديهم وسائل الكشف عن أشياء لم يوفق العلماء
بكشفها بآلاتهم الرصينة إلا بعد مضي قرون طويلة وعناء وتعب مضنين .
هذه هي المعجزة الحققة وهذه هي آية الصدق في الدعوة الرشيدة .

« المسألة الحادية عشر »

(في عدد السيارات)

الظاهر من المتقدمين انهم كانوا يعتقدون بوجود سيارات سبعة فقط وهي : القمر ، عطارد ، زهرة ، الشمس ، المريخ ، المشتري ، زحل . ولكن الفلاسفة المتأخرون أضافوا على هذه السبعة سياراتين أخرى وجعلوا السيارات للنظام الشمسى تسعة ، فهل ان الشريعة الاسلامية المقدسة ساكتة في هذا المقام أم لها رأى خاص ؟

(الجواب)

لا ريب في ان القدماء من الحكماء كانوا يعدون الانجم السيارة سبعة ولا يذكرون سواها ، وهي عندهم : النيران - أعنى الشمس والقمر - والخمسة المتحيرة وهي : زهرة ، عطارد ، المريخ ، المشتري ، زحل . نعم حكى عن ذيقراطيس وارثميدر من قبل الميلاد مذهب عدم تناهى عدد السيارات وظنى انهما قصدا بذلك مطلق ما يسير في الفضاء أعم من الثوابت ومن السيارات في اصطلاحنا .

وقد أظهرنا هذا الرأى مخالفة لزعم أرسطو ونحوه من المتقدمين ان الثوابت غير متحركة ، فقصدنا بالحقيقة اختيار الحركة لجميع أجرام العالم ولا شئ منها بثابت حقيقى ، ولم يقصدنا عدم انتهاء سيارات عالم شمسنا .

ومقصودنا الالهم انما هو اظهار كون النظام البطليبيوسى الشائع قبل الاسلام
وبعده لا يثبت غير السيارات السبعة .

وأما النظام الكوبرنيكى المختار عند المتأخرين فما يرح يتقلب في عدد
سيارات شمسنا من رأى الى رأى وهاك الموجز من تقلباته :

زعم أصحاب هذا النظام الجديد حصر السيارات في ستة عند ابتداء
أمرهم ، وهى أرضنا والخمسة المتحيرة ، وأما النيران فقد كانا خارجين لديهم عن
عداد السيارات .

ولما أشاع الحكيم (تى تى يوس) ميزانه في أبعاد السيارات المعروف
بـ (سلسلة البعد) احتملوا وجود سيارة بين المريخ والمشتري ، فان تى تى يوس
يرى انه لو فرض بعد الأرض عن الشمس عشرة من المقادير مطلقاً كان بعد
عطارد أربعة منها وبعد زهرة سبعة منها وبعد المريخ ستة عشر منها .

وميزان ذلك لديه ان تضم لكل سيارة عدد الأربعة مما أعطيت الأرض
منه عشرة ثم تضيف الى زهرة ثلاثة من جنس تلك العشرة والى ما بعد زهرة
سته ، وهكذا تضيف لكل سيارة ضعف ما أضفته للسابقة ، واستثنى الأرض
منها حيث أعطيتها العشرة من ابتداء الأمر فيكون النظام هكذا :

عطارد أربعة ، زهرة سبعة ، الأرض عشرة ، المريخ ستة عشر ، ما بعده
ثمانية وعشرون ، المشتري اثنان وخمسون ، زحل مائة ، ارنوس مائة وستة
وتسعون ، نبتون مائتان وثمانية وثمانون . وكل ذلك بنحو التقريب (١) .

(١) قال الطنطاوى : ان علماءنا قالوا : اذا قدرنا قطر الأرض ثمانية كان
قطر الهواء تسعاً وقطر فلك القمر اثني عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر
فلك زهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ واحد
وعشرون ونصف وقطر فلك المشتري أربعة وعشرون وقطر فلك زحل ثمانية .

ثم من بعدا اكتشاف هرشل نجمة ارانوس اعتقد الفلكيون كون السيارات سبعة ، إذ كان ميزان تي تي يوس يقتضى في حد (١٩٦) مداراً لو كان بعد زحل سيار آخر ، ومن بعد اكتشاف ارانوس وجدوها في حد (١٩٢) غير بعيد عن ميزان تي تي يوس قوى ظنهم بوجود سيارة بين المريخ والمشتري على حد (٢٨) فأضحت نظاراتهم تتوجه اليه وتراقب عليه حتى اكتشف الحكيم (بيازى) سنة ١٢١٥ هـ نجمة (سرس) بين المريخ والمشتري ، وذكروا تي تي يوس بكل خير ، وكل عندهم ميزانه وحسبوا السيارات يومئذ ثمانية وصار سرس من السيارات المعظمة المعتد بشأنها .

ولكن هذا الفرح والاطمئنان ما بقيا لهم كما لا يبقيان لشخص ولا نوع ، فلم تمض عليهم سنة إلا وكشفوا نجمة أخرى بجانب تلك اسمها (بلس) .

- وعشرون الاربع ، وقالوا : ان هناك نسبة شريفة بين الارض والقمر - أى الثلثان - وكذا بينها وبين الهواء والزهرة والشمس والمشتري ... الى أن قال: أما الثلاثة الباقية - وهى عطارد والمريخ والزحل - فليست نسبتها محمودة ، اذ المحمود مثل النصف والربع والثلث .

وقال أيضاً: ذكر العلامة اللورد افبرى في كتابه جمال الطبيعة عن الاستاذ يود قانوناً سماه (قانون يود) ولم تكمل تجربته فلا يزال محل نظر ، وهو ان كل كوكب يبعد عن الشمس ضعف ما قبله مع زيادة ثابتة ماعدا الاول وايضاحه : اننا اذا فرضنا عطارد بعده عن الشمس أربعة فيبعد الزهرة سبعة والارض عشرة والمريخ ستة عشر ، وفى بعد ثمانية وعشرين متسع عظيم ومنطقة مشغولة بكواكب أخرى يعبرون عنها (زون) تبلغ نحو ثلاثمائة كأنها ذرات لا تكاد تميز ، اكتشفها (بيزى) فى أول يناير سنة ١٨٠١ م ... ثم قال : وبعد ذلك المشتري ٥٢ وزحل ١٠٠ ، هذا هو القانون الذى رسمه يود وأكمله بيزى .

ثم اكتشفوا في ذلك الحد نجمة باسم (جون ووستا) في تلك السنين ، فزال
الفرح والاطمئنان بميزان تي بيوس وصاروا يعدون السيارات احدى عشر
على أبعاد غير منظمة .

وانغلق عليهم باب اكتشاف الانجم السيارة عشرات من السنين . فظلوا
على ذلك الاعتقاد ، وكتب على ذلك النظام كتب كثيرة منها كتاب (حدائق
النجوم) وغيره .

ولما كان الفرغ بعد الشدة والضياء بعد الظلمة من النواميس المعنوية التي
سناها الله تعالى في السكون انفجرت عيون الاكتشافات على الراصدين من سنة
١٢٦٠ هـ ، وانكشفت سيارات كثيرة في حد (٢٨) ، حتى انهم كشفوا في شهر
واحد ثمانية عشر نجمة .

فاستقر رأيهم على ان هذه النجوم المتوسطة بين مدارى المريخ والمشتري ليست
بسيارات مستقلة كالبقية بل هي بأسرها أجزاء سيارة عظيمة كانت بين المدارين
على حد (٢٨) تسير منفردة كباقي السيارات (١) ثم انفطرت في الدهور الماضية
وانفلقت وتفسخت بسبب من الاسباب السكونية لا يعلمها غير خالقها ، فظلت
أجزاؤها وقطعها المنفصلة تدور على وضع أمها ونظام أصلها الأول .

وتأيد رأيهم هذا بتشابه دورانها زماناً وصفة ووضعاً وشدة اقتراب
مداراتها . كما اشترت اليه في المقالة الخامسة من مسألة تعدد الأرضين .

ومن بعد ما اعتقدوا وحدة هذه النجوم في الأصل وكونها مشتقة جميعاً
من كرة واحدة منفصلة الى هذه النجمات الصغار رجعوا أيضاً الى اعتقاد صحة

(١) خالف الفيلسوف (نيوكم) الامر بكى هذا الرأي حيث انه ذهب الى
ان كلا من هذه النجمات سيارة مستقلة حسبها حسب من حركاتها في أدوار
متقدمة وعدم اجتماعها في بقعة يوماً ما حتى تكون بنات أم واحدة .

ميزان (تي تي يوس) والى ان السيارات سبعة .
ثم لما اكتشف لوريرة الفلكي الفرنسي الشهير نجمة نبتون خلف أرنوس
ونجمة فلكان قبل عطارده سنة ١٢٦٤ هـ شاعت السيارات تسعة في العدد بالنظر
اليهما ، والثمانية أشهر لصعوبة رصد فلكان ، فلا يفوز بلقائه إلا القليل .

وما قصصه عليك هو بعض ماجرى على الفلكيين في حصر السيارات
وتقلبتهن في اعداد النجوم الدائرة في عالم شمسنا المبصرة .
وأما الشريعة الاسلامية فظواهرها طائفتان :

الطائفة الأولى

ظواهر تدل على ان السيارات سبعة لسكونها مسوقة على نحو يلائم النظام
الجديد لا القديم .

وعندى ان هذه الظواهر ناظرة الى المبصر من السيارات لا مطلق
السيارات الحقيقية لشمسنا .

وقد مر ان المتكلم ينبغي له أن يذكر الحكم لموضوع قابل للحس
والادراك في خطابه العرفية العمومية ، ولا شك ان سبعة من السيارات كانت
أبدأ قابلة للاحساس والادراك ، وان لم يعرف المخاطبون بعضها لتقصير منهم
لا لقصور في الموضوع .

وأما ما تعذر ادراكه بالحس المجرد عن الأدوات فلا يستحسن للعقلاء
توجيه المتكلم أحكامه عليه عند العرف ويصفه بين الناس عموماً ، خصوصاً من
يجب عليه حفظ وجاهته في العرف ، وان لا يوحش الجمهور فيختل انفاذ
وظيفته واقامة ما هو مبعوث لأجله .

نعم يجوز التكلم عن مثله لمثله نادراً على سبيل بث الاسرار وايداعه في صدور الأحرار وبمحضر من أصحاب الكمال .
وقد تكلمنا عن هذا الامر في المسألة الرابعة فراجع حتى تفتضح وتعرف ان السيارات المبصرة هي أرضنا وزهرة وعطار دوميخ والمشتري وزحل وارانوس فان أرانوس يبصر كنجم من القدر الخامس مما يراه الناس .
وما عدا هذه النجوم حيث لم يكن أحد يبصره في تلك العصور لم ينصرف اليه وجه الخطاب والكلام العمومي ، وإنما ألقى ذكره على خواص الصحابة - كما سيذكر .

الطائفة الثانية

تدل على ان السيارات احدى عشر ، وهذه الظواهر ناظرة إلى تعداد جميع سيارات شمسنا ما يبصر منها وما لا يبصر ، ما عرف في الماضي وما سيعرف في المستقبل ، ما اكتشف حتى الآن أو لم ينكشف بعد :
(منها) قوله تعالى : ﴿ انى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾ (١) .

هذه النجوم التي رآها يوسف عليه السلام في المنام كانت نجوماً في المنام قطعاً غاية الامر انها فسرت وأولت في اليقظة بأخوته الأحد عشر ، لأنه عليه السلام نبى معصوم عن الكذب ، وأنه لو رأى اخوته بأعيانهم في المنام لما احتاج الطيف الى تفسير وتأويل ، فهو عليه السلام قد رأى نجوماً بهذا العدد والصفة في المنام .
ثم ان هذه النجوم المشتركة في صفة السجود له لو كانت من جملة الثوابت لكان ترجيح تخصيصها من غير مرجح ، لزيادتها على آلاف الألوف

وتساويهما في الجنس والصفة ، بخلاف ما لو أخذت من السيارات كان لها وجه اختصاص ومناسبة في العدد ، فيترجم بالقرينة العقلية ارادة السيارات من هذه الكواكب والنجوم الساجدة التي شاهدها يوسف عليه السلام في المنام . وستأتي الشواهد على هذا الكلام عن قريب انشاء الله تعالى (١) .
(ومنها) في تفسير النيسابوري والكشاف للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وكانت النسخة بخط عبد العزيز بن محمد بن يعقوب الترمذى في جمعة عاشر شوال سنة ٧٢٥ ، وفي بعض كتب أخرى مسنداً عن جابر ان يهودياً سأل النبي الامى صلى الله عليه وسلم عن النجوم التي شاهدها يوسف عليه السلام في المنام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « جريان ، وطارق ، وذبال ، وقابس ، وعمودان ، وفليق ، ومصباح ، وضروح وفرع ، ووثاب ، وذو التكفين ، فأسلم اليهودى .

وروى هذه الرواية الشيخ الصدوق ابن بابويه في الخصال عن جابر

(١) يمكن أن يتم هذا التطبيق العلى بتوجيه آخر منا بأن نقول : ان رؤيا الانبياء - وعلى الخصوص الرؤيا المنقولة في كتاب مثل القرآن الكريم - لم تكن كرؤيا بقية الناس التي ليس لها إلا تعبير صورى ينطبق مع بعض الوقائع الصورية ، بل يجب أن يكون لها حقيقة مرئية في المنام كما ان لها صورة تعبيرية في اليقظة .

وفي مقامنا هذا نقول: ان الكواكب الاحد عشر التي رآها يوسف عليه السلام في المنام كان تعبيرها باخوته الاحد عشر صحيحاً لأن يوسف أصبح أخيراً عزيز مصر وسجد له اخوته ، وتفسيرها بالسيارات الاحدى عشر أيضاً صحيح لأن يوسف - اضافة على انه كان عزيزاً لمصر - كان نبياً من الانبياء ، حينذاك خضعت له سيارات نظام شمسنا لأنه كان قطب دائرة الامكان وواسطة فيض الواجب جل وعلا - (ف) .

بطريقتين بينهما اختلاف يسير .

ورواها الحافظ القمي عن جابر في تفسير قوله تعالى : (انى رأيت
أحد عشر كوكباً) ثم سمي تلك النجوم بتغيير يسير ، ثم قال بعد ذلك :
« وكل هذه النجوم محاطة بالسماء ، وفي نسخ كثيرة « محيطة بالسماء » .
وظنى ان هذا الاشتباه نشأ من رسم الخط العثماني القديم ، فكان
يكتب عثمان عثمان ولقمان لقمن وسليمان سليمان وجاء حاجتها ومحاطة محيطة ،
فقرأ البعض محاطة على الأصل وقرأ آخر محيطة .

وخلاصة الكلام المنظور في هذا المقام : ان اختصاص هذه النجوم
من بين نجوم السماء لا بد وان يكون بصفة مختصة بهذا العدد اليسير لا اشتراك
لسائر النجوم فيها ، ولا نرى صفة كهذه غير صفة السيارة حول الشمس
- كما تقدم آنفاً .

ويؤيد ذلك قوله بالحرف : « وكل منها محاطة بالسماء ، فان هذه الصفة
أيضاً تختص بالسيارات على النظام الجديد وتحقيق الكرة البخارية - كما سبق في
المسألة السادسة وسنشرحه في المسألة اللاحقة أيضاً ونعد الكرات البخارية
المحيطة بكل سيارة .

ويؤيده ذكر الشمس والقمر معهن لتكمل عدتهن وأنواعهن في نظامنا
الشمسي ، كما يؤيد ذلك أيضاً انطباق كل من هذه الاسامى على سيارات شمسنا
فان هذه الاسامى منهم بالحرف سمات وأقوى الصفات لتلك المسميات ، وهاك
الشرح :

١ - (جريان) لأرضنا ، وقد ورد اطلاق الجارية على أرضنا في غير
هذا الخبر - كما مر تفصيله في المقالة الثالثة عشر من مسألة تعدد الأرضين .
وسميت أرضنا بالجريان لجريانها في الفضاء ، وجريان حركات أخرى

عليها كما سبق في بحث تحرك الارض . وقد لا توجد جملتهن في سياره
أخرى غير الارض فاختصت بهذه السمة .

٢ - (الطارق) لزهرة ، فان الطارق كوكب الصبح على ما في القاموس
والعرف لا يقصدون من كوكب الصبح غير زهرة قديماً وحديثاً . وسميت
نجمه الصباح كما انه قد تسمى بعطارد نادراً .

٣ - (الذبال) على وزن قطام ، يطلق في اللغة على النحيف الفاقد
للطراوة ، وعطارد أيضاً كثير الجفاف فاقد الطراوة لشدته قربه من الشمس .

٤ - (القابس) ويطلق في اللغة على ما يكتسب الحر الشديد من نار
عظيمة ، ونجمه فلكان أيضاً تكتسب الحرارة الشديدة من نار لا ترى أعظم
منها لهباً أعنى الشمس ، فان قربها المفرط من فلكان جعلها كجمرة النار ولذلك
سميت فلكان بهذا الاسم ، فان فلكان كما مر اسم جبل يثير النار ، ومعربه
بركان (١) .

٥ - (العمودان) يحتمل انطباقه على المريح ، فانه لا ينفك عن قرين
تقوم أشعثها عليه كالعمودين والمخروط من الاشعة .

وفي بعض النسخ (عموران) بالراء بدل الدال ، فيكون اشارة الى
عمرانها المشهور بين منجمي الاواخر .

٦ - (الفليق) بمعنى المنفلق ، ينطبق على السيارة العظيمة التي حسبوا
كونها بعد المريح وتفسخت الى قطع صغار دوارة ، وأعنى بها نجيمات المشتري .

(١) قال نور الله : فيه اشارة الى ان حرارة فلكان ليس من نفسه بل
ماخوذ مكتسب من غيره ، لأن القبس نفس النار والجدوة كما قال تعالى :
(لعل آتاكم منها بقبس) والقبس آخذها .

ويؤخذ شرحها من غرة هذه المسألة (١) .
 [فاذن هذه النجوم متولدة من تلك السيارة العظيمة ، ولا زالت
 الأبطال تنهج نهج السيارات الأم في الدوران حول الشمس .

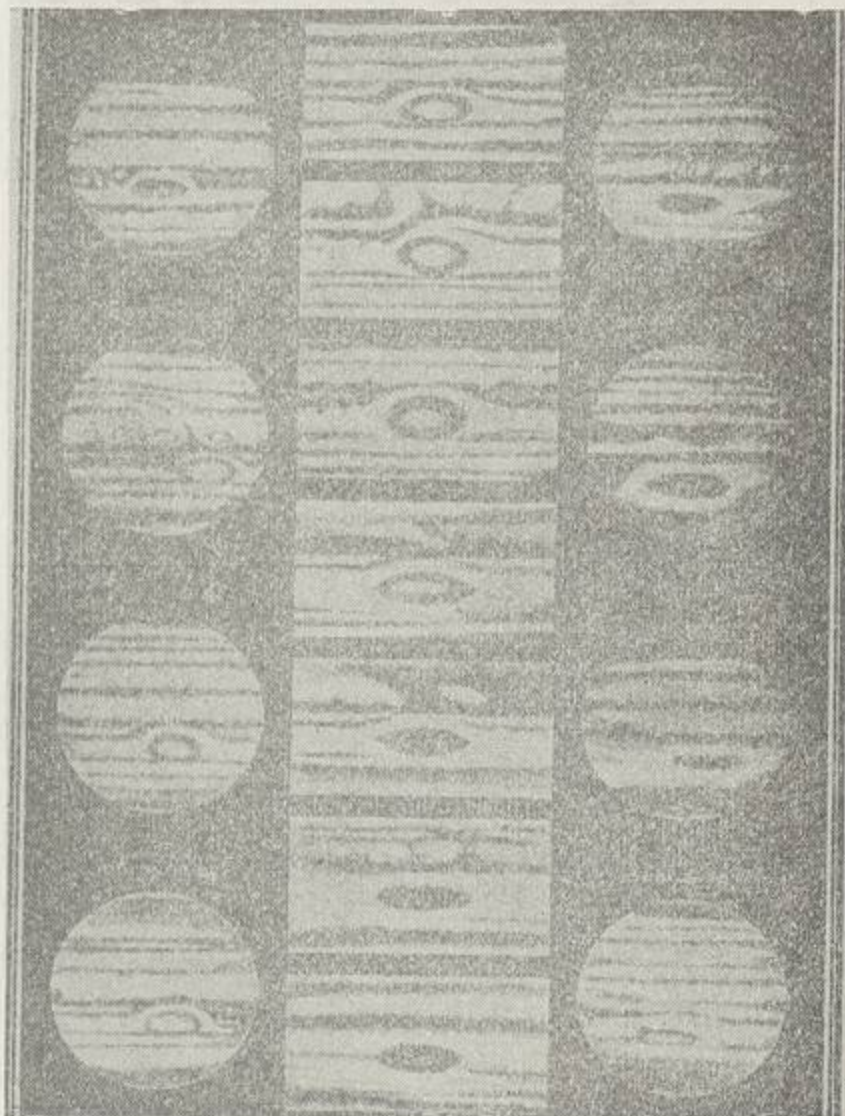
وفي بعض نسخ الحديث - كما في تفسير القمي وغيره - جاء (الفيلق)
 بدلا عن الفليق ، ويطلق الفيلق لغة على قطعة من الجيش المنظم ، وهذا
 المعنى في النجوم ظاهر ، لأنها تدور في مدارها كالجيش المنظم .

٧ - (مصبح) اسم للمشتري ، وهو يطلق في اللغة على الجمال وشعلة
 القنديل وضياء السراج والذي فيه حمرة ، وفي أساس البلاغة للزخمشى :
 « المصباح ما لونه كلون الصباح ، كل هذه المعاني توافق نجمة المشتري لأنها
 أبرز النجوم في الجمال والضوء وحمرة اللون ، ولون النهار فيها كلون الصباح في
 أرضنا لأن نجمة المشتري بعيدة جداً من الشمس ولون الضياء فيها خافت .

٨ - (ذو التكفين) اسم لزحل ، والتكفين في اللغة تغطية الشيء .

(١) تنتهي التعليقات لاسمى سيارات النظام الشمسي في النسخة
 العربية المطبوعة سابقاً الى هنا ، وكان سماحة المؤلف قد ترك التعليق لتسمية
 باقى السيارات ولكن المترجم الفارسي قد طلب - حين ترجمته للكتاب - من
 سماحته ان يزوده بتعليق باقى الاسماء حتى يكون الموضوع تاماً كاملاً ، فأرسل
 سماحته الى المترجم المحترم ما طلبه منه فأكمل المترجم الموضوع بترجمته
 ما أرسله اليه المؤلف ، ونحن نأسف جداً أن لا يساعدنا التوفيق للعثور على
 الأصل العربي فلجاناً الى ترجمة هذه القطعة القيمة ترجمة لا نعلم انها هل تفي
 بالمراد أم لا ؟ وعلى كل حال فهذا مجهودنا الضئيل نقدمه إلى العلياء الأعظم
 راجين منهم أن يعضوا النظر عن الهفوات الواقعة في الترجمة - (السيد
 احمد الحسيني) .

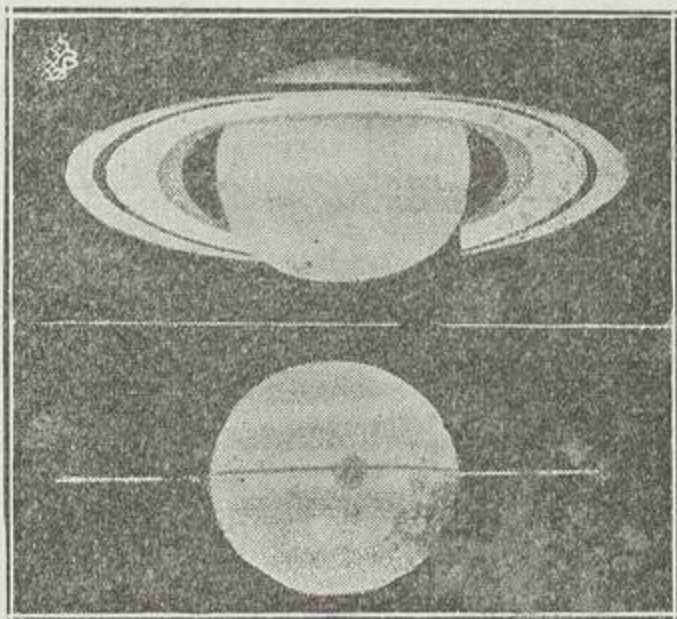
يقال: وكفن الجمر بالرماد، أى غطاه به، وهذا المعنى يناسب كثير أمع نجمة زحل لأن
أكثر قطرها متوارف في الحلقات التي حولها - كما تراه في (شكل ١٣) القسم فوقاني.



(ش ١٢) المشتري ومناطقه وبقعه

وفي بعض نسخ الحديث - كما في تفسير القمي - جاء (الكتفين) بدل
 التكتفين ، وهذا المعنى ايضا يناسب نجمة زحل لان الحلقات تبدو حولها
 كالكتفين حول الرأس - كما ترى في القسم الثاني من الشكل المذكور .
 ٩ - (صروح) اسم لارانوس . وهو في اللغة اسم للقصر العالي ،
 والمضرح : العلو ، وينطبق هذا المعنى على أرانوس تمام الانطباق ، خاصة وقد
 صرح الفيروز ابادي في القاموس بأن الضراح اسم للسماء الرابعة ، وإذا
 عدنا السيارات التي فوقنا لكانت سيارة أرانوس هي الرابعة ^٤
 وفي بعض نسخ الحديث جاء (صروح) بالصاد المهملة ، ويقرب هذا
 أيضا مما ذكرنا سابقاً .

١٠ - (وثاب) اسم لنبتون ، والوثاب في اللغة يطلق على الذي يقفز
 ويطفرف في المشى أو يمشى سريعاً ، وهذان المعنيان ظاهران في سيارة نبتون



(ش ١٣) زحل وحلقاته

لأنها في سيرها تسرع وتقفز لان الشمس والسيارات الجاذبة لها تقسع على جانب واحد منها وليس على جانبها الآخر غير نجمة بيلاتو وهي بعيدة عنها وضعيفة الجذب لها ، فتسير غير معتدلة لقوة الجذب في أحد جانبيها وضعفه في الجانب الآخر . فعلى هذا تنجذب الى السيارات السفلى لقوة جذبها وعندما تبعد تكرر راجعة الى الفوق بسرعة شديدة ، وهذا السير أشبه شيء بالقفز والظفرة أو المشى السريع ، ويناسب حينئذ أن يطلق اسم الـ (وثاب) على هذه السيارة .

١١ - (فرع) اسم لبيلاتو ، والفرع جزء من الاصل كالغصن من الشجرة ، وبيلاتو - على ما يدعيه مكتشفه - أول قطعة انفصلت عن الشمس . وأيضا العرب تسمى أول يوم من الجوزاء بالفرع ، وكذلك تسمى أعلا الجبل بالفرع ، وهذان المعنيان أيضا موجودان في بيلاتو :

(أما الاول) فلأنه أول قطعة انفصلت عن الشمس - كما قلنا .

(وأما الثاني) فلأن مقام بيلاتو أرفع المقامات في نظامنا الشمسى ، فاطلاق هذا الاسم على بيلاتو مناسب جداً من كل الجهات .

يقول المؤلف : ان هذا الخبر الشريف مشتمل على أسرار غامضة في صفات السيارات وحقائقها التي لم تكن معروفة قبل هذا ، وقد كشف هذه الاسرار وهاتيك الرموز القرآن الكريم والنبى العظيم وأهل بيته الميامين - عليهم أفضل الصلاة والسلام - قبل ثلاثة عشر قرن ونصف ، وينبوا للعالم هذه الخبآت حتى تبقى آية ساطعة ومعجزة باهرة لهم .

(تنبيه)

ان هذه الوجوه التي ذكرناها في تأويل هذا الخبر والمناسبات اللغوية

والفنية التي استشهدنا بها إنما هي غاية ما ندركه نحن في هذا اليوم ، وهذا التحقيق مبنى على أن يكون المذنب خارجاً عن عداد السيارات الاحدى عشر وفلكان داخلها فيها ، لاننا نحتمل وجود الكرة البخارية في فلكان وعدم وجودها في المذنب .

وأما إذا فرضنا عكس هذا - أى نعد المذنب داخل في عداد السيارات وفلكان خارجاً منها - فلا بد وان يسمى المذنب طارق والزهرة ذبال وعطارد قابس ، وذلك لأن ذبال في اللغة يطلق أيضاً على شعلة السراج وتشبه الزهرة شعلة السراج في تلالؤها ، كما ان عطارد لشدة قرب فلكه من الشمس يكتب من نورها وشعلتها - والله تعالى أعلم بأسرار الكائنات التي خلقها] .

والحاصل ان هذا الخبر القدسي قابل للانطباق على سيارات شمسنا على النظام السابق المبدوء من أرضنا ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم فلكان ، ثم المريخ ... وهكذا .

وانى احتمل توجيهاً آخر للخبر ، وهو : ان النجوم الاحد عشر هي سيارات نظام شمسنا لكن عشرة منها أسماء للاشخاص وواحد منها اسم نوع وهو الطارق اسم لنوع المذنب ، نظراً الى انه من سيارات عالم شمسنا ، كما احتمل أيضاً ان يكون (وثاب) اسماً نوعياً للشهاب الراجم ، فانه ايضا من توابع شمسنا .

فان قلت : ان سيارات شمسنا ليست اكثر من تسعة فلماذا تعد احدى عشر سيارة ؟

قلت : لسنا على يقين من هذا التطبيق ولكن التسعة بعد زيادة السيارة المنفلقة الى النجمات تكون عشرة ، ولا يضرنا عدم اندراجها الآن في عداد

السيارات لأنها كانت في عدادها سابقاً ، وهو كاف في المقام إذ نظر هذه الظواهر الى ما كان لشمسنا من السيارات بقيت أو عدت عرفت أو جهلت . وأما الحادية عشر فقد جاء ذكرها وكشف الستر عنها في الأخبار ، كما ذكرت ذلك في تنمة المسألة الخامسة ، ولم تكشف النظارات وجه تلك السيارة الخفية حتى الآن ، ونحن في أمل عظيم أن تتكشف لنا في المستقبل عند بلوغ الأدوات كما لها .

وقد ذكرت مجلة الضياء المصرية للشيخ ابراهيم اليازيجي مقالة تحت عنوان (السيار الجديد بين الارض والمريخ) ولفظها : « انه بعدما اكتشف هذا السيار على احدى الصفائح التصوير الشمسي خطر لبعض علماء الهيئة ان يتفقد الصفائح التي أخذت في السنين الماضية للمواضع التي يقدر انه كان فيها من السماء ، فوجد رسمه في بعض الصفائح التي أخذت سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٤ سنة ١٩٠٦ في اثني عشر موقعا ، فحسب بموجب هذه المواقع ان سنة هذا السيار تكون ٦٤٣ يوماً ، وهي أقصر من سنة المريخ ٤٤ يوماً ، ومباينة فلكه تبلغ ثلاثة أضعاف مباينة فلك المريخ . ولما كان (الميسو ويت) هو المكتشف لهذا السيار كان له الحق الاول أن يختار له اسماً يميزه به ، وقد سماه (ايروس) وهو اسم آله الحب (١) ، .

(١) وقريب من هذا خبر على عليه السلام للشامى في أسماء السماوات وألوانها فإنه قال : « واسم السماء السادسة عروس ، وإنما جعلها سادسة لانك ان حسبت نبتون أولاً ونزلت كانت ايروس سادسة .

والعجيب الغريب ان علياً عليه السلام يخبر باسمه مع ان الذي سماه بعد ألف سنة حسب مشتبهى نفسه ، وهذا والله علم الغيب الذي لم يوفق اليه إلا المقربون الى المبدأ الاعلى ، فكان علياً عليه السلام لم يكن مالك عين ويت السبكرية وحدها ، بل كان مالك قلبه أيضاً .

(ومنها) ما وجدته في البحار للمجلسي (ره) والانوار النعمانية للجزائري
وكتاب النجوم للسيد ابن طاوس قال : روينا باسنادنا عن معاوية بن حكيم في
كتاب أصله عن أبي عبدالله (يعني الوصي السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام)
انه قال : « في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب ، وأهل بيت
من الهند يعرفون منها نجما واحداً ، فبذلك قام حسابهم » .

والظاهر انه عليه السلام قصد من أهل بيت في العرب أو صيابه النبي الامي صلى الله عليه وآله
وعترته الذين امتازوا بحفظ أسراره وحمل علومه .

ويؤيده ما في كتاب النجوم أيضاً وكتاب دلائل الخيري بأسانيد صحيحة
عن الوصي السادس عليه السلام انه قال في ضمن خبر له : « ليس يعلم النجوم إلا أهل
بيت من قريش وأهل بيت من الهند ، » .

ومعلوم انه لم يكن في قريش قديماً أهل بيت يحملون العلم والفلسفة غير
أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، فالامام عليه السلام حصر العلم بالنجوم الرابع في آل محمد صلى الله عليه وآله
وخص بعض الهنود بمعرفة واحدة من تلك الاربعة .

والسما جمة العلو ، كما قال اللغويون : « كل ما علاك فهو سماؤك » ، وقد
مر ان السماء يطلق في شرعنا بالاشترار على ثلاثة : السكره البخارية ،
والاجرام السامية ، وجهة العلو - فتدبر .

ثم الظاهر كون المقصود من هذه النجوم هي سيارات شمسنا دون
السكراب الثابتة لقرائن في الكلام ، مثل تحديدها بالاربعة مع ان السكراب
الثابتة المجهولة في تلك العصور كانت اكثر من المعلوم منها ، إذ القدماء لم يرسدوا
من الثوابت غير الف ونيف وعشرين ، ولقد بلغ المرصود من السكراب
الثابتة المبصرة في عصورنا المتأخرة قريباً من ستة آلاف كوكب .

وأيضاً تخصيص بعض الهنود بمعرفة الواحدة من الثوابت أمر في غير

محلّه ، لان كثيراً من الثوابت كانت معروفة عند جمع ومجمولة عند آخرين ، إذ لم يكن بين الراصدين وسائط أو روابط ولا مراسلة أو مواصلة ، فلا يطلع أحد من حكماء الفرس أو اليونان أو الهند أو مصر أو غيرها على ما استخرجه الآخر إلا بعد قرون متطاولة .

وهذا بخلاف عصرنا الزاهر الذي تبلغ أخبار كل راصد الى البقية في الساعة ، سواء كان في أمريكا أو في فينا أو في الجرمان أو في فرنسا أو في بريطانيا أو في اليابان أو غيرها .

وأيضاً حكم الامام عليه السلام باستقامة حساب أولئك الهنود بسبب معرفة نجم واحد من تلك الاربعة يناسب كونها من السيارات لا من الثوابت ، إذ الشائع من المحاسبات إنما هو للسيارات أولاً وارتباط حساب كل واحد منها بالآخرى ثانياً خصوصاً على النظام الجديد . فيختل حساب جملة لوجهل حساب البقية ويستقيم بمعرفتها . كما لا يخفى على الفلكي ، ودوران الاحكام النجومية على دوران السيارات ثالثاً ، فيحتاج حكم المنجم بشيء أن يعرف زمان دور السيارات ومكانها ومقابلاتها ومقارناتها والاجتماع والتربيع ، الى غير ذلك من الاطوار الحاصلة لها في الادوار ، فتمين كون المقصود من هذه الانجم الاربعة سيارات شمسنا .

وأما تطبيق هذه النجوم الاربعة على سيارات شمسنا فواضح في الجملة ، حيث ان الوصي عليه السلام يخبر عن نجوم سيارة في عالمنا غير معلومة للناس ، والذي كان معلوماً لديهم من السيارات السماوية خمسة ، مع قطع النظر عن أرضنا التي كانوا على ظهرها ، وتلك الخمسة هي : الزهرة ، عطارد ، المريخ ، المشترى ، زحل ، والثلاثة التي اختص عليها بهم هي : فلكان ، نبتون ، السيارة الخفية التي لم تنكشف لنا حتى الآن وقد ذكرناها في تنمة المسألة الرابعة .

وإنما اختص عليها بهم - عليهم السلام - إذ لم يتمكن من ادراكها بصر مجرد من الآلات ، وهي لم تكن في عصرهم عليهم السلام قطعاً وإنما اخترعت في حدود الالف الهجرى ، فالمجموع مع الاراضى تسعة .

وأما الواحدة التى عرفها بعض الهنود فهى (أرانوس) التى كانت ترى كنجمة من القدر الخامس بين النجوم ، فيجوز أن يكون بعض حكماء الهند (وحدة أبصارهم معروفة) قد راقبها ورصدها حينما كان علم الفلك بين الهنود راقياً ذا أهمية ، فعرف كونها من السيارات وقوم حسابها .

وعدم شيوع تلك المحاسبات بين الناس قد يكون لانقرض ذلك البيت أو لعروض الحوادث التى تعرض على اكثر العائلات .

وبعض الاخبار - كما سأتى فى صدر الخاتمة - يشعر بكون أرانوس مرصوداً عند بعض الحكماء من غير العرب ، حيث يستعظم الوصى عليه السلام انكار السائل لنجمة أرانوس ويقول : « أفاستقطتم نجما برأسه » ، فبضميمة أرانوس يكون المجموع عشرة ، وبإضافة الفليق - أعنى السيارة المتفسخة بين المريخ والمشتري - يكون المجموع أحد عشر - كما أفادته الآية السابقة والخبر المتقدم .

وإنما لم يذكر الوصى عليه السلام نجمة الفليق فى هذا الخبر لانه لم يكن فى صدد بيان جميع سيارات شمسنا ما كان منها وما هو كائن ، بل كان عليه السلام فى صدد ذكر الموجود من السيارات الخفية والنجوم التى لا يعرفها أصحابه عليه السلام ، وعندئذ لا يكون عليه أن يذكر الفليق لانه فى زمان نطق الوصى عليه السلام لم يكن نجما لشمسنا ، بل كان منحلألى نجيمات ومتفسخاً قطعاً ، ولا عليه أن يذكر غير الانجم المعروفة .

« المسألة الثانية عشر »

(في وجود جنس الحيوان في السيارات)

نسمع بعض الحكماء المتأخرين يقصرون علينا أعاجيب عن الكرات السماوية ، من قبيل ان كل واحدة منها كأرضنا هذه ذات جبال وبحار وهواء وبخار وليل ونهار ومخلوقات حية من جنس الحيوانات الارضية ، فهل يوافقهم شرع الاسلام على هذه العقائد والمقالات أو يخالفهم كالمقدمين أو هو ساكت عن مطلق النفي والاثبات لمصالح خفية كسكوت باقي الديانات ؟ .

(الجواب)

قد اعتقد السالفون من الفلاسفة وغيرهم انفراد جرم الارض - كما ذكرته مراراً - وان الطبائع المتفاعلة والعناصر المتقابلة تختص بعالم الارض ، وهذا الاختصاص ينتج بتأ اختصاص وجود الحيوان الكائن الفاسد النامي المتحرك المغتذى بهذه الارض ، فان وجوده كبقائه مشروط بهذه الامور ولا توجد في غير أرضنا ، فيختص وجود الحي المغتذى بها قطعاً .

وكذلك سائر العنصریات ولوازم المعيشة لا تكاد توجد في غير أرضنا ضرورة انها مشروطة جميعاً بتفاعل العناصر الأربعة والسكون والفساد .
فاذا اختصت الشروط بأرضنا يختص المشروط بها أيضا ، وتكون

النتيجة حيثئذ ان لا يكون غير أرضنا أرض ولا غير ما هو حول أرضنا من الماء والهواء والبخار والبحار والحيوان والنبات شيء من أمثالها .
نعم ، كان المليون منهم يثبتون مخلوقات جوهرية كاملة كالملائكة من غير جنس الحيوان والبشر ، لا اعتقادهم بتجرد أولئك الجواهر من الطبائع والعناصر وعلى أى حال لم يذكر أحدهم هذا المعنى المذكور في السؤال .

* * *

وأما حكماء الغرب فقد انفقوا ظاهراً في أن السكرات السيارة حول شمسنا أراض كأرضنا ذات رمال وجبال وهواء وبخار وليل ونهار وفصول وأقمار ، كما فصلته في غرة المسألة الثالثة ، وذكرت المقالات الوافرة المتواترة عن نبي الاسلام وأوصيائه - عليهم السلام - المصرحة بهذا الرأي الجديد .
وذكرت هناك أيضاً ان وجود هذه الامور المسلمة لديهم لو صح في السيارات لكان اطلاق اسم الأرض عليها صحيحاً بالحقيقة لا بالتجوز .
وأما وجود الحيوان والكائنات النامية المغتذية المدركة فلم يستند فيه أحد حتى الآن الى حسه المسلح بأكمل النظارات فضلاً عن الحس المجرد .
نعم ، حكم الحدس من جماعة من الأواخر بوجود الكائنات الحية في الأجرام السماوية ولم يحصل عليه الاتفاق ، بل لم يزل النزاع فيهم على ساق ، وانما حدثت تلك الجماعة من وجهين وجيهين وأيدتهم بعد حدسهم شواهد قوية:

الوجه الأول

هو انا تقطع بوجود الجبال في تلك السكرات ، فان الجبال وأشباهاها تظهر في النظارات ، ولا تتكون الجبال إلا من صخور ورمال - كما نطقت به مباني علم الجيولوجيا - فيتعين كون أراضى السيارات مثل أرضنا ذات جبال

ورمال تصلح للغرس والزرع ونمو النبات .
 وأيضاً نقطع بوجود السكر البخارية لكل سيارة من البراهين والأدلة
 القوية ، كانهكسار النور وشهود الشفق والظواهر الجوية وغيرها، وكيف تكون
 السكر البخارية والظواهر الجوية والسحب والهواء واختلاف الفصول ونحوها
 من دون الأمطار والثلوج وهبوب الرياح ، فان نظام الكون لا يتخلط والطبيعة
 لا تخرق نواميسها ، والمعلول لا يتخلف عن علمته ، فلا يحصى من هطلان الأمطار
 بتردد السحب حول البحار بهبوب الرياح بتغير الفصول ، وحصول المد والجزر
 هنالك اكثر من أرضنا لكثرة الاقار وسرعة دورانها وشدة اقترابها ، وهذه
 الامور بأسرها لا تنفك عن تكون النباتات المختلفة في هاتيك البقاع القابلة
 للأسباب المذكورة .

ثم ان الشجر والخضر متفرقة أو مجتمعة في الآجام والسواحل لا تنفك
 عن الحيوانات الخلقية التكوينية كالحشرات والهوام ، وهي لا تنفك عن الحيوانات
 الذسلية برية وبحرية ، لا سيما على مذهب النشو وارتقاء الانواع وانتخاب الطبيعة

الوجه الثاني

هو ما اعتمد عليه في موافقة أصحاب هذا الحدس بعد اعتمادى على
 مقالات هداى المعصومين - عليهم أفضل الصلاة والسلام .
 وذلك ان الامور الخمسة المسلمة عند الفلاسكيين المتأخرين إذ اتهمت وزال
 عن أفقها الريب فلا يبقى هنالك مانع حسب القوانين العلمية يمنع عن وجود
 المخلوقات الحيوية ، وتكون موادها وماهيتها في تمام القابلية والصلاحية . وعندئذ
 يستحيل قصور فيض الوجود عنها ، إذ المبدأ للوجودات عندنا في غاية الجود
 والسخاء يفيض بالوجود على كل ماهية بلغت حد قبول الوجود ، فيوجد كل

شيء حسب قابليته ، ولا يبخل عن الفيض أبداً تعالى شأنه .
ومع ما قدمت كيف يجوز على المبدأ الفياض على الاطلاق أن يهيء في
موطن كل المعدات وجميع لوازم العيش والحياة ثم لا يوجد من يستعملها وينتفع
بها من الحيوان والنبات ، ولا يخلق ثمة من يعرفه ويعبده ويستكمل بفيوضاته
ومواهبه مع قابليته للوجود وصلاحيته للخلق - جل شأن الحكيم عن ذلك .

أقوال الحكماء في مسكونية السيارات

والأحرى بمقامنا هذا أن نذكر آراء المتأخرين ومرئياتهم في السيارات
ثم نفصل الآيات والروايات الموافقة لهم ، فنقول :
قال العلامة فانديك في اصول هيئته في الزهرة : ان من نقصان النور
بالتدرج نحو الخط الفاصل وبعض الكلف ظهرت لها كرة هوائية وبخارية .
وقد حسب علو بعض جبالها ٢٧ ميلا ، غير ان ذلك تحت الشك من صعوبة
رصد هذا السيار لشدة لمعانه ...

وقال في المريخ : ان حول قطبيه مساحة بيضاء تزيد في الشتاء وتصغر في
الصيف يزعم انه الثلوج القطبية ، والسبكترسكوب أيضا يدل على بخار ماء
فيه ، والأقسام المصفرة اللون محسوبة برأ والمخضرة بجرأ ، والبر فيه اكثر من
البحر عكس ما في الارض ، ولم يكشف عن تسطیح قطبي هذا السيار ، وليس
لهذا السيار قر معروف ، فلا نعرف مادته إلا تقريبا .

يقول المؤلف هبة الدين الحسيني : استكشف الاستاذ (اساف هال)
قرين للمريخ سنة ١٢٩٤ هـ بعد طبع أصول هيئة فاندريك ، ولأجل ذلك ذكرهما
فاندريك في سائر كتبه المتأخرة .

وقال فاندريك في المشتري : وبواسطة نظارة قوية يرى على وجهه مناطق
توازي خطه الاستوائي مختلفة العرض ، والألوان غير ثابتة على هيئة واحدة
وتارة تتغير تحت نظر الراصد ... الى ان قال : ذكر (صوت) بقعة طولها
بالاقل ٣٢٠٠٠ ميل تلاشت في نحو ثلاثين دقيقة ، وذلك دليل على حدوث
ظواهر وتغيرات على سطحه من قبل مياه وغيوم وأمطار وأبخرة وهواء وما
يشبه ذلك .

وقد زعم بعضهم ان هذه الظواهر ليست من فعل الشمس به بل من
حرارته الذاتية والتغيرات الحادثة على سطحه في أبخرته كثيرة جداً ، حتى انه
شاهد قر من أقماره يخفى وراؤه ثم يظهر عند المحل الذي اختفى فيه ، وذلك
من قبل تمدد الكرة الهوائية أو البخارية المحيطة بالسيارة ثم تقلصه .
أما نواحي خطه الاستوائي فغالباً أنور من باقي سطحه وقديرى على سطحه
حلقات غير ثابتة وحدود المناطق المشار إليها غير واضحة ، وهى مزرقّة اللون
تمتاز بسهولة عن لون جرم السيار ...

وقد قال في زحل : وزعم هرشل وجود كرة هوائية في زحل ، وان
فصوله تشبه فصول المريخ ...

وقال أيضاً في أبواب طيف السيارات : ومن رصود (سكى) و(جانس)
ترجح وجود البخار المائي في المشتري وزحل كليهما .

وقال في النقش في الحجر في المريخ : وحول كل قطب من قطبيه قطعة
بيضاء تضيق مساحتها في صيفه وتتسع في شتائه ، وإذا صغرت الواحدة تنسع

الأخرى ، مثل الثلوج حول قطبي الأرض .

وقال : المناطق والمعالم على سطح المشتري تدل على انه محاط بالسحب والمناطق ائلام في سحبه يرى فيها جرم السيار نفسه ، وتلك المعالم غير ثابتة على حال بل سريعة التمدد والتجمع والتقلص والانفصال والاتصال ، وذلك برهان كونه سحبا عائمة فوقه .

وقال في زحل : والظاهر من المناطق والمعالم على سطحه انه شبيه بالمشتري في كونه محاطاً بالسحب والبخار .

وقال في كتاب ارواء الظماء في عطارده : وقد حكم بأن له كرة هوائية كثيفة تجعل الحد بين القسم المنور والقسم المظلم منه غير واضح ، وزعم بعضهم بوجود جبال فيه .

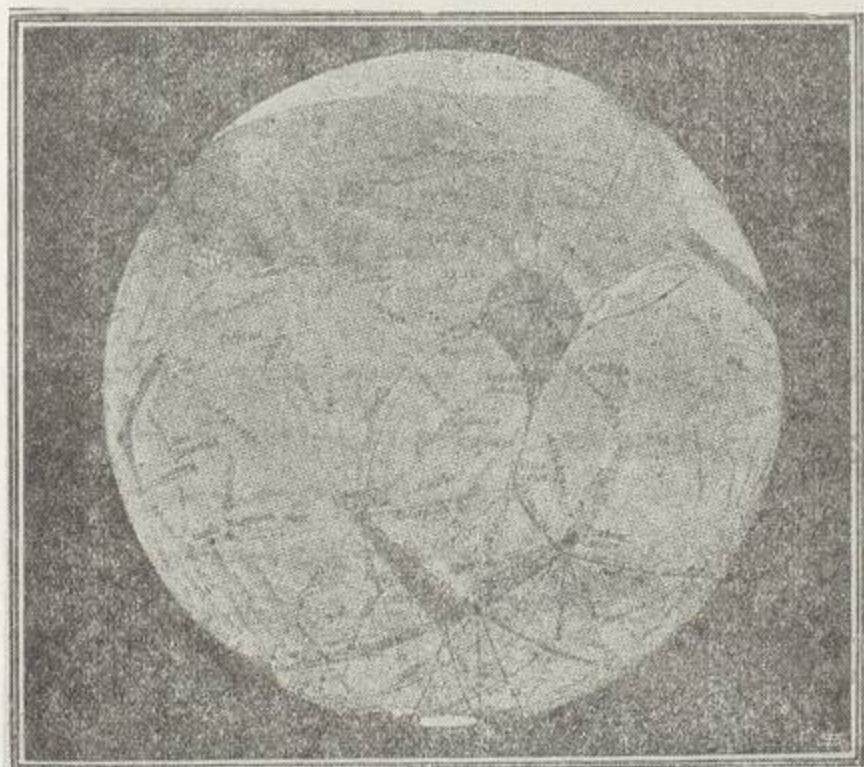
وقال في المريخ : وقد صنع بعضهم خارطة سطح المريخ ، وعين لاقسام اليابسة والمياه أسماء ، مثل قارة ميدلر وقارة سكي وجزيرة لوكيره وبحر كنوبل وخليج برتن وبوغازداوس وبحيرة سكيابري وبوغاز اراكو وغيرها ... الى أن قال : وان وجود مياه وجليد في المريخ يستلزم وجود كرة هوائية . ثم قال : وظهر بواسطة السبكتروسكوب ان السكره البخارية للمريخ شبيهة بما للأرض .

أقول : ان الذي صنع الخارطة الخيالية للمريخ هو الفيلسوف الشهير الاستاذ (لول) كما تراها في شكل (١٤) .

وقال في المشتري بعد ذكر ظواهره الجوية : وكل هذه المناظر دالة على كرة هوائية وبخارية ...

وقال فلانمريون الفيلسوف الفرنسي الشهير في كتابه ما معناه : ان جبال عطارده أعظم من جبال أرضنا وأرفع ، واكثر أحجارها معدنية ، وان كرة زهرة مثل الارض إلا انها أخف من الارض بقليل واكثر أحجارها معدنية

وان الغيم ينقص حر الشمس في هواجر صيفنا ، وقد وجدنا الغيوم كثيرة
التراكم في هواء اتمسفر عطارد دائماً، فيجوز ان يكون ذلك لاعتدال الحر فيه



(ش - ١٤)

خارصة المريح كما صورها الاستاذ لول وتظهر فيها ترعه المختلفة

وعليها سلاسل جبال ممتدة ومبسوطة ، والغيوم قد تتراكم في هوائها الأتسفر وهي من جميع الجهات صالحة للسكنى والحياة . واحتمل ان يكون سكانها أناساً متمدنين وفيهم فلكيون يرصدون أرضنا كما نرصد أرضهم أو تكون لهم أدوات اكمل من أدواتنا .

وقال في المريخ : ان فيها أناساً متمدنين كاملين في الصنائع عرف تمدنهم من استخراج ترع وканалات عظيمة عرضها مائة الف متر وطولها خمسة ملايين أمتار في مواضع مفيدة لدفع فساد مياه البحار عند المد .

وفي دائرة المعارف في الزهرة : قد تحقق ان لها كرة هوائية محيطتها ، كشافتها مثل كثافة السكر الهوائية للأرض ، وبعضهم حكم بأن قوتها على تكسير النور أقل من تلك القوة لهواء الأرض ، وحكم بعضهم بأنه اكثر ، وزعم بعضهم بأنه رأى ثلجا على قطبي الزهرة كما يظهر في المريخ .

وقال ميخائيل في مشهد الكائنات في المريخ : وفي جو هذا السيارغيوم وضباب من أبحرة ماء كما شوهد ذلك بالمنظر الطيفي ، ومن هذا استنتج الجوابه ان في المريخ أنهر تجري فيها المياه المتساقطة من هذا البخار وأودية وجبالا ومجاري هوائية ، فيكون جوها كجونا مركباً من مواد واحدة ، وبره كبرنا أهلاً بخلائق تمشي على سنن خلائق أرضنا .

وقال في هامشه : فاكشفوا على كثير من بقاعه وخططوا قاراته ورسموا بحاره وبجاراته وسموها بأسماء خاصة ، أما لونه الأحمر فقد ذهب الأكترون إلى انه خاص بترتبه .

ثم قال في المشتري : وفي المشتري حلقات موازية لخط استوائه ، منها نيرة ساطعة ومنها مظلمة كألحة سريعة التنقل ، لأن جو هذا السيار كثيف كثير الأنواء وكثافته تضارع كثافة الماء .

وفي حدائق النجوم قال في عطارد : وأطول جباله أحد عشر ميلا
بريطانياً ، وقد يعرض على وجه عطارد شبه الكلف والشامة من ظلال جباله
وحدوث السحب في جوه .

وقال : جزم هرشل والحكيم دن وغيرهما بوجود كرة بخارية لزهرة
ارتفاعها خمسون ميلا جغرافياً ، والميل الجغرافي ٣٩٨٢ ذراع بريطاني .
ونقل عن كتاب ميكيرين المؤلف سنة ١٧٩٢ م أن (شراطر) رصد
بنظارة هرشل جبلا في كرة زهرة علوه خمسة أميال ، وقد ثبت أن طول
جبال زهرة ٢٢ ميلا بريطانياً .

وأما المشتري فعلى سطوحه الاستوائية كلف وشامات تتغير وتندم
بأسرع من الشامات القريبة من نواحي قطبيها فهي سحبها والغيوم التي يغيرها
افراط الحرارة في الحدود الاستوائية من سرعة حركته الوضعية ، ودوام
محاذات الشمس بسمت الرأس من تلك السحب .

وقال أيضا : وارتفاع الكرة البخارية في زحل يقرب من الف ميل .
وفي مجلة الهلال المصرية المجلد الحادي عشر ص ٨٧ : أن الأستاذ
(هوف) الأمريكي ألقى خطاباً من عهد قريب في اعتقاده أن المريخ والزهرة
وعطارد أهلة بالناس وسائر الأحياء ، وأن سكانها أرقى من سكان الأرض
بدناً وعقلاً .

قال : ولما كان المريخ أكبر سناً من الأرض وقد جمد وبرد قبل الأرض
بأزمان فالإنسان وجد فيه قبل وجوده في الأرض وارتقى أكثر من
ارتقائه فيها .

وفي تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ لمحضره الفاضل محمد مسعود أفندي
ماخلاصته : « أن الحكماء اختلفوا في مسكونية الكواكب ، والمشهور عدما

وذهب هرشل وأراغو من أكبرهم الى مسكونية الجميع حتى الشمس بذاتها ومرجع المشهور في عدم المسكونية هو الرصد واستبعاد العقل ، اللهم اذا كان بعض شروط الحياة وافرة في بعض النجوم فالأمر تحت الشك . والقمر خلو من الجو والماء وعناصر الحياة وشروط المعيشة ، ولسكنهم يحتملون السكنى في المريخ إذ الجو فيه متشبع ببخار الماء وسائر شروط الحياة كافية فيه ، ولو اختلف سكانها مع سكان الأرض فانما هو في الشكل .

« المقرر الآن ان زهرة وعطارد نظراً لحدائثة عهد وجودهما بالنسبة الى أرضنا غير قابلتين للسكنى ، ولو وجد فيهما فهم كسكان الأرض قبل خلق الانسان . »

« أما المشتري فجوه مشحون بالسحب وأغلب سطحه سائل ، فلو كان مسكوناً فسكانه من الحيوانات البحرية . »

« وأما زحل وأرانوس ونبتون فلا يحكم عليها بشيء ، لبعدها المانع عن الرصد وضعف النور والحر فيها ، إذ هما فيه بجزء من ٩٠٠ جزء مما في الأرض وطول مدة الفصول . ورأى الحكماء في المريخ خطوطاً فزعموا انها ترع وبحار وقالوا : ان الثقل في المريخ ثلث ما على الأرض فيختص سكانها بالخفة والرشاقة . »

وقال الكاتب (برناردن دوسان بيتير) ان سكان الزهرة يشبهون سكان الأرض وبعض رعاة الأغنام والماشية على قمم الجبال والبعض الآخر يقيمون على ضفاف الأنهار ، إذ يقضون أوقاتهم في الرقص ومد الموائد والتغنى والتسابق في السباحة .

وقال فوتنل عن سكان عطارد : انهم يسكنون أصغر المنازل لصغر أجسامهم ، وانهم لشدة حر الشمس مصابون بالجنون .

وقال آخر في كتابه المطبوع سنة ١٧٥٠ بعنوان (سياحة عطارد) ان العطاردين كالملائكة لهم أجنحة يطرون بها في الجو وان جسومهم أصغر من جسومنا .

وقال السير همفري دلتن : ان سكان زحل ينقلون في الفضاء بواسطة ستة أعشبة رقيقة ، وان ألوان جلودهم اما سنجابية واما وردية ، وان غذاءهم العناصر الغازية ، وهم كبار الجسم يتوغلون في الفضاء ويجولون حول السحب كالمناطيد الجوية إذا حلقت في السماء .

وقال الفلكي الألماني (وولف) ان المشتري أو ما بعده لا يصلها من نور الشمس كثير ، فلا بد ان تكون أعين سكانها كبيرة لاستيفاء حاجتهم من النظر .

وقال : ان سكان المشتري يبلغ ارتفاع الواحد منهم خمسة أمتار ، وسكان نبتون سبعة عشر متراً .

وذكر الكاتب (نيقولا كليميوس) عجائب في هذا الباب في رواياته عن الانسان النباتي ..

أقول : وبعض هذه المنقولات مناسب لما ورد في أخبارنا الشارحة لأحوال الملائكة وسكان السماوات (١) .

وقال المحرر المذكور أيضا في عطارد: ان جباله مرتفعة وجوه سحابي وقال في الزهرة بمشاهدة أراض وبحار على سطحها وجو كثيف وجبال شاهقة والانتقال بها من فصل الى فصل دفعي لا تدريجي ، وفي المريخ ان به بحار وأنهار وجزر وثلوج وجو بجو الأرض ، وفي نبتون ان جوه غازي يختلف عن جو الأرض ...

(١) لا يظن أحد مما جاء في هذه المسألة وسائر مسائل هذا الكتاب -

وفي المقتطف صفحة ٨٣ من المجلد الثاني بعد شرح المشتري قال : فقد

- اننا لا نريد تصحيح الآثار الاسلامية المقدسة بعرضها على آثار الفلاسفة
العصرين وعلما العصر الحاضر ، وبالنتيجة نثبت حقاينة الشريعة الاسلامية
الغراء بواسطة الاستمداد من عقائد هؤلاء ومكتشفاتهم الحديثة ، لاننا إذا
صنعنا هذا نكون كمن يريد اثبات وجود الشمس المضيئة المتألثة في كبد السماء
بوجود نجمة خافية لم ترها العين بل لم يثبت وجودها خارجا بعد .

نحن نؤمن ايمانا قويا لا يشوبه شك ولا ريب بديننا القويم ، ونقطع
بأن الاخبار والآثار الصادرة حقاً عن النبي والآئمة عليهم السلام كلها مطابقة للواقع
ومبينة للحقيقة .

وعلى هذا ليس لنا أن نزيل يقيننا بما يقوله فيلسوف لا نعرف شخصيته
ولا حقيقته ، بل ولم نثبت وجوده الخارجي ، ولم نعلم - على فرض وجوده -
مبلغ حظه من العلم ومقدار تنزهه عن السكذب والافتراء وتشويه الحقائق .
ان بعد غرضنا من نشر هذه المعلومات انما هو تحرير أفكار أولئك
السنج الذين يقعون آثار القدماء خطوة خطوة ويقلدون الفلاسفة المتقدمين
تقليداً أعمى .

اننا نريد أن تتحرر أفكار هؤلاء فيتعمقوا أكثر من ذي قبل في الاخبار
والآثار الاسلامية وينظروا اليها بنظر استقلالي لا اتكالي حتى يستفيدوا منها
الحقائق الحقبة بلا تشويه أو تعديل .

نريد أن لا يكون هؤلاء كالمقدمين مقيدين بمحدودين ، والذين حاولوا بما
أوتوا من حول وقوة أن يوفقوا بين ما أتى به الشرع الاسلامي الحنيف
ومعتقدات الفلاسفة الأقدمين ، فكأما الشارع الاسلامي المقدس كان
مبعوثاً من جانب بطليموس وأصحابه الآخرين .

ظهر مما ذكر ان هذا النجم الذى تراه العين صغيراً هو عالم كبير فيه هواء وماء - وبعكس هؤلاء جماعة من المتحمسين للفلسفة الغربية المعاصرة ، حيث انهم اتبعوا آثار الغربيين أشد اتباع وتركوا كل ما هنالك من التراث القديم واستسلموا للفلسفة الجديدة استسلام العميد للسادة ، فطفقوا يخطون خطاهم طابق النمل بالنمل ، انهم يجدون ويجهدون بكل امكانياتهم أن يوفقوا بين الآثار الاسلامية وآراء الغربيين ، ويجعلوا الشارع الاسلامى المقدس رهيناً لما يتفوه به هرشل وكبلر وغاليله وغيرهم .

وعلى ماذهب اليه اتباع الفلسفة القديمه ومايرتبه أصحاب الفلسفة الجديدة فليس للاسلام فلسفة ومبدأ يخصه ، بل انه يتبع الآراء ويميل مع الأهواء ويوافق الفرضيات الخيالية بأى شكل يفرضه الناس .

حاشا وكلا : إن هذا أخذ جانب الافراط وذلك اتبع جانب التفريط ، وكلاهما مال عن طريق الهداية وسبيل الحق والحقيقة وانحرف عن الصراط المستقيم ، وليس هذا إلا من نتائج عدم الاستقلال فى النظر وسلب حرية الفكر وإلا فليس للشارع الاسلامى وآرائه اتكال على مايقوله بطليموس أو كوبرنيك أو غيرها .

يجب على الرجل الذى له الاستقامة فى عقله والحرية فى فكره ان يتدبر فى كل كلام يرد عليه غاية التدبر بلا اتكاه ولا اتكال على كلام غيره حتى يظفر على حقيقة الموضوع وواقعه ويجد ضالته المنشودة .

وغرضنا من هذه التعليقة الطويلة أن نقول للقارىء الكريم : ان المقصود من نشر هذه المعلومات ليس إلا تقوية النظر الاستقلالى فى محبى العلم والحقيقة ، واخراج الآثار والأخبار الاسلامية من تحت ضغط النظريات الاتكالية التى سبقت وان وقعت تحت ضغطها .

وغيوم وأمطار ... الى أن قال : من يفكر في كبر المشتري وفي خلق أربعة أقمار له (١) ويتدبر حكمة خالقه الظاهرة في كثير من تفاصيله قلما يشك في كونه مسكروناً بخلائق حية كأرضنا هذه الصغيرة بالنظر اليه ، بل لو حاول غيره ان يبرهن له خلوه من المخلوقات لضحك منه ، إذ المرء يستغرب أن يرى في الكون عالماً كبيراً كالمشتري مخلوقاً عيشاً ، وهو يعلم ان البارئ سبحانه لم يخلق شيئاً في هذه الأرض إلا لقصده ومنفعة .

وفي المقتطف أيضاً صفحة ٥٩٥ من المجلد الرابع والثلاثين وضع الأستاذ (لول) الأمريكي كتاباً عن المريخ وترعه سنة ١٩٠٦ م بعد ان بحث فيه بحثاً علمياً دقيقاً واستنتج انه مسكون بمخلوقات عاقلة ، يخالف بذلك الدكتور ولس الذي كتب سنة ١٩٠٣ مرجحاً ان الأرض هي الجرم الوحيد المؤهل لسكنى الانسان ثم كتب ولس مبيناً ان المريخ لا يصلح للسكنى لأنه خال من الماء ، لكن المستر سليفر أثبت بالبحث السبكتروسكوبى وجود بخار الماء في المريخ ، فاذا كان فيه ماء فليس ما يمنع وجود الحياة فيه . وقد وضع الاستاذ لول كتاباً آخر الآن عن المريخ كقمر للحياة أقام فيه الأدلة على انه مسكون بمخلوقات بالغة درجة

- ان هذه التطبيقات غير جائزة إلا في حقيقة ظهرت كالشمس في رابعة النهار وجاء حديث اسلامى مطابق لتلك الحقيقة ، فهناك تظهر المعجزة النبوية وتزيد في نشاط المسلمين واطمئنائهم وتنبه المخالفين وترشدهم الى الصراط المستقيم - (ف) .

(١) ذكر ذلك قبل اكتشاف بقية أقماره ، فكيف به لو كان يعلم بأن حول المشتري تسعة أقمار أو اكثر .

عالية جداً من الارتقاء العقلي والصناعي (١).

أقول : وعمدة استبعاد الحكماء وجود الحيوان في الكرات القريبة من الشمس كعطارد وفلكان وبعيدة عنها كزحل وأرانوس وفتون إنما هو من جهة افراط الحر في الأولى من كثرة الاقتراب من الشمس وافرط البرد في الثانية من كثرة البعد عنها . وترى نسبة قرب السيارات وبعدها عن الشمس في شكل (١٤).

ولرفع هذا الاستبعاد عندي وجوه من القول :

(الوجه الأول) ان ذلك يناهض حياة حيوان فيها يماثلنا في الطبع والمزاج ولا يناهض وجود حيوانات فيها توافقنا في الحقيقة والحياة وتخالفنا في الطبع والمزاج وبعض الشكل ، كما ان الله تعالى خلق في أرضنا بشرأ في نواحي الخط الاستوائى قوى الجسم غليظ الجلد يتحمل من الحر ما لا نتحملة ، وخلق في أرضنا بشرأ في حدود القطبين على خلاف الخلق الأول ويتحملون من البرد ما لا نتحملة، ولو

(١) نشر كتاب الاستاذ لول المذكور هنا في المقتطف يناير سنة ١٩٠٨ ص

١٢ وقد جاء فيه بتسع وثلاثين شاهد على وجود الحياة في المريخ ، وهاك أصنافها :

(منها) تشابهه مع أرضنا في اليوم وميل محوره .

(ومنها) ثلوج قطبيه التي تتغير حسب فصوله ومداره قلة وكثرة .

(ومنها) كراته البخارية المحيطة بجوه وتغيراتها حسب فصوله وأحواله .

(ومنها) وجود الشفق والنور والعناصر في جوه .

(ومنها) التغيرات الشبيهة بالغيوم والكلف والغيبار في جوه .

(ومنها) شواهد النبات والبحار والجبال فيه .

ولو استشهد بالأقار أيضا لسكل أربعون شاهداً .



(ش - ١٥) نسبة بعد السيارات عن الشمس

بقي الخلق الأول في مكان الخلق الثاني يوما لهلك من شدة البرد ، كما ان الخلق الثاني لو بقي في مكان الخلق الأول يوما لهلك من شدة الحر ، وهذا التفاوت العظيم نجده في باقي الحيوانات الموجودة في أرضنا أيضا .

وحسبك المنقول عن السمندل وتعيشه في النار من دون أن يحترق، وكذا بعض الدود الذي يتولد في الثلوج العتيقة ويموت بأدنى حرارة يمسه .

(الوجه الثاني) ان مجرد القرب والبعد عن الشمس لا يكون دليلا قاطعا على شدة الحر أو البرد ، إذ قد يقترن القرب المفرط من الشمس بأمورتستوجب البرد ، وكذلك البعد المفرط عنها قد يقترن بما يستوجب الحر من لطافة الهواء أو كثافتها ، كما نرى في أرضنا ان جبال هملايا مع ارتفاعها المفرط وكونها في أواسط المنطقة الحارة لا تنفك رؤوسها أبداً عن الثلوج المتراكمة فيها ، ولا يطاق البرد هنالك ، مع كونها أقرب مناطق الأرض الى الشمس .

وأما أوهاد تلك الجبال وسواحل البحار وحصباء العرب وقفار الهند فلا يطاق حرها مع كثرة بعدها عن الشمس ، فأسياب الحر والبرد غير محصورة في مجرد القرب أو البعد عنها .

فلم لا يجوز اقتران قرب عطارده ونحوه بسرعة تبدل الفصول وبمياه جارية وأهوية مساعدة وخواص أخرى ، كما سمعت عن فلامريون الفرنسي أنفا ، فيضعف الحر فيه أو خلق طبائع أهله وأمزجتهم على نحو يتحمل ذلك وكذلك بعد زحل ونحوه فإنه قد ينجر بشدة حرارة مادة أرضه وكثافة جوه وكثرة أقراره وصقالة بطحائه واستعداد أهله .

(الوجه الثالث) ان افراط القرب يقوى تأثير الحر في الحدود الاستوائية لا في الحدود القطبية ، وافرط البعد بعكس ذلك .

فلم لا يجوز سكنى سكنة عطارده ونحوه في حدوده القطبية الضعيفة فيها حر الشمس وسكنى سكنة زحل ونحوه في حدوده الاستوائية المجتمع فيها الحرارة .

(الوجه الرابع) ان الاغذية المفرطة في البرودة وكذلك الاغذية المفرطة في الحرارة قد يجبران الحر والبرد الشديدين ، فيجوز على سكنة عطارده ونحوه المعالجة بواقيات الحر ما كلاً وملبسا ومسكنا ، وكذلك على سكنة زحل ونحوه أن يعالجوا البرد بالدوافع وما يبق عنه في الأكل والملبس والمسكن - فتفطن ولنطوى اكناف المقال إذ قرب الخروج من وضع الكتاب ، ولقد ذكرنا لك خلاصة مذهب القدماء وآراء المتأخرين وأقوالهم المستغربة ، ورفعنا استبعادها بوجوه صحيحة ، فالواجب علينا الآن نقل الظواهر الشرعية التي نحسبها موافقة لآراء المتأخرين ، فنقول :

أما الظواهر الشرعية الاسلامية في هذه المسألة فكثيرة جداً ، ذكرنا

جملة منها في مسألة تعدد الأرضين كالمقالة الرابعة والعاشره والحادية عشر والرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر - فراجعها وخذ البقية ههنا :
 ١ - قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة ﴾ (١) وهذه الآية ظاهرة في وجود الخلق والدواب في السموات مثل ما في الأرض ، لأنه لم يفرق بين الأرض والسموات ، إذ قال تعالى : ﴿ بت فيها من دابة ﴾ .

والدابة ظاهرة عرفا ولغة فيما يدب على وجه الأرض ويمشي عليها حتى الإنسان ، كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٢) والمراد بـ ﴿ الذين لا يعقلون ﴾ هم المشركون ، ويؤيده الموصول المخصوص لذوى العقول ، وانفق المفسرون أيضا - كاللغويين - على ان الدابة كل ما يدب ويمشي على وجه الأرض من انسان وحيوان غير الطيور ، كما قال سبحانه : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ (٣) .

وقد ذكرنا فيما سبق أيضا أن السماء اسم لكل جوهر علوى ، وان كل ما علاك فهو سماؤك ، حسما اتفق عليه اللغويون .
 ومن الآيات المؤيدة لفحوى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾ (٤) وعطف الملائكة يدل على ان تلك الدواب هي غير الملائكة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد جرى

(١) سورة الشورى آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٤) سورة النحل آية ٤٩ .

على ترتيب اللف والنشر المشوش ، بأن تكون الملائكة هي ما في السماوات والدابة هي ما في الأرض .

فإذا ورد في الشرع كلمتا الأرض والسماء معاً مفردين كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السماء مطلق ما علاها من الاجرام والهواء والفضاء ، وإذا ورد لفظ الأرض مفرداً مع لفظ السماوات بمجموعة كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السماوات الاجرام العالية والسكرات السامية كما في هذه الآية ، وإذا ورد لفظ الارضين مع لفظ السماوات بمجموعتين كان الظاهر من الارضين الارضين السبع السيارة الشاملة لارضنا والسماوات كراتها البخارية المحيطة كل منها بكل من تلك الارضين وهذه القاعدة قليلة التخلف في ظواهر شرعنا الاقدس ، وعليك بالاستقراء وبناءاً عليها يكون المقصود من السماوات في هذه الآية السكرات السامية والدواب فيها اشارة الى ما يدعيه المتأخرون من وجود الكائنات الحية فيها . وقد ورد هذا المعنى في اكثر الاخبار صريحاً كما ستبلى عليك .

والمفسرون إذ لم يتعقلوا وجود الدواب فيما عدا الارض تأولوا في الآية بما وسعه عليهم و صرفوا ألفاظ الآية عما كانت ظاهرة فيه ، ولكنهم مع ذلك اعترفوا بظهور الآية في وجود الحيوان في السكرات السامية ، ونفى الزمخشري والبيضاوي وغيرهما استبعاد ان يخلق في السماوات حيوانات يمشون فيها مشى الاناس على الارض ، وقالوا : سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق - انتهى .

فلو صححت الآراء الاخيرة أخذنا بظاهر الآية وقافاً للمتأخرين ، ولو ظهر بطلانها واستحالتها وافقنا القدماء في تأويل هذه الظواهر وصرف وجوهاً الى معان مناسبة .

٢ - قوله سبحانه : (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) (١) فان جمعاً من المفسرين أخذوا البروج في هذه الآية بمعناه اللغوي - أعنى القصر والبناء الرفيع - لا بمعناه الاصطلاحي الحادث بعد النبي (ص) ، أعنى به منزل الشمس من فضاء النجوم المعدودة اثني عشر . وقال الرازي : البروج هي القصور العالية .

فعلى هذا يجوز أن يكون إشارة الى الاراء الحديثة من وجود الاهالي والأبنية والقصور والمدن في السكرات السامية .
وتنكير البروج في الآية مؤيد لعدم كونها إشارة الى منازل الشمس المعروفة الاثني عشر ، إذ لو كان لفظ البروج إشارة اليها لكان الأنسب تعريفها حسب كونها معمودة بين الناس .

٣ - في البحار والكافي للكليني والوافي للعلامة محمد محسن الفيض وبصائر الدرجات والانوار النعمانية وغيرها بالاسانيد الى عجلان بن أبي صالح قال : دخل رجل على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم عليه السلام ؟ قال : نعم ، والله قباب كثيرة ، ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً ، أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره (ها خ ل) لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ، ما يدرون خلق آدم عليه السلام أم لم يخلق .
أقول : كأن هذا السائل كان مسبقاً بخبر القباب الذي شاع عن محمد الباقر عليه السلام والد جعفر الصادق عليه السلام فقصد سماعه من الصادق أيضاً ، وسنوي خبر القباب في باب تعدد العوالم وانه عليه السلام نظر الى السماء وقال : هذه قبة أينا آدم عليه السلام والله سواها كذا وكذا قبة .

وقوله عليه السلام : أرضاً بيضاء ، ظاهر في كونه بياناً للمغرب ، فيكون

الغرض - والعلم عند الله - بيان كثرة الاراضى فى الفضاء وامتلاء الكل خلقا كما يراه جملة من المتأخرين . والضمير فى بنوره راجع الى الله ، ونور الشمس أيضا نور الله تعالى وفيضه المقدس الاشرافى .

والسر فى تنزيه أولئك المخلوقين عن المعصية نذكره فى أجوبتنا عن المسائل المتفرقة .

وفى كتاب (فلك السعادة) للفاضل اعتضاد السلطنة ابن الخاقان فتح على شاه القاجار قال ما معناه : انى عرضت هذا الخبر على بعض حكماء اروبا فقال - بعد استغرابه - : لو كنت على يقين من صدور هذا الكلام من وصى نبيكم لآمنت به وأسلمت .

أقول : وانما عجز الفاضل المذكور من توضيح صحة اسناد هذا الخبر لأجل انه لم يكن ذا حيلة بأسانيد الاخبار ، ولا كان كثير الاطلاع على السكتب . وحسبك ان هذا الخبر المستفيض نقل فى كتب الحفاظ - كما ذكرنا بعضا منها - ولم ينقله هذا الفاضل إلا من كتاب غير معروف ، إذ صرح فى فلك السعادة بأنى وجدت هذا الخبر فى كتاب نظام الدين احمد الكيلانى تلميذ سيد الحكماء محمد باقر الداماد .

فلو اطلع على وجود هذا الخبر فى الكافى فقط لكفاه فى اتمام الحجّة على من أراد ، لتواتر كتاب الكافى بين المسلمين ووفور نسخه العتيقة جداً . وأما نحن فبفضل من الله تعالى ورحمته نقل اكثر هذه الاخبار من السكتب الشهيرة والنسخ المتقدم تأريخها على الاعصار الاخيرة ، ومن شاء الثقة وتكميل الحجّة فليراجعنا وله الفضل .

٤ - فى ينابيع المودة ص ١٦ من طبع بمبىء عن احمد بن حنبل وعن ابنه وعن الحمويين فى فرائد السمطين وعن الحاكم وعن الصواعق وعن

نوادير الأصول ، وهؤلاء الستة بأسانيدهم عن علي عليه السلام وعن ابن عباس وعن أنس وعن جابر وعن أبي سعيد الخدري وعن سلمة بن الأكوع وعن أبي موسى الأشعري ، وهؤلاء السبعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : د النجوم أمان لأهل السماء ، فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض .

وهذا الخبر دليل على وجود الأحياء العاقلة بل على البشر في الكرات السامية ، بقرينة وحدة السياق في أهل السماء وفي أهل بيته عليه السلام ، وبقرينة ان المراد من أهل السماء لو كانوا هم الملائكة الذين سموهم الفلاسفة أرواحاً مجردة لزم الكذب ، لأن النجوم ليست أماناً للملائكة بل للملائكة هم أمان للنجوم .

وفي هذا الخبر المستفيض بل المتواتر اشعار بالجازبية العمومية أيضاً بين أجرام السماء كما لا يخفى على من تدبر .

٥ - في البحار للمجلسي والأنوار النعمانية للسيد نعمته الله الجزائري وكتاب الفتوحات المسكية لشيخ العرفاء محي الدين المتوفى سنة ٦٣٨ في الباب الثامن عن عبدالله بن عباس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه في حديث الكعبة : انها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وان في كل من الارضين السبع خلقاً مثلنا ، حتى ان فيهم ابن عباس مثلي .

وهذا الخبر صريح في وجود البشر في الكرات السامية ، وان الله تعالى أمثال هذه الكعبة المشرفة غيرها ، قد جعلها مطافاً لعباده في سائر الاراضي السيارة ، وليس هذا بمستبعد وليس على الله تعالى بعزيز .

٦ - روى الشيخ رجب البرسي في مناقبه المؤلف سنة ٨٠٠ والشيخ ابراهيم الكفعمي من علمائنا في القرن العاشر والعلامة المجلسي في البحار

بالاسانيد عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ان جبرئيل قال للنبي (ص) والذي بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله تعالى يعبدونه ولا يعصونه ، قد تمزقت لحومهم ووجوههم من البكاء . قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : قلت يا رسول الله ليس هنالك ابليس أو أحد من بني آدم ؟ فقال عليه السلام : « والذي بعثني بالحق نبياً ما يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس ، ولا يحصى عددهم إلا الله تعالى . »

أقول : وهذا الخبر الشريف يدل أيضاً على وجود الكائن الحي في غير أرضنا من نوع البشر لاختصاص البكاء بالانسان واللحم بالحيوان والعبادة ونفي العصيان وعدم العلم بشيء خاص بأسرها متفرعة على العقل والقدرة . وقد ذكرنا مراراً ان أخبار الامامية ومختار جملة من علمائنا المتقدمين يقتضى عدم انحصار مبدأ البشر بآدم عليه السلام بل هو أبو نافع فقط ، وستأتى الاخبار المصرحة بتعدد أمثال آدم في كل عهد وعالم .

٧- روى الشيخ محمد الحر العاملي في الصحيفة الثانية السجادية عن الامام السجاد علي بن الحسين السبط عليه السلام في صلواته على آدم انه قال : « فصل عليه أنت وملائكتك وسكان سمواتك وأرضك . »

فان عطف سكان السموات على الملائكة ظاهر في مغايرتها على ما هو مقتضى العطف، وإذ لا يوجد حي بعد الملائكة غير أمثال الكائنات الارضية الحية أفاد المطلوب ، وهو وجود الحيوان في السموات السامية .

٨- في بحار الانوار للبحرسي والدر المشور للسيوطي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « ومن الارض مثلهن » قال : « سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم و ابراهيم ك ابراهيمكم وعيسى كعيسى . » وبهذا وأشباهه ندفع كثيراً من الشبهات الدينية المستحدثة ، ولما كان

الاتفات اليها خارجا عن نظام هذا الكتاب ذكرناها في غيره من أجوبتنا للأسئلة التي ترد علينا ورسائلنا الخصوصية .

٩ - في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ مسنداً الى عطاء ابن يسار وفي دائرة المعارف أيضا ناقلا عن الشيخ سراج الدين في عجائب المخلوقات (١) أيضا عن عطاء وهو من تبعه أصحاب النبي (ص) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ قال : « وفي كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم و ابراهيم مثل ابراهيمكم » .

١٠ - في تفسير سورة الصافات من تفسير القمي وفي المجلد الرابع عشر من البحار بسند صحيح إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : « هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الارض ، مربوطة كل مدينة بعمود من نور ، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة » .

وروى هذا الخبر بعينه الشيخ نجر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ في مجمع البحرين في لغة (كوكب) مرسلا عن علي عليه السلام ، إلا انه روى في آخر الخبر قوله عليه السلام : « ان كل مدينة منها مربوطة بعمودين من نور » . وعلى أي تقدير فظاهر الخبر يرشدنا إلى وجود مدن وعمارات في الكرات السامية ، وهو مستلزم لوجود الاهالي والسكان المتمدين - كما ظهر ذلك للمتأخرين في نجمة مريخ ، فتذكر ما قدمناه .

وقوله عليه السلام : « مربوطة بعمود من نور » قد يكون اشارة إلى تأثير جاذبية الشمس في حفظ نظام السيارات ، واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودي - كما اتفق عليه الحكماء المتأخرون أجمع .

وقوله عليه السلام في الرواية الاخرى : « بعمودين من نور » يمكن أن يكون

(١) الظاهر انها خريدة العجائب كما سيأتي دون عجائب المخلوقات .

إشارة الى ما تقرر أخيراً ان نظام السيارات تحفظه قوتان من الشمس :
أحدهما قوة جذب الشمس لها ، والثانية قوة اندفاعها عن الشمس بسبب التحرك
الدورى. فلو انفردت الاولى فى التأثير ولم تكافئها الثانية لهوت جملة السيارات
فى كورة الشمس ، ولو انفردت الثانية ولم تكافئها الاولى لرميت النجوم الى
خارج نظام الشمس من الفضاء الواسع .

وانما استقرت السيارات فى أفلاكها المعينة وانضبط نظامها بواسطة
ارتباطها مع الشمس بعمودين وانقيادها بين جاذب ودافع والعلم عند الله تعالى
وأوليائه عليهم الصلاة والسلام (١) .

١١ - فى البحار عن مفاتيح الغيب للرازى محمد نحر الدين المتوفى سنة
٦٠٦ قال : قال رسول الله (ص) : « ليلة أسرى بي الى السماء رأيت فى السماء
السابعة ميادين كميادين أرضكم هذه » .

وروى هذا الخبر أيضا الحافظ الشيخ رجب البرسى من أبناء المائة
الثامنة عن الرازى فى مفاتيح الغيب انه قال : « فى السماء الرابعة ، بدل السماء
السابعة - فتدبر .

وعلى أى تقدير فظاهر هذا الخبر يدل على مشابهة الكرات السامية

(١) هذان تفسيران وجيهان للعمود والعمودين وجالبان للنظر جسداً
ولسكن بقى اشكال فى تحديد على أمير المؤمنين عليه السلام طول كل عمود بمسيرة
مائتين وخمسين سنة لم ينحل بعد ، ووجه الاشكال من جهتين :

(الاولى) يلزم أن يكون بعد كل سيارة عن الشمس مسيرة مائتين
وخمسين سنة ، وهذا التحديد لم يقل به أحد حتى الآن .

(الثانية) مساواة كل السيارات فى بعدها عن الشمس ، مع العلم ان بعد
السيارات عن الشمس يختلف كثيراً - (ف) .

لأرضنا ووجود الميادين عليها لجولان كائناتها الحية .

١٢ - في البحار والدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - وأظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله في شرح الارض البيضاء خلف مغربنا الى ان قال صلى الله عليه وآله: « فيها خلق من خلق الله لم يصعوا الله طرفه عين ، فقيل : يا نبي الله أم من ولد آدم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق ، قيل : يا نبي الله فأين إبليس عنهم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « ما يدرون خلق إبليس أم لم يخلق ، .
وقد ذكرت ما يتعلق بهذا الخبر في شرح الخبر الخامس وغيره ، فراجع
تفتتح .

١٣ - في كتاب الفقيه أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ وعندى نسخة منه عتيقة جداً عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : « خلق الله تعالى أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة الى أن قال : « محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون ان الله تعالى يعصى طرفه عين ، قالوا : يا رسول الله أمن ولد آدم هم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « لا يعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق ، قالوا : يا رسول الله فأين إبليس عنهم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ولا يعلمون ان الله تعالى خلق إبليس ، ثم قرأ صلى الله عليه وآله قوله تعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) .

١٤ - في تفسير الفاضل النيسابوري عند تفسير قوله تعالى : (ومن الارض مثلين) ناقلان : ان في كل أرض منها خلق . قال : حتى قالوا إن في كل منها آدم وحواء ونوح و ابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها أو جعل الله تعالى لهم نوراً يستضيئون به .
وذكر النقاش في تفسيره فصلاً في خلائق السماوات والارضين وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات - انتهى .

١٥ - الحديث المتواتر عن النبي ﷺ انه قال : « ان النجوم أمان لأهل السماء ، وان أهل بيتي أمان لأهل الأرض » .

وهذا الخبر مشعر بأن السماوات آهلة بالخلائق ، فيكون معنى أمان النجوم لهم انها كالسفينة قرار لهم ومسكن ، ولولاها لساخوا في ببداء الفضاء أو غاصوا في أعماق جو بعيد الانتهاء ، كما ان أهل بيت النبوة أمان لنا وسفينة لنجاتنا من الفرق في بحر الظلمات ، وقد قال ﷺ في خبر آخر : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق » .

أقول : ليس عدم وثوق العلماء بمثل هذه الاخبار من جهة خلل في اسنادها ، إذ فيها أخبار صحيحة السند قوية النسبة أيضا ، وانما ضعف وثوقهم بأمثالها من جهة غرابة مضامينها ومخالفتها للقواعد الفلسفية التي كانت مسلمة لديهم في العصور المتقدمة - كما حققناه في المقدمة الرابعة .

ولقد كان المحققون من علمائنا يستنكفون من نقل هذه الاخبار ويرون نقلها وهنا للدين في أنظار عقلاء عصرهم .

نعم كان بعض الحفاظ والمحدثين يحدثون بجميع ما وصل اليهم تعبداً بأوامر الشريعة وتجمداً على ظواهر ما جاء منها .

ونسأل الله تعالى أن يجازيهم أحسن الجزاء ، ونحمده جل ذكره حيث أنعم علينا في هذه العصور برفع الخجل والفشل عنا من كشف أسرار بعض أخبار حججنا الاطهار بسبب ارتقاء الكمالات والعلوم ونمو فن الهيئة والنجوم فظهرت لنا حقائق السكون ودقائق الطبيعة وأضحى المستكشفات الحديثة أحسن ترجمان للقرآن والحديث ، وخير نظارة نبصر بها أسرار شرعنا المقدس ، وأفصح لسان ينطق بصحة الدين والمذهب - والله المنة ولهم الشكر .

« المسألة الثالثة عشر »

(في الشهب والمذنبات وأحجار الجوى)

قد بدل البحث والتدقيق رأى الحكماء فى حقيقة ذوات الاذئاب والرجوم فقد كان القدماء منهم يعتقدون جميعاً ان الرجوم والمذنبات ليست من مقولة الانجم والفلكيات بل هى من حوادث جونا المتكونة من الابخرة والادخنة، وهم اليوم متفقون ظاهراً على ان المذنبات والرجوم بأسرها من مقولة الكواكب والنجوم .

وتحقيق هذه المسألة - ولو لم يكن من وظيفة الدين - لسكننا نحب العلم بأن الشريعة هل وافقت المتأخرين أو القدماء ، أو اتخذت كسائر الشرائع سكوتها معنا ؟

(الجواب)

اعلم ان الشعل الحادثة ليلا فى جو السماء المشابهة للشهب والسهام الثاقبة لا يرتاب أحد فى وجودها ، وانما قام الخلاف بين الحكماء فى مادتها ومنشأ حدوثها فالفلاسفة السالفون كأرسطو وأتباعه وبطلميوس ومن بعده زعموا أن الدخان اللزج الدهنى إذا تصاعد من أرضنا واقترب من الكرة النارية المتصلة بفلك القمر ولم تنقطع مادته عن هواء الارض أخذت النار تشتعل وتسرى فيه الى آخر مادته ، فيرى كالخيط المشتعل أو كالشهاب المنفصل . فاذا كانت مادة



(ش - ١٦) صور المذنبات من الكتب القديمة

الدخان لطيفة كانت عند الاشتعال ناراً صرفة غير مبصرة ، وإذا كانت كثيفة بقيت مبصرة بعد الاشتعال ، وربما مكثت على غرائب الأشكال على اختلاف مواد الدخان وصوره .

قالوا : وربما شابهت كوكباً ذا لحية أو ذؤابة أو قرون أو ذنابه أو شكل تنين أو كرة أو مخروطياً أو غيرها ، وربما تكثر المادة فتضئ باشتعالها وجه الأرض .

فالشهب وذوات الاذئاب بأسرها عندهم كائنات من أدخنة الأرض وحوادث جوها ، ولو أطلقوا عليها اسم النجم نادراً فتجوز بعيد .

وإنما لم يجزوا عدها من الفلكيات لوجود الميل المستقيم فيها وتطرق السكون والفساد اليها ، والفلكيات بأسرها لديهم منزهة من هذه الامور .

ولم يخالف هؤلاء الحكماء أحد غير (سنيكا) الحكيم الروماني ، فإنه أنكر على أرسطو رأيه في المذنبات واحتمل كونها من مقولة السيارات .

والمحققون من علماء المسلمين - كابن سينا والرازي والطوسي والجرجاني والتفتازاني وغيرهم - وافقوا الفلاسفة من اذعانهم بأصولهم .

وقد أوجز الرازي كلامه في مباحثه الشرقية فقال : « إذا ارتفع بخار دخان لزوج دهني حتى وصل الى حيز النار من غير أن ينقطع اتصاله عن

الأرض اشتعلت النار فيه فazole فيرى كأن تينياً ينزل من السماء » .

* * *

وأما الحكماء المتأخرون عن الالف الهجري فمن بعد تحرير الأفكار وارسالها جوالته في كل مضمار مع موافقة الاسباب ومساعدة الأدوات أجمعوا ظاهراً على أن الشهب والمذنبات من مقولة السيارات ، وإن مادة الكل واحدة وليس شيء منها ناشئاً عن أدخنة الأرض ، وإنما هي اجرام سيارة

في جو السماء مستقلة كأجرام السيارات العظام مادة ومثلاً .
 وأول من قاس بعدها عن الأرض هو (جون ملر) الفلكي الألماني
 الملقب برجيو منتانوس في القرن الخامس عشر الميلادي ، فوجد ان زاوية
 اختلاف المذنب الذي ظهر سنة ١٤٧٢ م نحو ستة درجات .
 ويظهر من حدايق النجوم وغيره أن تيخو براهه الدانيمركي المتوفى
 سنة ١٦٠١ هو أول من علم بكون المذنبات سيارة في خارج فلك القمر
 بسبب اختلاف منظرها اليومي ، لكنه زعم ان فلكها مستدير .
 ثم من بعده أعلن تليينه الاستاذ (كبلر) الجرمانى القائم سنة ١٦٥٤
 بأن المذنبات هي كالحيتان الصغار والكبار تسبح في بحر الفضاء الواسع وتسير
 في خط مستقيم ، قد نراها من القرب أو الكبر وقد لانراها من البعد أو الصغر
 ثم تلاه درفل ونيوتون فبرهناعلى ان أفلاكها بيضوية كالانجم السيارة
 ذاتاً وفلكاً ، ولكها تنفاوت عن السيارات المصطلحة المعروفة بفروق أربعة:
 (الأول) ان السيارات تدور حول الشمس ، والشمس متوسطة في
 مداراتها البيضوية أو في أحد الكانونين المحترقين (الفوكزين) وأما المذنبات
 فتدور غالباً والشمس في ناحية من أفلاكها المستطيلة .
 (الثاني) ان أحد القطرين في أفلاك السيارات لا يقصر غالباً عن القطر
 الآخر بأكثر من ربعه ، وأما المذنبات فيقصر غالباً أحد قطري فلكها
 عن الآخر بأكثر من ذلك جداً .
 (الثالث) ان اجرام السيارات جامدة فعلا غير مذابة متبردة غير
 حارة ، وأما المذنبات فشددة الحر والاحتراق في جرمها قد جعلتها في الاكثر
 مشتعلة ملتبهة ترشح بالغاز والبخار حول نفسها ، وقطر الارتفاع منه اثني عشر
 مثل قطر الجرم نفسه بل اكثر .

وقدر الاستاذ نيوتون حرارة مذنب سنة ١٦٨٠ اكثر من حرارة الحديد المحمرة بالني مرة ، فاستبراد مثل هذا الجرم يقتضى أن يمر عليه ألوف من السنين . ومن هنا زعم البعض - كما في حدائق النجوم - ان المذنبات جسيم المذنبين والمذنبات .

(الرابع) ان أفلاك السيارات مرتبة على نظام متطابق لا يخرق فلك احدها فلك الأخرى ، وأما المذنبات فان أفلاكها مرتبة على غير نظام أفلاك السيارات ، ولأجل ذلك يخرق كل فلك منها أفلاك السيارات بل هي تخرق أفلاك أنفسها أيضا .

فالمذنب في سيره يخرق فلك نبتون مثلاً عند نزوله ثم يخرق فلك أورانوس ، وهكذا يخرق أفلاك السيارات حتى يطوف حول الشمس ثم يصعد راجعاً فيخرق فلماً فلماً حتى يخرج من فلك نبتون .

وهذا الفرق هو أحسن فروق المذنبات عن السيارات وقد ذكره على ^(١٦٦٦) ، فراجع الدليل الثامن من هذه المسألة .

واكثر فروق الانجم المذنبية عن الانجم السيارة وصفى لا جوهرى ولذلك تسكون المذنبات من النجوم حقيقة .

وأما المنشأ لحدوث المذنبات فمختلف فيه الأقوال وملخصها :

- ١ - انها بقايا شمس تفسخت بعد قيام قيامتها وموتها .
- ٢ - أجزاء سيارة متفسخة بتأثير بعض علل كونية لا يعلمها غير بارئها تعالى .

٣ - اجرام مستقلة تسبح في بحر الفضاء كسبح السيارات ، غاية الامر مع اختلاف في نظامها .

٤ - هي أقمار سيارة عظيمة أبعد من نبتون بأكثر من بعده عن الشمس
بألفي مرة . الى غير ذلك من الآراء .

ولكن المشهور هو القول الثالث . وان أصل المذنب هو جرمه المتلألئ
الكوكبي المسمى (نواة المذنب) ويحيط بها ضباب غازي ينشأ منها عند اقترابها من
الشمس ، ويسمى ذلك الضباب ذنباً ، ويكون على أشكال غريبة كاللحية
والقرون والذؤابة والذنب وغيرها بحسب أوضاعه من مقابلة الشمس -
كما ترى في شكل (١٧) .

وتقع أشعة الشمس في ذلك البخار فيضيء فيوهي انه ذنابة أو ذؤابة ،
ولذلك تراه مستطيلاً دائماً الى خلاف جهة الشمس بطول بالقرب منها
ويقصر بالبعد عنها حتى يعدم .

وجميع المذنبات خاضعة لنواميس الجذب ، فالكبير منها يؤثر في سير
السيارات إذا اقترب منها ، والصغير منها يتأثر بها في سيره ، وربما ينحرف
عن مجراه بسبب انجذابه للسيار .

وقد رصد الفلكيون حتى الآن زهاء ١٢٠٠ من المذنبات وضبطوا
حركاتها ومداراتها فيخبرون عن ظهورها ثم لا يكذبون ، ولا يأمن الحكماء دائماً
من تصادم أرضنا ببعض المذنبات حال المسير ، فيحدث في ثراها أو مائها
ضرب من التغيير .

أقوال الحكماء في الشهب والنيازك

وإذا استفدت شرحاً من حقيقة المذنبات ومنشأ حدوثها فاستمع الى

أقوال المتأخرين في حقيقة الشهب والنيازك ومنشأ حدوثها :
 ١ - بعض منهم يعتقد أنها أحجار وقطع نارية ترمىها وتلفظها أفواه براكين
 كرة القمر ، فتخرج من حدثها عن حيطه جذب القمر وكرسيه فيدخل في



(ش-١٧) أقسام المذنبات والشهب

حيطة جذب الأرض .

٢ - وبعضهم يعتقد انها قطع وأجزاء من سيارة متفسخة منفلقة اندكت ببعض العلل الكونية .

٣ - وبعضهم يقول بكونها مستقلة في الخلق والنظام ، فهي توافق السيارات في الحقيقة والمادة وتفارقها في الاوصاف والنظام .

٤ - ومنهم من يعتقد انها قطع وأجزاء من مذنبات متفسخة انفلقت وتحللت بأسباب طبيعية يعلمها صانعها المتعال .

ففي آيات البينات : والشهب - على ما ذهب اليه كثير من متأخري الفلكيين - قطع من أذنب النجوم التي تجذبها الأرض عند اقترابها .

وفي المقتطف السنة الثانية ص ٦٧ : ان الحجارة التي تنساقط من الجو هي نيازك دائرة حول الشمس تقرب الأرض إليها أحياناً وتبتعد عنها أخرى فاذا قاربتها بحيث تغلب الشمس في جذبها إليها ، وان النار الحادثة من التقاء المجارى الكهربية بمواد في الجو تلتهب وتسقط الى الأرض ناراً .

وقال فاندريك في باب النيازكات من النقش في الحجر : الحجارة الجوية والنيازك أجسام دائرة حول الشمس، وعندما تقرب الى الأرض بحيث تغلب جاذبيتها جاذبية الشمس تنحرف عن أفلاكها وتنجذب نحو مركز الأرض ، ومن سرعة حركتها تولد بمرورها في الهواء السكروى حرارة كافية لاحتراق الصغار منها تماماً وتحمي الكبار منها الى درجة اللمعان ويحترق بعضها وينتهى الى الأرض قبل ما يحترق كلها (١) .

(١) وعليه نفسر قوله تعالى في سورة الرحمن : (يرسل عليكم شواظهم نار ونحاس) والشواظ جمع شظية بمعنى القطعة المنفصلة من الحديد المحمأة عندما تصير تحت المطرقة ، فما أجود تشبيهه الرجوم بشواظ من النار والنحاس الملتهب -

وقد أوضح الاستاذ (سكياپرلى) من ميلان ان أفلاك بعض النيازك توافق أفلاك بعض المذنبات .

وفي هامش مشهد الكائنات : ان المسيو بارفيل ذكر أخيراً في جريدة صباح الأفرنسية ان المسيو سكياپرلى الايطالى قد كشف سر الرجوم، فعرف (أولاً) ان خط مسير بعض المذنبات يوافق الخطوط التي كانت تتبعها بعض الرجوم ، وهذا حمل على القول بأن الرجوم والمذنبات ليست سوى طائفة واحدة وذلك لان المذنبات هي كواكب تتحلل بسهولة من تأثير السيارات التي تمر بجوارها فتفتت النواة وتنقسم إلى ألوف من الأجزاء التي تجتمع أو تنفرد وتتقارب أو تتباعد على مسافات طويلة تابعة كلها نفس الخط الذي يسلكه المذنب الذي تولدت منه .

وقد استشهد المسيو بارفيل على صحة قوله بمذنب بيالا ، فان هذا المذنب البادى دائماً للعيون في أيامنا قد تقسم إلى مذنبات صغيرة لا اعداد لها (١) بل إلى رجوم تسير جميعاً في خط مسير المذنب الأصلي والخط المذكور يقطع مسير الأرض في احدى النقط وتمر الأرض في شهر تشرين الثاني ... إلى أن قال : ولا شك ان تساقط الرجوم الكثيرة في ليالى تشرين الثاني ما هي إلا زيارة ووداع من الرجوم المتولدة عن مذنب (بيالا) ... إلى أن قال : ولكن كم من هذه

- ولقد حللوا الشهب المرجمة اليوم فوجدوا فيها النحاس والحديد وأقسام الفلز، والآية بمناسبة سابقها : (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والأرض) نص في الشهب المرجمة لشياطين الجن .

(١) هذا مصدق لقوله تعالى في سورة الجن : (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) ولو كانت الشهب أدخنة أرضنا لم يصح امتلاء السماء منها - فافهم .

المذنبات المتوارية قد تحللت وتفككت وعادت فزارتنا بصورة شهب فقط .
وقد حسب المسيو (كالندرو) فلاكي مرصد باريس ان المذنبات ذات
الدوائر الشلجمية هي التي تنحلل بسهولة ، وعنها ينتج ما نراه بعض الليالي من
الرجوم الكثيرة .

الرأي الاسلامي في الشهب والمذنبات

وبعد ما تلوت عليك آراء الحكماء جميعاً في هذا المقام أتلو عليك الأدلة
الواردة في الشريعة الاسلامية الظاهرة في موافقة المتأخرين ومخالفة الأقدمين .

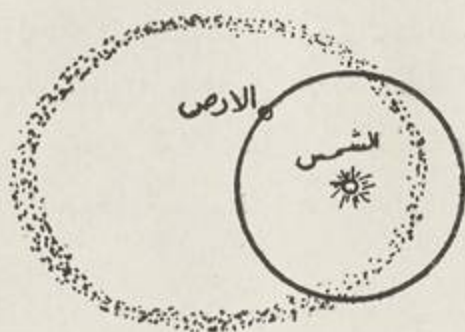
الدليل الأول

قوله تعالى : ﴿ انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل
شيطان مارد . لا يسمعون الى الملائكة الا على ويقذفون من كل جانب .
دحوراً ﴾ (١) فان الظاهر من سياق الآية يعطى ان الكواكب التي بها زين الله
السماء الدنيا هي التي بها قد حفظها عن الشياطين المفسدين وبها يرميهم .

ولا يرتاب من استأنس بمقالات الشرع ان الشياطين لا يرمون إلا
بالنيازكات فقط ، ولذلك تسمى شهباً ورجوماً ونيازكاً .

وبعد النظر الى هاتين المقدمتين - أي كون النيازكات رجوماً للشياطين
وكون رجوم الشياطين هي الكواكب المزينة للسماء الدنيا - ينتج كون الرجوم
الشهبية من مقولة الكواكب والنجوم ، وان المادة في الجميع واحدة ، وهو رأي
المتأخرين فقط .

(١) سورة الصافات آية ٦-٩ .



(ش-١٨) مجموعة من الشهب على فلك اهليلجي وهي مع فلك الأرض

فان قلت : الكواكب التي بها زين الله تعالى السماء هي الانجم الثابتة والرجوم هي النيازكات .

قلت : نعم اعتقاد هذا الامر هو الذي أوقع قدماء المحققين والمفسرين في قيل وقال ، فانهم كانوا لا يطلقون الكوكب إلا على الاجرام الفلكية، وكانت النيازكات والمذنبات عندهم من الحوادث الأرضية كما سبق ، ولذلك أضحوا حيارى ، إذ لو فسروا الكوكب بمعناه الظاهر الحقيقي وقعوا في محاذير : (منها) دخول الشهب والرجوم في الاجرام الفلكية مع انها حوادث أرضية عندهم . (ومنها) كون الكواكب في السماء الدنيا مع انها في السماء العليا عندهم . فالأحرى بنا هو الأخذ بظاهر الآية على رأى المتأخرين والقول بأن النجوم المزينة هي الانجم الشهبية المرجمة (١) .

(١) ولقد وجدت هذا الرأى في البحار أيضا فانه قال عند تفسيره آيات السماوات من باب أخبار السماوات وكيفيتها من كتاب السماء والعالم من موسوعة

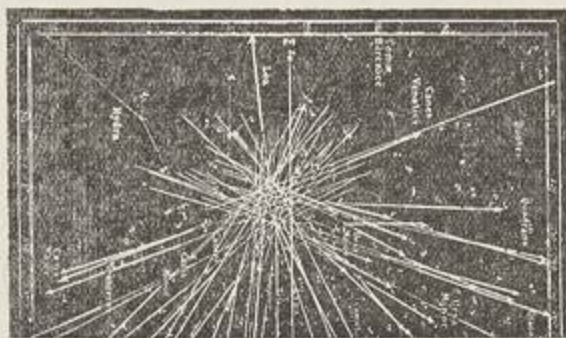
وقد عرفت صحة اطلاق النجم والكوكب على الرجوم حقيقة .

° * °

فان قلت : الزينة انما تحصل بالكواكب الثابتة لا بغيرها .
قلت : تحصل الزينة بها وبغيرها ، بل الزينة الكاملة هي التي تحصل من
الشهب الثاقبة الملتهبة والرجوم المتعاقبة والنيازكات المتقاطعة يمينا وشمالا وذوات
الاذناب والذوائب المظهرة في السماء منظرأ جميلا ومشهدأ معجبا . كما ترى في
شكل (١٩) .

ولذلك ترى الفرس يعبرون عن هذه الحالة بـ (چراغبانی جهانی و آتش
بازی آسمانی) . وسنحقق السماء الدنيا عن قريب .
الدليل الثاني

قوله تعالى : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز



(ش-١٩) من مناظر الشهب والنيازك

بحار الانوار مانصه : (الوجه الرابع) أن يكون المراد بالكواكب في الآية
الكريمة - يعني آية (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) - الشهب المنقضة قريباً
منها ، ولما كانت ترى حساً على سطح السماء فهي زينة لها ، وتؤيده تنمة
الآية ... الخ .

العليم (١) وكلمة (حفظاً) منصوبة بفعل مقدر، أى وزينا الدنيا بمصاييح زينة وحفظناها بها حفظاً .
وتقريب ظهور الآية في المطلوب تقدم في الآية السابقة .

الدليل الثالث

قوله تعالى . (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصاييح وجعلناها رجوماً للشياطين) (٢) وهذه الآية الكريمة صريحة في ان المصاييح التي بها زين الله تعالى السماء الدنيا هي الشهب التي بها يرحم الله الشياطين - كما حققته فيما سبق .
وأما السماء الدنيا التي تظهر زينة الشهب والمذنبات فيها لأبصار العباد فهي الكرة البخارية المحيطة بأرضنا .

وقد قدمت الأدلة الواضحة في المسألة السادسة على انها هي السماء الأولى فراجع البتة .

وقد صرح فاندريك الامريكى وفلامريون الفرنسى وفيلكس ورنه وغيرهم ان الشهب لا تشع ولا تظهر للعيون إلا في مرورها في كرتنا البخارية . فظهرت - والله الحمد - حقائق ما ورد في القرآن العظيم من كون الرجوم من مادة النجوم ومن كونها في السماء الدنيا ومن كونها زينة للناظرين . وسأشرح في غير هذا الكتاب معنى كونها رجوماً للشياطين - وبه نستعين .

الدليل الرابع

في أواخر مدح البلدان من كتاب البحار ج ١٤ وكتاب الخصائص

(١) سورة فصلت آية ١٢ .

(٢) سورة الملك آية ٥ .

وكتاب أقاليم البلدان في ضمن مسائل عبدالله بن مسلام اليهودى انه
سأل النبي الأسمى (ص) عن النجوم كم جزء (قسم) هي ؟ فقال النبي (ص) :
« ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوءها الى السماء السابعة ،
والجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القنابل المعلقة وهي تضيء لسكانها وترى
الشياطين بشرها ، والجزء الثالث معلقة في الهواء وهي ضوء البحار وما فيها
وما عليها . »

أقول : ظاهر الخبر يقسم الأجرام السامية الى ثلاثة أقسام :
(الأول) الكواكب الثابتة الكائنة في خارج عالم شمسنا ، وقد أشرنا
الى ان الشرع يطلق العرش غالباً على محدد نظام الكون بأسره المحيط بالشمس
والعوالم ، كما يطلق الكرسي على محدد نظام عالمنا الشمسى ، فالكرسي يسع
السموات والارضين من عالمنا والعرش يسع الكرسي وعوالم أخرى . فقوله
﴿ بَارِكُوا لَهُمْ فِي مَا بَارَكُوا لَهُمْ فِيهِ ﴾ : « بأركان العرش ، أى في خارج عالمنا الداخل تحت بوطن العرش .
وقوله (ص) : « يصل ضوءها الى السماء السابعة ، أى لا ترى
ضوءها القوى أو مطلق ضوءها في أرضنا من شدة بعدها .
نعم نراها بأبصارنا المجردة لو صرنا في السماء السابعة - أعنى كرة زحل -
أو فوقها ونراها في الارض بأقوى النظارات .
ولا يخفى عليك ان المبصر من الثوابت إذا قيس بغير المبصر منها كان
أقل نسبة من الواحد بالنسبة الى آلاف الملايين .

(القسم الثانى) هو النجوم الشبيهة والرجوم النيازكية التى تظهر لنا في
السماء الدنيا - أى كرتنا البخارية - كأمثال القناديل المعلقة (بتخفيف اللام)
أى المسرجة ، من أعلقت النار الحطب . فهذه النجوم تضيء سكان الكرة
البخارية فقط ، وهم أهل الارض أو مخلوقات جوهم .

(القسم الثالث) النجوم السيارة الممتازة عن القسامين الثوابت والرجوم في أوصافها لا في مادتها ، والنجمة السيارة مطلقاً معلقة (بتخفيف اللام) أي مسرجة منيرة في جوف هوائها الكروي ، كما قال (ص) : « الثالثة المعلقة في الهواء ، أو بتشديد اللام من التعليق أي مربوطة ومعلقة في هوائها الكروي كما يراه الاواخر - غير مركوزة في شخ الفلك كما زعمه المتقدمون .
و جميع ما سمعت من مضامين هذا الخبر الشريف منطبق على الاراء المستحدثة ، لكن ما يناسب هذا المقام انما هو قوله (ص) الجزء الثاني الى قوله الجزء الثالث .

الدليل الخامس

قول على أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه الطويل المروي في البحار ج ١٤ وتفسير الفرات ومن جملته : « وجعل في كل سماء شهباً معلقة ، بتخفيف اللام أو تشديدها كما مر آنفاً ، فيدل على وجود الشهب والرجوم في سماء كل أرض أي في كل كرة بخارية محيطة بالأجرام السامية ، وهو الرأي المختار عند المتأخرين فانهم لا يخصون سماء أرضنا بالشهب والنيازكات بل يدعون انها أجرام تسبح كالحياتان الصغار في بحر الفضاء ، فقد تصادف أرضنا أو سيارة أخرى فتخرق كرتها البخارية بصورة شهاب لامع .

وليت شعري ما كان يصنع المتقدمون بأمثال هذا الخبر غير الطرح أو التأويل البعيد الذي لا يساعده شاهد ؟

فهذا الخبر يخالف ترتيب القدماء خلافاً واضحاً أشد من وضوح موافقته لنظامنا السديد ؟

وفي بعض خطب على عليه السلام المروية في نهج البلاغة كلمات تناسب هذا

المقام . مثل قوله عليه السلام في وصف السماء الدنيا : « ثم زينها بزينة السكواكب وضياء الثواقب » .

وقد تلونا عليك في هذه المسألة كثيراً مما يؤيد ترتيبنا المذكور في المسألة السادسة ، فارجع البصر هل ترى من فطور .

الدليل السادس

في بعض أخبار البحار والدر المشور : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

أقول : وظاهره يناق مبانى القدماء ، لان السماء الدنيا عندهم فلك القمر ويستحيل لديهم وصول الرجوم اليه فضلا عن النفوذ فيه أو التفوق عليه ، لسكون الرجوم من حوادث أرضنا والفلك مطلقاً منزله لديهم عن الارضيات ولكن البانى على مبانى الهيئة الجديدة يمكنه الاخذ بظاهر ذلك ، فان الرجوم سباحة في الفضاء الواسع وجمهورها فوق كرتنا البخارية - أى السماء الدنيا - غاية الامر انها غير ظاهرة لابصارنا ، وانما تظهر لنا عندما تحرق سماءنا لامعة مشعشة حتى تخرج من الطرف الاخر أو تمس الارض فلا تفارقها ، فجميع النيازكات غير الظاهرة فوق السماء الدنيا .

الدليل السابع

في البحار ج ١٤ باب السماوات والنجوم واعدادها وكتاب النجوم لابن طائوس مستنداً الى الوصى الثانى الحسن السبط عليه السلام انه قال في خطبة وصف النجوم : « ثم أجرى في السماء مصابيح ضوءها في مفتحته وجعل شهابها من نجومها الدرارى المضيئة التي لولا ضوءها ما انفذت ابصار العباد في ظلم الليل » .

أقول: كأن هذا الخبر القدسي يشير الى ما نقلته عن (سكيابرلى) وغيره ان الشهب النيازكية أجزاء المذنبات المنحلة، وتفصيل ذلك ان المصابيح التي ضوءها جميعاً في مفتوح منها انما هي المذنبات بحسب الظاهر إذ هي كصباح مستطيل، وعمدة ضوء المذنب في رأسه ومفتحة المسمى (نواة المذنب) وقوله **عليه السلام**: « وجعل شهابها من نجومها الدراري، أي جعل شهب السماء من نجوم تلك المصابيح، فالمذنب كصباح مستطيل له رأس - أعني أصل النجمة - وذيل - أعني البخار المتصل بتلك النجمة .

والخبر دل على ان الشهب تتكون من نجوم تلك المصابيح ونواتها عند تفتتها وتفككها لا من غير النواة، وهو الرأي المختار جديداً بعينه .
وقوله **عليه السلام**: « الدراري المضيئة، يجوز أن يكون توصيفاً لنجوم المصابيح أو لنفس المصابيح . ونحن لا نجزم بهذه التفاسير وان كانت ظاهرة، لجواز أن يكون هناك تفاسير تفضل عليها .

الدليل الثامن

في كتاب العلل لابن بابويه والبحار ج ١٤ وتفسير البرهان والأنوار النعمانية للسيد الجزائري مسنداً عن أمير المؤمنين علي (ع) انه سئل عن (الطارق) الذي في القرآن؟ فقال: « هو أحسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس، وانما سمي الطارق لأنه يطرق نوره سماه سماه إلى سبع سماوات، ثم يطرق راجعاً حتى يرجع الى مكانه . وفي نسخة من علل الشرائع: « ثم يطرق سماه سماه راجعاً حتى يرجع الى مكانه .

أقول: وهذا الخبر ظاهر في تعريف المذنب من جهات:
(منها) قوله عليه الصلاة والسلام: « أحسن نجم في السماء، فان

النجوم ثوابتها وسياراتها في مرتبة واحدة في الحسن والشكل لا يفوق بعضها على بعض إلا في مقدار الضوء ومقدار الجسم لاني حسن الشكل بخلاف المذنب فانه ممتاز من جميع نجوم السماء في حسن الصورة وبهجة المنظر وطرافة الشكل مع ذوات مرسله أو أذنان مخروطية أو غير ذلك ، فهي لدى الانصاف إذا قيست بأنجم السماء كانت أحسنها من كل الوجوه . والعجب من فسر الطارق بنجمة زحل مع انها ليست بأحسن النجوم قطعاً لو لم تكن بأسوئها .
(ومنها) تسميته بالطارق ، فانها تشعر بشدة السير والطروقة بفتسة وغفلة ، وذلك محتص بالمذنب .

(ومنها) قوله (ع) : « وليس يعرفه الناس ، فالمذنب - كما عرفت - لم يفتن أحد من الخلق بأنه نجم سماوى حتى ظهر تيخو براهه بعد الألف الهجرى ، فكان على (ع) أول من وصفه للناس وتيخو براهه أول من برهن أمره ، وكان السابقون عليه يعدونه من حوادث، الارض حتى في عصر النبي وقبله وبعده ، فهو أحق بهذه الصفة من غيره .

(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام : « يطرق نوره سماءاً سماءاً الى سبع سماوات ، ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعاً حتى يرجع الى مكانه ، فان هذه الصفة محتصة بالمذنب كما ذكرته في الفرق الرابع في صدر هذه المسألة .
وطروق نوره كناية عن أصل جرمه المنير ، وإلا فنفس النور من كل جرم ينفذ في جميع جهاته - ثابتاً كان أو سياراً أو مذنباً .

ولعمري ان المتأمل في مطاوى هذا الخبر الشريف يجده كافلاً لشرح المذنب بأوجز بيان وأقربه ، ناطقاً بصحة النظام الجديد وصدق هذا الشرع السديد (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

« المسألة الاربعة عشر »

(في تعدد العوالم والنظومات)

بلغنا عن حكماء عصرنا مقالة غريبة خلاصتها : ان هذه الثوابت على كثرتها وبعدها البعيد شمس مستقلة عظيمة ، حولها سيارات كبرى اكثر من سيارات شمسنا منظمة الحركات ذات حيوان ونبات ، فهل نطق شرع الاسلام بما يوافق هؤلاء- أو خالفهم كالقدماء أو سكت كأكثر الشرائع ؟ .

(الجواب)

قد مر غير مرة ان القدماء من الفلاسفة والحكماء ذهبوا الى ان العالم الجسماني كرة واحدة منضدة من ثلاثة عشر كرة تسعة منها أفلاك كليسة وأربعة طبقات العناصر الاربعة ، وأرضنا هذه مركز الحركات ثابتة في وسط العالم الجسماني تحيط بها الكرات الاثنتي عشرة .

وزعموا أن الكواكب التي نسميها (الثوابت) أجرام عظام مظلمة في نفسها وانها اجمع تكسب النور من شمسنا المبصرة ، وجميع تلك الاجرام مركوزة بأسرها في ثخن الفلك الثامن (١) وليس في الفلك التاسع جرم، ولذلك يعرف بالاطلس ، فانه غير منقوط الاسم ولا بمنقوش الجسم ، وأقاموا

(١) كان القدماء يحددون اجرام الثوابت بمقادير حقيرة جداً ، كما نقل

عن البر جندی عن ابرخس وبطلميوس في ص ٢٢ من زييج اصفهان .

البراهين على ان العالم الجسماني منحصر الفرد بما هو في جوف هذا الفلك ،
وانه يستحيل وجود عالم غيره .

ووافق هؤلاء جمع من علماء المسلمين ، ففسروا بالاطلس عرش الله
تعالى الوارد اسمه في شرعنا وبفلك الثوابت كرسية المحيط بالسموات والارضين
وأما حكماء الهيئة العصرية فقد ثبت لديهم ان سيارات شمسنا وأقارها
تكتسب الأنوار طراً من شمسنا وان سعة عالم شمسنا المحدود بمدار نبتون
ألف وخمسة مئليون فرسخاً ، فترى شمسنا العظيمة عند نبتون كمنجمة
صغيرة بقدر الجوزة ، ومقتضى ذلك اضمحلال نورها فيما بعد نبتون .
وعلى هذا يستحيل ان تكتسب الكواكب الثابتة أنوارها من شمسنا
إذ هي في منتهى البعد البعيد عن نبتون .

ألا ترى ان بعض المذنبات يتبعد عن شمسنا اكثر من بعد نبتون
بأربعة عشر مرة ، وهو مع ذلك مجذوب لشمسنا لا تغلب عليه جاذبية
كوكب آخر لكثرة ما بقي من البعد بينه وبين الكواكب الأخرى .
وحسبك أن النظارات التي تكبر زحل مع بعده البعيد في منظرنا اضعاف
ما يبصر بألف مرة لا تتمكن من تكبير الثوابت مما ترى بالبصر ، غاية الامر
تجليها وتظهر خافيتها لكثرة البعد البعيد .

قال فاندريك في ارواء الظماء : ان أقرب الثوابت الى نظام شمسنا بعيد
عنا اكثر من بعدنا عن شمسنا بتسعمائة ألف مرة .

وفي مجلة الهلال المصرية ص ٤٧٨ من سنة ١٩٠٩ : ان أقرب الثوابت
الى أرضنا هي دلفا ، (١) وهي بعد الدقة الأكيدة تتخذ فرقا في موقعها باختلاف

(١) لعل (دلفا) كلمة عربية، وهي بفتح الدال وآخرها الف مقصورة
بمعنى القريبة، من «دلف» و«ازدلف» بمعنى قرب وتقرب ، حيث ان
هذه أقرب الثوابت الى عالمنا الشمسى .

ففي ارواء الظلماء : ان النجم من القدر السادس عشر لا يكون بعده عنا أقل من ثلاثمائة وثلاثة وستين مثل بعد الشعري ، فيقتهى نوره الينا فى خمسة آلاف سنة - انتهى .

أقول : فما ظنك بالنجم من القدر الثامن والعشرين .

* * *

فاذا عرفت بعد الثوابت عنا هذا البعد العظيم قلنا : فكيف يمكن أن تكتسب أنوارها عن شمسنا التى يتلاشى نورها بعد مدار نبتون فلا يحيص من الالتزام بأن الثوابت منيرة بذاتها مستقلة بأنفسها عن عالم شمسنا ، وإذا ثبت انها منيرة بالذات تشع النور والنار بنفسها نحو الجهات ثبت كونها شمساً مستقلة أصغرها أعظم من شمسنا بألوف مرة .

ولأجل اثبات كبرها نقول : ان شمسنا العظيمة ترى عند نبتون كنجمه صغيرة ثم يضمحل نورها بعده فلا ترى أبداً مع انها لم تتعد بمليون مليون فرسخاً ، وعليه فما تقول فى نجمة (دلفا) التى يقرب بعدها عنا نحو عشرة أضعاف بعد الشمس عن نبتون ونراها مع ذلك جلية ؟

ثم ان دلفا يصل نورها الينا فى ثلاث سنين ، فما تقول فى الشعري التى يصل الينا نورها فى أكثر من عشرين سنة ، وهكذا فما تكون شمسنا عند هاتيك الشمس إلا كحبة خردل عند الجبل (١) .

(١) جاء فى المقتطف المجلد ٤٥ ص ٣١٠ مقالا بعنوان (نور النجوم)

وفيه :

قال الدكتور دبزون فى خطبة تلاها فى المعهد العلمى بمدينة لندن : انه يظهر فى مقابلة أبعاد النجوم بمقدار اشراقها أو النور الواصل منها الينا ان فى الفلك بيننا وبين ما بعده عنا مائة برسك (برسك اسم لمسافة مائتى الف مرة -

وبالمجمل قد غدى اليوم مسألة كون الثوابت شمساً عظيمة عند الحكماء تعدد

- كبعد الأرض من الشمس (نجومياً يختلف عددها واشراقها حسب ما ترى في
الجدول التالي :

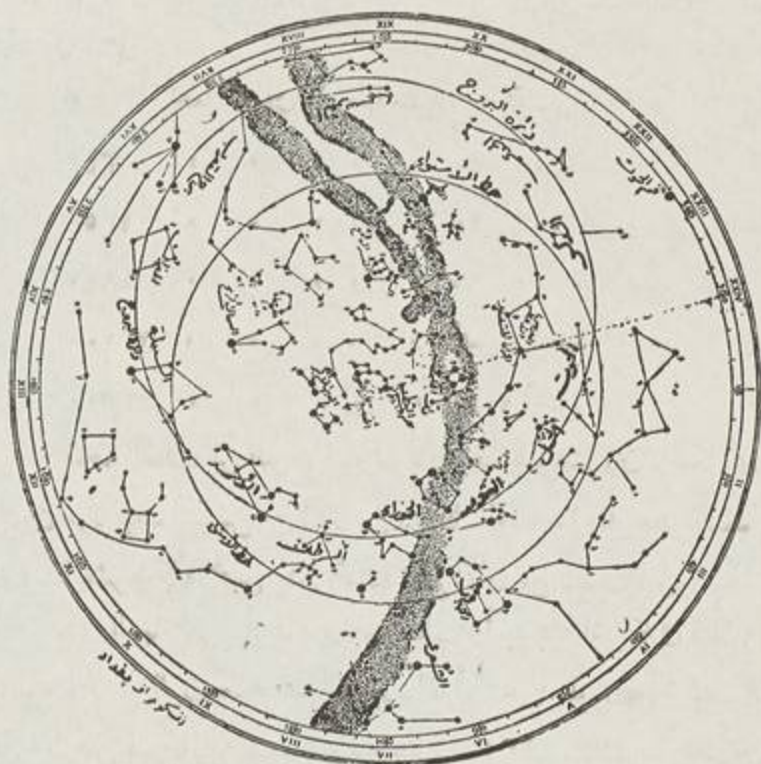
٢٤	نجماً اشراق كل منها مثل ١٠٠ شمس
٣٤٠	» » » » » » » »
١٣٥٠	» » » » » » » »
٤٨٤٠	» » » » » » » »
٢٣٢٠٠	شمس واحدة
٩٣٣٠٠	» » » » » » » »

فنجم القطب من النوع الأول لأن بعده عنا عشرون برسكا أى أربعة ملايين مرة كبعد الشمس من الأرض فلو كان بعده عنا مثل بعد الشمس فقط لظهر لنا مشرقاً كجأة شمس مثل شمسنا وهو الآن من القدر الثاني .

وفي السماء نجوم أبعد من نجم القطب وأشد منه اشراقاً في ذلك ٢٦٩ في النجوم الحمراء اللون بعدها عنا الف برسك أى ٢٠٠ مليون مرة كبعد الشمس عن الأرض فلو كانت الشمس بعيدة عنا كذلك لظهرت لنا مثل نجم بين القدر الخامس عشر والسادس عشر ولـكن هذه النجوم بين القدر ٩٢/١ والقدر الحادى عشر ، ولذلك فاشراقها أشد من اشراق شمسنا ٢٥٠ مرة الى ٦٣ مرة .

وتختلف كثافة النجوم باختلاف بعدها عنا فاذا حسبنا كثافة التي على مائة برسك منا واحداً فالتى على خمسين برسكاً كثافتها ١٥٣٠ والتى على ٢٠٠ برسكاً كثافتها ٠٠٧٠ والتى على ٣٠٠ برسكاً كثافتها ٠٠٤٨ والتى على ٤٠٠ برسكاً كثافتها ٠٠٣٢ والتى ٥٠٠ برسكاً كثافتها ٠٠٢١ .

والنجوم الصفراء اللون هي أقرب النجوم إلينا غالباً والعشر منها بعده عنا -



(ش - ٢١) البروج الاثني عشر ونجوم المجرة

- أقل من مائة برسك والعشر منها بعده عنا أكثر من ٥٠٠ برسك والثمانية
 الاغشار الباقية بين بين .. وإذا تقدمنا من النجوم التي لونها أصفر الى النجوم
 التي لونها أزرق أو برتقالي رأيناها تزيد بعداً عنا ٩٠٠ الى ٩٥ في المائة في
 النجوم أشد اشراقاً - انتهى .

من المسائل الواضحة ، وان شمسنا المبصرة أيضاً كنجمة من الثوابت إذا كثرت ابتعادك عنها .

ففي كتاب النقش في الحجر في الفصل الرابع عشر : الشمس انما هي نجم من النجوم وهي أنور النجوم واكبرها (أى في نظرنا المجرد) لأنها أقرب إلينا من سائر النجوم ، والنظام الشمسى انما هو عدة أجرام باردة دائرة حول جرم حام ، وأرضنا مثال السيارات الباقية والشمس مثال النجوم الدرارى المائتة للكون الواسع على أبعاد لا تدركه عقول البشر ، سواء منها صور النجوم أو نجوم البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة التى تشبه درب التبانة من تلاصق نجومها الصغار - كما في شكل (٢١) .

« وقد قالوا : ان هذه النجوم المتلاصقة بعيد كل منها عن الآخر بأكثر من بعد شمسنا عن ما وراء نبتون ، .

« وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها . أما تلك السيارات فلا تظهر لنا لسكونها اجراماً مظلمة وتظهر شمسها لسكونها أجراماً نيرة مثل شمسنا ، - انتهى .

وفى دائرة المعارف : « وهذه الثوابت يبعد أقربها عن أبعد السيارات بعداً شامعاً وكل نجم منها نراه فى السماء فى ليل صاف هو شمس نورها ذاتى يضىء على عوالم ونظامات كما تضىء شمسنا على العوالم فى نظامها ، .

أقول : هذا مطلب يتفرع على كون الثوابت شموساً - أعنى به وجود سيارات أخرى تدور حول الثوابت بنظام يشبه نظامنا وعالم يشبه عالمنا ، فى حين ان بعض الثوابت لاتزال فى دورها السدى على شكل لولبي ، كما تراه فى شكل (٢٢) .
وتعد هذه شمسا غير ناضجة ، لسكنها الناضج منها شمس نيرة دوارة على نفسها كشمسنا هذه ، ولم يهتد الحكماء اليه بعد إلا بالحدس والظن ، لاسيما على



(ش - ٢٢) السديم اللولبي

المذهب المتقرر في مبدأ تكوين الشمس والسيارات ، راجع مبحث تكوين العالم وأجرامه ، فإن الخصائص والعوامل التي أثرت في شمسنا أثر خلق الأراضى والآقار وتكوين الحيوان والنبات في تلك الأراضى هي بالظن القوى موجودة لباقي الشموس ، فلا يبعد أن يكون لها نظمات كنظامنا وعوالم كعالمنا . وهذا الظن موافق لمقتضيات حكمة الخالق تعالى وفضله .

وحيث ان الله تبارك وتعالى لم يترك شمسنا هذه مهمة الوجود معطلة الفيض بل استعمل ما أودع فيها من القوى والطبائع والأنوار والحرارات وخلق منها أراض كثيرة كبيرة سيارة حولها تستعطي من فواضلها واستولد من ذلك أصناف المواليد والمواد وأنواع الحيوانات والجماد بما يعجز الناس عن

بيانه ، فاستخرج هذه النمرات الوجودية من شمسنا الحقيرة ولم يتركها كبر معطلة اذ لم يخلقها سدى .

ومن سنة الله تعالى شأنه أن لا يدخل من الفيض إذا صار المورد قابلاً له صالحاً ، فإذا كانت سنة البارئ تعالى على هذا مع أرضنا الحقيرة وشمسنا الصغيرة التي ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى سائر الاراضي والشموس فكيف يترك الله تعالى تلك الشموس الكبيرة والكواكب الكثيرة مهملة الوجود معطلة الطبيعة (سبحانك ما خلقت هذا باطلا) .

كيف يدعها وليس لديها أجرام تتكامل من خيراتها ولا يترتب حتى في حجرها بعواطف تأثيراتها (نحاشي فضل الله وحكمته عن ذلك) ، فظهم بوجود نظومات حول الكواكب الثابتة قريب بعد اثبات كونها شمساً تشبه شمسنا وقد تأكد ظنهم المذكور بعدما اكتشفوا سيارة حول كوكب الشعرى - كما ادعاه فيليكس ورنه الفرنسي - وسيارة أخرى في برج السنبله سموها (اونوريا) كما في هامش مشهد الكائنات ص ٧٦ ، وهي كنجمة من القدر الثاني عشر اكتشفها الحكيم بالينرا في مرصد فينا .

ثم حدسوا من هذه المباني والتي ذكرناها في مسألة وجود الحيوان في السيارات ان سيارات تلك الشموس أيضاً ذات نبات وحيوان وادارات معاش كامل ، وان حيواناتها تختلف مع حيوانات أرضنا كمية وكيفية وشكلاً وغير ذلك بحسب فضيلة شمسها على شمسنا .



وأما الديانة الاسلامية فمقالاتها ظاهرة في موافقة الهيئته العصرية ، بل صريحة في ان الكون لا ينحصر بعالم واحد أو نظام فرد لشمس واحدة ، بل الله تعالى قد خلق بفيضه الكامل شمساً كهنه الشمس المبصرة لها مخلوقات حية كمخلوقات

شمسنا لا علم لهم بنا كما لا علم لنا بهم لفقده الروابط ، وان الكون مؤلف من
عولم ونظامات غير محصورة كل عالم منها يشتمل على اراضى وسماوات وحيوان
ونبات كما قرره الحكماء المتأخرون عن الالف الهجرى .
وهذه المقالات الاسلامية كثيرة متوافرة نكتفى بسردها بعضها فنقول :

المقالة الاولى

فى الخصال والبحار ومنتخب البصائر والمحتضر والانوار النعمانية وشرح
الصحيفة السجادية للجزاى وتفسير نور الثقلين وغيرها من كتب قدماء
الامامية باسناد قوى الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال :
« ان لله عز وجل اثنى عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سماوات وسبع
ارضين ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .
وانطبق هذا الخبر واضح على رأى المعاصرين القائلين بأن الكون
مؤلف من عولم تنوف الالف ، كل عالم منها عبارة عن سماوات وارضين
اكبر من عالمنا المؤلف من سماوات وارضين .
وفى هذا الخبر اشارات الى اشتغال تلك العولم على كائنات حية عاقلة :
(منها) ارجاع ضمير ذوى العقول الى العولم باعتبار من فيها .
(ومنها) نبي الرؤية الخاصة والعلم المخصوص عن أهل تلك العولم ، فان
ذلك لا ينبغى إلا فيمن هو شأنه العلم والرؤية - كما لا يخفى .

المقالة الثانية

فى الاحتجاج والاختصاص ومنتخب الاختصاص والبحار ج ١٤ وبصائر
الدرجات بسند صحيح عن ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال

للعالم اليماني : « يسير عالم المدينة (يعني نفسه) في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر الف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ابليس . »

أقول : احتمال بقريئة ما في المقالة الثالثة أن يكون المراد من هذا السير السير الروحاني دون الجسماني ، فتجول نفسه القدسية في أعماق الكون وتحيط بهوالم غير متناهية ، واحتمل ان يراد بمسيرة الشمس سنة غير هذه السنة المعروفة للشمس ، بأن يراد سير الشمس بنفسها سنة كاملة بصحابة أطفالها حول مركزها المجهول بالحركة الانتقالية في الفضاء المجهول .
ويعلم باقي ما يتعلق بالخبر بما في المقالة الأولى .

المقالة الثالثة

في البحار وشرح الصحيفة السجادية وبصائر الدرجات ومنتخب الاختصاص وغيرها مسنداً الى الامام الرابع علي بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال لمنجم : « هل أدلك على رجل (يعني نفسه) قد مر منذ دخلت علينا في أربعة عشر عالماً كل عالم اكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه ؟ ، قال : من هو ؟ قال : انا . »

أقول : تطلق الدنيا على أرضنا تارة وعلى عالمنا أخرى ، وعلى كلا الفرضين - سيما الأخير - يشعر الخبر بكثرة عوالم وسبعة منتظمة خارجة عن سعة علمنا .

وفي قوله عليه السلام : « لم يتحرك من مكانه » دلالة على ان مرور الامام (ع) في هاتيك العوالم بسير معنوي وسفر روحاني - كما أشرت اليه في المقالة الثانية .

المقالة الرابعة

في تفسير القمي والبحار مسنداً عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ في تفسير (رب العالمين) قال: «ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفه عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده، كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد.»

أقول: قد ذكرت في مسألة تعدد الارضين كون قاف اشارة الى مخروط ظل الارض القافي لنور الشمس، وان البحار السبعة هي المجارى المتوسطة بين مدارات المحيط بها والسيارات الممتلئة من جوهر (اتر) المانع الموج، وتسبع السيارات في هاتيك البحار كالحيتان - على ما حققته وشرحته هناك فراجع حتى يتضح لديك ما أقول.

وبناءً على ذلك تكون هذه العوالم خارجة عن نظام شمسنا من وراء سماواتنا.

وفي قوله: «كل عالم منهم يزيد ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد، دلالة قوية على ان تلك العوالم خارجة عن عالمنا، وان المبدأ الأول لأناسيهم غير آدمنا المعروف، فان مدلول هذا الكلام انك لو جمعت جميع من ولده أبونا آدم ﷺ في طرف من بدو الخلق إلى آخرها ثم جمعت عالماً واحداً من تلك العوالم في طرف لزيد هذا العالم الواحد على آدم وبمجموع من ولده آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة.

فكيف يجوز بعد ذلك أن تأخذ أولئك الاناسي من ولد أيينا آدم؟ والاختبار في شريعتنا متواترة في تعدد مثل آدم أبي البشر وان لافراد الانسان مبادئ غير منحصرة.

المقالة الخامسة

في البحار وشرح الصحيفة السجادية للسيد الجزائري وكتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان مسنداً الى الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال : « ان الله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء ، قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب . والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من عدد الجن والانس . »

وقد بينت في رسالة جبل قاف تطبيق هذا الحجاب على ظل الأرض المخروطي وشباهته بالزبرجد الأخضر (١) وان المراد من وراء ذلك وراء نظام شمسنا ، والعوالم هي النظامات الشمسية التي أوضحتها أدوات العلوم العصرية ، وهي فوق الاحصاء كثرة ، ولذلك ورد عددها في شرعنا على اختلاف حسب اختلاف المقامات .

وقوله عليه السلام : « عددهم اكثر من عدد الجن والانس ، مبالغة في الكثرة ، بمنزلة ان يقول : اكثر مما لا يرى ومما يرى . »

(١) ان هذا التفسير مخالف لمنطوق الخبر حيث يقول : « خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فالزبرجدة غير النطاق والنطاق غير الزبرجدة ، ولكن سماحة المؤلف في تفسيره هذا يريد أن يبين أن النطاق هو ظل الأرض المخروطي والزبرجدة أيضاً ذلك الظل المخروطي الذي اكتسب الخضرة من المجاورة واختلاط النور والظلمة - أي ان النطاق والزبرجدة شيء واحد لا شيئين - والحال ان الخبر يقول بتعددتهما واختلافهما كما قلنا . وبالنتيجة لم يتبين معنى النطاق ولا معنى الزبرجدة ، وربما يراد من الزبرجدة في هذا الخبر احدى السيارات الشمسية - (ف) . »

المقالة السادسة

في البحار وفرج المهموم لابن طاوس عن كتاب الأنبياء والأوصياء
لمحمد بن علي ان الامام الرابع علي السجاد عليه السلام قال للنجم فيما قال : « هل
أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم ، .

المقالة السابعة

في كتاب الشيخ أبي الليث السمرقندي ان النبي صلى الله عليه وآله قال : « ان
لله تعالى جده ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد ، .

ورواه السيد نعمة الله الجزائري في شرحه على الصحيفة بزيادة قوله صلى الله عليه وآله
« الدنيا من مشرقها الى مغربها عالم واحد ، .

ورواه الشيخ سراج الدين ابن الوردي في كتاب خريدة العجائب عن
ابي سعيد الخدرى صاحب النبي صلى الله عليه وآله : « ان لله تعالى أربعون ألف عالم الدنيا
من شرقها الى غربها عالم واحد ، .

وعن تفسير ابن شهر آشوب عنه صلى الله عليه وآله : « ان لله ثمانية عشر ألف
عالم واحدها الدنيا ، .

واختلاف بعض الألفاظ كاختلاف العدد محمول على عوارض مقامية
أو شخصية كما مر مراراً .

ولعمرك ان عدد العوالم في غاية الاختلاف في مقالات الشريعة : ففي
بعضها أربعة عشر ، وفي بعضها أربعون ، وفي بعضها سبعون ، وفي بعضها
ثلاثمائة وبضعة عشر ، وفي بعضها برواية سعيد بن المسيب ألف عالم ، وفي بعضها أربعة
آلاف ، وفي بعضها سبعة آلاف ، وفي بعضها عشرة آلاف ، وفي بعضها اثني عشر
ألفاً ، وفي بعضها ثمانية عشر ألفاً كما رواها وهب بن منبه وابي بن كعب وهما من

أصحاب النبي ﷺ ، وفي بعضها أربعون ألفاً ، وفي بعضها سبعون ألفاً كما رواها ابن عباس أيضاً ، وفي بعضها ثمانون ألفاً عن مقاتل بن حيان ، وفي بعضها مائة ألف ، وفي بعضها ستمائة ألف ، وفي بعضها ألف ألف ، وفي بعضها كلمة (مالا يحصى) .

فإذا رأينا ذلك كله علمنا ان المتكلم لم يقصد بذكر هذه الأعداد تشخيص المعدود ، بل كان غرضه مجرد بيان كثرة المعدود والمبالغة فيه ، لاسيما على القول بأن العدد لا مفهوم له - كما اختاره جمع من الفقهاء واللغويين - أو نقول في ذلك : ان الصحيح عدم تنامي عدد العوالم كما أشار اليه بقوله : « مالا يحصى » ، لكن السامعين يختلفون في تحمل الغرائب وتصديق العجائب فكان الامام ﷺ ونحوه يلقي الكلام على حسب استعداد المخاطب ويذكر له عدداً يطيق سماعه - كما مر في آخر المقدمة الرابعة انهم (ع) أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وأحوالهم ، أو لجهات غير ذلك ذكرت بعضها في المقالة الأولى من المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

المقالة الثامنة

في الكافي والوافي لمحمد محسن الفيض والبحار وغيرها بسند قوى عن ابي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو جعفر محمد الباقر ﷺ ليلة وأنا عنده ونظر الى السماء فقال : « يا أبا حمزة هذه قبة أيدنا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفه عين » .

وهذا الخبر الشريف مشهور بحديث القباب ، وأرجح حمله على الاراضى المتعددة المنتشرة في الفضاء الواسع جملة منها تتبع الشمس وجملة أخرى تتبع نظومات أخرى غير عالمنا ، وحول كل أرض منها سماء غازى يحيط به كالقبة .

وقد تقدم في مسألة ترتيب السموات السبع في حديث الرضا عليه السلام ان
سما كل أرض محيط بها كالتربة فوق الشيء - والله أعلم .

المقالة التاسعة

في البحار والأنوار النعمانية والاحتجاج وشرح السيد الجزائري على
الصحيفة السجادية وفرج المهموم للسيد ابن طاوس بأسانيد قوية عن أمير المؤمنين
علي عليه السلام انه قال للنجم الفارسي (سرسفييل الدهقان) : « في الباردة
سعد سبعون ألف عالم وولد في كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم ، .
أقول : هذا الاحصاء قريب من الاحصاءات الأخيرة في عصرنا على
ما قاله الفاضل جورجى زيدان في ص ٦٦٨ من أهلة سنة ١٣١٥ : انه
يموت على وجه أرضنا كل ليلة تسعون ألفاً .
فيظهر من هذا الخبر ان لله تعالى سبعين ألفاً من العوالم كعالم أرضنا -
(وهروب العالمين) .

وروى ابن طاوس هذا الخبر أيضاً بسند آخر ، وفيه : « ان ألف
ألف من البشر يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم ، . وفي خبر آخر :
« كلهم مولدون في يوم واحد ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً ،
الى ان قال عليه السلام لسرسفييل : « ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه
الاجمة ، وكانت عن يمينه أجمة قصب .

المقالة العاشرة

في التوحيد للصدوق والخصال وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وشرح
الصحيفة ونور الثقلين وغيرها مسنداً عن جابر ان الامام الخامس محمد الباقر (ع)

قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد أو ترى ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين . وهذا الخبر المقدس صريح في المقصد محقق المضمون بالايان والمؤكدات وقوله عليه السلام : « في آخر العوالم ، ليست الآخرة مختصة بالتأخر في الزمان ، بل تستعمل كثيراً في التأخر الشأني والطبعي والمكاني وغير ذلك . يقولون : زيد في آخر قومه عصرأ أو مجلسأ أو شأنأ أو رتبة .

المقالة الحادية عشر

في البحار ومشارك الانوار للحافظ البرسي عن أبي حمزة الثمالي عن الامام الرابع علي السجاد عليه السلام انه قال : « أتظن ان الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم ، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم والله في آخر تلك العوالم .

المقالة الثانية عشر

في كتاب بحار الانوار عن ابن عباس في حديث طويل عن النبي (ص) فيما وراء السماء انه قال عليه السلام : « ومن وراء ذلك ظل العرش وفي ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولد آدم ولا ابليس ولا ولد ابليس ، وهو قوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » . وهذا الخبر الشريف صريح في ان الله جل جلاله قدرته خلق من وراء أرضنا وسماواتنا - أعني خلف عالم شمسنا - مخلوقات كثيرة وأما وأقواماً حية ناطقة هم في ظل العرش أي تحت احاطة العرش .

والعرش في الشرع كناية عن محدد عوالم الكون ، كما ان الكرمسى
كناية عن محدد عالم شمسنا خاصة .

* * *

وان بعد الخوض في بحار مقالات شرعنا الاقدس ظهر لى - والحمد لله -
وفاق اللهيه العصرية ان الله عظمت قدرته جعل ما ينتظم به امر معاشنا في كرة
الأرض وفي كرتنا البخارية ، وسمى ما يحيط بالجميع سماءاً فهو المحدد والمنتهى
لنظام أرضنا . ثم جعل أرضنا واخواتها السيارة حول شمسنا وما يلوذ بها من
الأقمار والرجوم في سعة هذا الجو المستدير من مركز الشمس إلى وراء نبتون بكثير .
فكما ان لجرم أرضنا هواء لطيف إلى بعد خاص تجرى فيه السحب
والرجوم كذلك لجرم شمسنا هواء أطف منه يسمونه (جوهر اتر) . وقد
ذكرته في المقالة السابعة من مسألة تعدد الأرضين .

وتجرى السيارات واتباعها في أفلاك جو هذا الهواء كالسحب في
أفلاكها والذي يحيط بهذا الجو المحدد لنظام الشمس يسمى في شرعنا (كرسيا)
و (سرادقا) وهو كالسقف والفسطاط للسموات والارض .

وقد تكرر في كلام على عليه السلام والأئمة من بنيهِ : ان الله جعل السموات
لكرسية عماداً ، وفي القرآن : (وسع كرسية السموات والارض) .
قال في حدائق النجوم ما معناه : ان ارضنا الثوابت من القدر
الأول ارشدتنا الى وجود دائرة تشبه اللبن ، وعرفنا ان الشمس محاطة
بمثل ما يحيط السيارات من الأبخرة اللطيفة ليكن في لطافة تقر بها من العدم ،
وتنتهى إلى حيث يجرى حكم الشمس وتؤثر عوامله الجاذبة والقاهرة ، .
فنسبة الكرمسى الى مجموع النظام الشمسى كنسبة الاتمسفر إلى الارض
وكذلك نسبة العرش إلى الجميع .

ثم خلق الله تعالى شمساً ونيرة وجعل لسلك منها سيارات ونظاماً يخصه، ونحن نسمى تلك الشمس كواكباً ثابتة - أى فى نظرنا العاجز - مع انها سياحة وسيارة أيضاً فى بيداء الفضاء الواسع حول مراكز لم تعرف حتى الآن والمحدد الحقيقى لجميع هذه العوالم المادية يسمى فى الشرع (عرشاً) كما ورد فى الشريعة : ان السماوات السبع فى الكرسي كحلقة تلتقى فى فلاة والكرسي فى العرش كحلقة تلتقى فى فلاة ، وظل العرش (أى سلطته وحيطته) منبسط على جميع الاجرام والنظامات القاطنة فى بطنان العرش السابحة فى بحار فضائه حاملة بأمر الله تعالى عباده على كواهلها وظهورها تنتظر أحكامه التكوينية . فاتضح بعد هذا البيان مقصود نبينا محمد ﷺ من قوله : « ومن وراء السماوات ظل العرش ، وفى ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولده » .

المقالة الثالثة عشر

ما اشتهرت روايته عن النبي ﷺ انه قال : « خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق كاستدارة السماء والارض » .
وقد روى هذا الخبر العلامة المجلسى فى البحار ج ١٤ باب العرش والكرسي عن وهب بن منبه صاحب النبي ﷺ .
وفى تفسير العلامة نجر الدين الرازى : « ان العرش له ستمائة ألف سرادق وطول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السيارات والارضون وما فيهما وما بينهما فانها كلها تكون فيها شيئاً يسيراً وقدراً صغيراً ،
وفى النهاية لابن الاثير : السرادق كلها أحاط بشيء - من خباء أو حائط .
أقول : هذه الظواهر بأسرها تحكى لنا ما تقتضيه الهيئة العصرية ، وهى

برمتها مخالفة لأراء القدماء والهيئة البطلمية وسية . وقد ذكرت قبيل هذا أن الظاهر من مقالات شرعنا الأقدس هو أن الله عظمت قدرته سماه المحيط بأرضه .
وأما ما يحيط بجميع سمواته وأراضيه ويحدد نظام شمسنا فهو الكرسي ويعبر عنه بالساق والسرادق والحجاب والركن والقائمة وغيرها ، بحسب اختلاف الملاحظات ، والمراد واحد والألفاظ شتى .

ولا يحصى عدد هذه السرادقات إلا الله تعالى ، وجميع هذه السرادقات ممهدة تحت العرش في ظلّه المنبسط ، والعرش هو المحدد لجميع العوالم التي لا غاية لها ولا نهاية بالنظر الى وجداننا العاجز ، ويختص معرفة حدوده والعلم بخصوصيات وجوده بالخالق الحق ، فانه أيضاً غير متناه في ذاته العظمى وصفاته الحسنى ، وهو المحيط بعرش العوالم لا غيره (الرحمن على العرش استوى) ولا تذهب عنك لطيفة في قوله ﷺ : « كل ساق كاستدارة السماء والأرض ، فافهم واسلك سبيل الحق لترقى .

المقالة الرابعة عشر

في البحار ومناقب ابن شهر آشوب عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام . »

وفي شرح السيد الجزائري على الصحيفة السجادية والبحار وروضة الواعظين عن الامام الرابع علي بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال في حديث طويل : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ألف عام ، وفي نسخة « عشرة آلاف عام ، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ، الى ان قال : « ان لله ملكا يقال له (خرقايل) له ثمانية عشر جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام ، فخطر له

خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام . ثم أوحى الله تعالى اليه : أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش . ثم ضاعف الله تعالى له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام فلم ينل أيضاً ، فأوحى الله تعالى لو طرت الى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشي . فقال الملك : سبحان ربي الاعلى .
أقول : ومضمون هذا النبأ العظيم لا يحسمه رومان فيلسوف ماهر أحسن مما أداه هذا المثال الدقيق المحيط بلباب التحقيق .

ويكفيك في تباعد النظومات وطول المسافة بين عالم شمس وعالم شمس أخرى ان النور يسير في كل ثانية ولمحة اكثر من ستين ألف فرسخاً ، وأقرب الشمس الى عالمنا ما يصل نوره اليها في ثلاث سنين ، ومثل ذلك بعيد عنا بأكثر من سبعة آلاف ألف مليون فرسخاً .

وقد صرح الحكماء بوجود شمس تصل أنوارها اليها في خمسة آلاف سنة وأكثر (جللت قدرة الله تعالى والله اكبر) .
ولعل المراد من قوائم العرش نظاماته وسراداته كما مر ، أو يكون ساق العرش اشارة الى وسط دائرته التي لا حد لمحيطها ولا غاية .
واطلاق القائمة والساق على محور العرش وقطره مناسب أيضاً . فاستعمل النظر وآمن بعظمة الله تعالى وعلم أوليائه .

المقالة الخامسة عشر

في البحار ومناقب الحافظ الطبرسي محمد بن شهر اشوب المتوفى سنة ٨٨٨ هـ عن ابن عباس عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قال في جملة خبر الطويل : « وأما

الاربعة عشر فأربعة عشر قنديلا من النور معلقة بين السماء السابعة والحجب
تسرح بنور الله تعالى الى يوم القيامة .

ورواه في البحار ج ١٤ والاختصاص من جملة مسائل ابن سلام اليهودي
عن نبينا، وان النبي ﷺ قال له : « وأما الاربعة عشر فهو أربعة عشر قنديلا
من نور معلقاً بين العرش والكرسى طول كل قنديل مسيرة مائة سنة ، وفي
بعض النسخ « ثمانية عشر حجاً بالطول مائة ألف سنة . »

أقول : القنديل في العرف اسم سرج ومصباح على شكل البيضة خصوصاً
إذا اعتبرت خيوطها وسلاسلها التي تعلق بها . وبناءً على هذا يكرن القنديل شبيهاً
بالنظام الشمسي من جهة الشكل ، حيث انه يبضوى كالنظام الشمسي .

ومن جهة تظمينه لجسم ناري في وسطه يشع بذاته نوراً وناراً كالنظام
الشمسي المتضمن للشمس في وسطه وهي تشع بذاتها نوراً وناراً ، فيصح اطلاق
القنديل على النظام الشمسي تشبيهاً ومجازاً .

وأما تطبيق هذه المضامين المقدسة المفهومة من هذه الالفاظ الكريمة على
تعدد العوالم فيقويه :

(أولاً) قوله ﷺ : « معلقاً بين العرش والكرسى ، فانا ذكرنا في المقالة
الثانية عشر ان العرش كناية عن محدد نظمات العوالم جميعاً ، والكرسى كناية
عن محدد نظامنا ومحيط عالم شمسنا ، فيكون ما بينهما فراغ بيداه الفضاء الذي
تهيم في سفاسفه شمس كبرى بتوابعهن ورايات حجورهن .

(وثانياً) قوله ﷺ : « طول كل قنديل مائة ألف سنة ،
بناءً على بعض النسخ ، وأنت تعلم سعة كل نظام شمسي ، وان شمسنا الصغيرة
تفوق طول القطر من نظامها على ألف مليون فرسخ .

وقوله ﷺ : « معلقة » يجوز قرأته بسكون العين وتخفيف اللام بمعنى

مسرحة ومشعلة، فيقوى كونها شمساً نيرة بنفسها، ويجوز بفتح العين وتشديد اللام من التعليق بمعنى وضعها في الفراغ غير مركوزة في ثخن جرم، فيتصف عندئذ بها كل جرم سماوى حسب المبادئ الجديدة .

وبعد ذلك يجوز أن يكون الخبر إشارة الى المذنبات العظيمة القابلة للابصار ويؤيد ذلك من ألفاظ الخبر جمل :

(منها) قوله عليه السلام : « أربعة عشر قنديلا ، فان المذنبات العظام التي يجوز ابصارها وإخبار الشرع عنها في خطابه لا يبعد أن تكون أربعة عشر أو الكائن كذلك في عصره .

(ومنها) تسميته قنديلا ، فانها تشبه القنديل في شدة الضوء والاشتعال والحرارة حسب ما شرحته في مسألة المذنبات ، مضافاً الى مشابهتها في الشكل بالنظر الى ذواتها أو ذنابها التي قد تبلغ ١٣٣ مليون ميل .

(ومنها) قوله عليه السلام : « طول كل قنديل مائة سنة ، على بعض النسخ ، فان عظام المذنبات لا تقصر أقطارها عن ذلك ، وإذا صحت نسخة مائة ألف سنة فيجوز حملها أيضاً على سعة فلك المذنبات البيضوية الشبيهة أيضاً بالقناديل . ولا نشك في كثرة اتساعها .

(ومنها) قوله عليه السلام : « بين السماء السابعة والحجب ، إذ المراد من ذلك - كما مر مراراً - هو ما بعد نظام شمسنا خلف أرانوس ونبتون الى أن ينتهي الى حدود سائر النظومات الشمسية الأخر المعبر عنها بالساقات والسرادات والحجب . وأنت تعلم ان مجال المذنبات هي ما بين هذه الفسحة المتسعة ، وتعلم أيضاً ان المذنبات العظام تتعد في سيرها من فلك نبتون الى مثل بعد نبتون عن الشمس أربعة عشر مرة ثم ترجع لتشكيل فلك اهليلجي أو بيضوى في مدة ستائة سنة

تقريباً ، ومذنب سنة ١٨٨٢م يتم دورته في ٨٠٠ سنة .
 وبناءً عليه فكيف تقدر سعة أفلاك المذنبات التي تكمل دورها في ألفين سنة أو
 ثلاثة آلاف سنة ؟ فانظر الى تقاصي سائر النظم الشمسية الأخر وكما
 بعد دارها عنا ، إذ لا تلقف بجاذبيتها هذه المذنبات الهائلة في حى جاذبية نظام
 شمسنا ، ولا ترسل من جذبها شيئاً الى حدود سلطنة شمسنا فنختلس نقر أمن
 شوارد رعاياها .

وانظر الى سعة ملك شمسنا المنبسط في أقطاره عوامل جذبها وقهرها
 وطول المسافة من حدود رعايتها وكرمى سلطتها (جل ربنا العظيم الذى
 وسع كل شىء ولا إله سواه) .

المقالة السادسة عشر

في الأنوار النعمانية وشرح الصحيفه السجادية للحافظ السيد نعمته الله
 الجزائرى بعد كلام له ينبيء عن جموده الممدوح على ظواهر الكتاب والسنة
 قال : وقد روى عن الطاهرين - يعنى النبي وأوصيائه المعصومين - : « ان الله
 تعالى خلق مائة ألف قنديل وعلقها بالعرش والسموات والأرض وما فيها حتى
 الجنة والنار كلها في قنديل واحد ، ولا يعلم ما فى القناديل الباقية إلا الله سبحانه ، .
 أقول : وقد أشرت وسأشير الى مشابهة النظام الشمسى بالقنديل من
 وجوه عديدة :

(منها) ان القنديل شكله بيضوى وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين
 مجموعة بمدارات سياراته بيضوى الشكل .

(ومنها) ان القنديل يتضمن جسماً لطيفاً في وسطه يتوقد ناراً ويشع
 نوراً ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين في وسطه كرة الشمس اللطيفة

التي بذاتها تثير النار وتشع الأنوار .

(ومنها) ان القنديل مربوط في الهواء وليس بمركز في ثخن جرم وكذلك النظام الشمسي مربوط عند المتأخرين بجاذبية الثوابت وليس بمركز في ثخن جرم كما كان القدماء يزعمونه .

(ومنها) ان الجرم المضيء في القنديل ليس في وسطه الحقيقي بل هو أقرب إلى حد منه عن الحد الآخر ، وكذلك النظام الشمسي عند المتأخرين ولذلك تراهم يقولون في دوران السيارات حول الشمس : والشمس في أحد المحترقين .

قال في حدائق النجوم ما معناه : ان المركز الحقيقي لعالمنا هو غير مركز الشمس وانما هو مركزه التقريبي ، بل المركز الحقيقي لعالمنا خارج عن الشمس بمقدار النصف من قطر الشمس تقريباً .



وبعدما ظهرت لك مشابة النظام الشمسي مع القنديل ينطبق هذا النبأ العظيم على النظام الجديد دون القديم ويكون ناطقاً بوجود ألوف من العوالم والنظامات الشمسية الحاوية لأراضى سيارة وأقار دوار وعمار وديار وجنة ونار ونحوها من لوازم المعاش والمعاد .

وفي قوله **بِالنَّارِ** : « والسموات والأرض وما فيها حتى الجنسة والنار كلها في قنديل واحد ، دلالة واضحة على ان كلا من عوالم تلك القناديل يسع السموات والأرض ، كما هو شأن النظام الشمسي عند المتأخرين خاصة .

وقوله **بِالنَّارِ** : « معلقة بالعرش ، يناسب رأى الأواخر على ماشرت إليه في المقالة الخامسة عشر ، سواء قرأنا المعلقة بتشديد اللام بمعنى الربط من التعليق أو بتخفيفها بمعنى التسريح والإشعال .

والعرش كما فسره مراراً محدداً جميع نظمات الكون ومحيط عوالمه الوافرة وقوله **بِسْمِ اللَّهِ** : « ولا يعلم ما في القناديل الباقية غير الله سبحانه ، واضح على مباني المتأخرين أيضاً ، فإن البعد البعيد والفضاء المديد المبين فيما سبق مانع من اطلاع الحواس على ما في تلك العوالم ، بل ولا تحس بمبادئ أمور فيها حتى تعيين قوة الحدس أيضاً .

وحسبك ان البعد وفقد الروابط والوسائط مانعان من اطلاعنا على ما في سيارات شمسنا التي تبعد عشرة ملايين فرسخاً ، فضلاً عما في شمسوس بعدت عنا بألاف ألوف ملايين الفراسخ وعما في سياراتها الخفية ، ولا سيما في عصر صدور هذا الخبر ، أعنى به زمان النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأوصيائه **عَلَيْهِمُ السَّلَام** إذ لم يكن وقتئذ ذكر من هذه الخواطر ولا أثر من هذه الحقائق في الدفاتر ، ولم تكن من أدوات الكشف يومئذ شبح ولا سيماء ولا اسم فضلاً عن المسمى .

ان العلم كان يومئذ كجنين في رحم ظواهر الشريعة الاسلامية المقدسة مثلها هي اليوم كطفل يرضع من ثدى المكتب والصحف لينمو في حجر الجمعيات الفاضلة ذو الأدوات والاسباب الكاملة ، وسوف يدرج مدارج الكمال ويبلغ مبالغ الرجال في مستقبل الأجيال - والله العالم بحقائق الأحوال . فانظر الى قوة أنظار أولياء الحق وأمناء الاسلام وصفاء قلوبهم ، وانطباع أسرار الكون وحقائق العوالم القاصية في مرآت نفوسهم المقدسة بالوحي والالهام من الرب العلام .

فاذا ظهر صدقهم في هذه المقالات الغيبية التي لا يدركها حس ولا يمتدنى إليها عقل فقد استراح القلب واطمئن في صحة سائر دعاويهم ومقالاتهم المربية للنفوس والطباع والمكاملة لنظامات الصحة والاجتماع المطلوب منها حفظ الأشخاص مع الأنواع (هذا هو الدين القيم فلا تبغ غير الاسلام ديناً) .

«خاتمة الكتاب»

(في مقالات اسلامية توافق الهيئة العصرية)

المقالة الأولى

في روضة الكافي والوافي وبحار الانوار وغيرها بسند قوى عن
الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في خبر يسأل فيه منجماً عراقياً من أصحابه
على سبيل الامتحان : كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها : قال المنجم :
هذا والله نجم ما سمعت به أحداً من الناس يذكره . قال الامام عليه السلام : وسبحان
الله العظيم أفاستقطم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون ؟ . ثم قال : فكم الزهرة من
القمر جزءاً في ضوئه ؟ فقلت : هذا شيء لا يعلمه إلا الله تعالى . قال : فكم
القمر جزءاً من الشمس في ضوئها ؟ قلت : ما أعرف . قال : صدقت .. الخ .
وفي باب تحريم النجوم من البحار ج ١٤ عن الكافي عن العسدة بسند
صحيح وفي غيره عن روضة الكافي والوافي عن عبدالله بن سيابة عن الصادق (ع)
انه قال : أتدرى كم بين المشتري والزهرة من دققة ؟ قلت : لا والله . قال : أو تدرى
كم بين الزهرة وبين القمر من دققة ؟ قلت : لا والله . قال : أو تدرى كم
بين الشمس والسكينة من دققة ؟ قلت : لا والله ما سمعته من أحد من المنجمين
قط . قال : أف تدرى كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دققة ؟ قلت :
لا ما سمعته من منجم قط .

قال السيد ابن طاوس : وروى هذا الحديث أصحابنا في المصنفات والاصول ، ورواه محمد بن أبي عبدالله في أماليه ، ورواه محمد بن عيسى أخو مقلس عن حماد بن عثمان .

أقول : يفيدنا ظاهر هذين الخبرين الشريفين ان نجمة السكينة هي من جملة السيارات وليست من مقولة الثوابت ، وتنطبق بحسب الامارات على سيارة (أرانوس) المبصرة كنجمة من القدر الخامس ، اكتشفها سر وليم هرشل سنة ١١٩٥ ١٨٧١ م . ويشهد على ما استفدته أمور ظاهرة : (الأمر الأول) تكرارها في أخبار الأئمة عليهم السلام في أعداد السيارات ، كالقمر والمشتري والزهرة - كما لا يخفى على المطلع .

(الأمر الثاني) مقارنة ضوئها مع ضوء الزهرة ، وذلك انما يناسب كونها من سنخ واحد يتفاضلان في النور والضياء ولا يناسب مقارنة تفاضلها في الضياء مع كون احدهما سيارة مظلمة والآخرى ثابتة وشمساً من الشمس في النيرة بنفسها ، بخلاف ما لو كانا من سنخ واحد بأن تكون نجمة السكينة اشارة إلى أرانوس لأصبح التناسب في المقايسة في أجلى ألبيسة الوضوح ، فانهما جميعاً أرضان سيارتان مختلفتان في الضياء والبرق اختلافاً ظاهراً ، بحيث نرى الزهرة أشد السيارات ضياءً وأجملها منظرأً ، ونرى أرانوس أشدها خفاءً وظلاماً . فيكون في مقابلة أرانوس بالزهرة كمال المناسبة ، بحيث لا تحصل هذه المناسبة بمقابلته مع غيرها .

(الأمر الثالث) قوله عليهم السلام في هذا الخبر وفي غيره : « أفاسقظن نجما بأسره فعلى ماتحسبون ، فان المحاسبات النجومية وأحكام السمادة والنحوسة والشرف والهبوط والمقابلة والاجتماع وغيرها متعلقة بالسيارات من حيث الحالات والحركات والأدوار والأطوار ولا تتعلق بالثوابت ، إذ لا يظهر

فيها شيء من ذلك ولا ارتباط لبعضها ببعض حتى يحتاج الى ضبط حالة أو حركة أو يخل جهل أحدها بأحكام البقية بخلاف السيارات .

فلو كانت نجمة السكينة بناءً على هذا من الثوابت لم يبق موضع مناسب لشدة تعجب الامام (ع) من محاسباتهم بقوله : « فعلى ما تحسبون ، بعد اسقاط نجم بأسره ، وأما إذا كانت هذه النجمة من السيارات وقسع تعجب الامام (ع) في أنسب مواضعه - كما لا يخفى .

(الأمر الرابع) قوله (ع) : « سبحان الله العظيم أفاسقطنم نجما بأسره ، فهذا الاستعجاب العظيم من الامام انما يناسب كونها سيارة لا ثابتة ، حيث لا موضع لاستعجابه من اسقاط نجمة ثابتة ، إذ الكواكب الثابتة التي ترى بالابصار المتعارفة يربوا عددها على ألفين كوكب عند المتقدمين والمتأخرين ولم يرصد المتقدمون ولم يعينوا منها غير ألف ونيّف وعشرين كوكب ثابت ففي عصر الامام (ع) كان الساقط عن الحساب من ثوابت النجوم المبصرة بقدر ما رصده كثرة .

وبناءً على هذا لا يبق موقع مناسب لتعجب الامام (ع) من اسقاط واحد منها والحال انه يماثله المئات بل الألوف في السقوط وعدم الضبط ، وأما إذا عدت نجمة السكينة من سائر السيارات صار لاستعجاب الامام (ع) موقع مناسب جداً .

فان الحكماء السالفين بذلوا أعز الاموال والأعمار في مراقبة الانجم السيارة حتى حصروها في سبعة وضبطوا حركاتها على أكمل ضبط ، وعينوا مواضعها وأفلاكها وترتيبها وبنوا على ذلك قواعدهم وأحكامهم الفجومية جميعاً فع هذه المراقبة لو غفلوا عن سيارة واحدة مرئية بالابصار المعتدلة ولم يتفطنوا بها ولا بأحكامها كان تعجب العاقل من هذه الغفلة العظيمة مناسباً وفي

محله وصح قوله ﷺ : « سبحان الله العظيم أفاسقطم نجما بأسره » .
ويظهر من المقالة الثالثة من الطائفة الثانية في مسألة عدد السيارات ان
نجمة (أرانوس) كانت قديما مرصودة ومعروفة عند بعض حكماء الهند . ومن
رصدوا اياها استقام حسابهم في فن النجوم والفلك .

(نكتة)

كما تدل شدة تعجب الامام ﷺ من اسقاط السكينة على كونها من
السيارات كذلك تدل أيضا على كونها السيارة المعروفة اليوم بأرانوس ، وقد
استفدت هذه الدلالة الثانية من جهات :

(الاولى) ذلك التعجب العظيم من اسقاط نجمة السكينة عن الحساب ،
إذ نحو هذا التعجب انما يقع من العاقل مناسبا وفي محله إذا كانت النجمة صالحة
للرؤية ، وأما إذا كانت غير مبصرة لم يصح من الغفلة عنها ، إذ الحكيم لا يعرف
الانجم بالوحي ونحوه حتى تعد غفلته من خفايا الاجرام عجباً بل يعد اطلاعه
عليها في غاية الغرابة .

وإذا وجب على هذا كون النجم المغفول عنه سيارة مبصرة تعين كونه
(أرانوس) ، إذ النجوم الصالحة يومئذ للرؤية إنما هي ستة من سيارات
شمسنا فقط ، وهي : ١ عطارد ، ٢ الزهرة ، ٣ المريخ ، ٤ المشتري ، ٥ زحل
٦ أرانوس . وليس المغفول عنه من بينها غير الاخير فقط - أعني أرانوس ،
وأما الخمسة الباقية فقد كانت مرصودة ومعروفة عند الجميع بالخسة المتحيرة
فتنحصر اشارة الامام ﷺ الى أرانوس لا غيره .

(الجملة الثانية) مقابلته في المقايسة مع الزهرة - كما مر في الامر الاول حيث ان السيارات ليس لها حسبا نشاهد أضواء من الزهرة حتى انها قد ترى في النهار ، كما انه ليس فيها حسبا زراه أخفى من سيارة أرانوس حتى انها قد لا ترى في الليل ، ولا يفوز كل بصر بابصاره لتناهيه في الظلمة والصغر .

(الجملة الثالثة) تسمية الامام عليه السلام هذه النجمة بالسكينة التي هي في العرف تلازم بطء الحركة وهدوء السير ، وليس في سياراتنا المبصرة ابطاً سيراً من (أرانوس) حيث يكمل الدور في اكثر من ثمانين سنة ، فكأنه يمشى بكمال السكينة ونهاية الطمأنينة - (والحق أعلم بالحق) .

المقالة الثانية

في البحار ج ١٤ وفرج المهموم للسيد ابن طاوس قال : روينا بالاسانيد عن الحسين ابن الغضائري ونقلته من خطه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل لعبدالله بن الحميري باسناده عن بياع السابري قال : قلت لأبي عبدالله (يعني الامام جعفر الصادق) : ان لي في النظرة في النجوم لذة ... الى أن يقول له الامام : كم تسقى الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شيء لم أسمعه قط ! فقال الامام (ع) : فكم تسقى الشمس الزهرة من نورها ؟ قال : قلت : ولا هذا . فقال (ع) : فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ ؟ قلت : وهذا شيء لم أسمعه قط قال : فقال الامام (ع) : هذا شيء إذا علمه الرجل عرف اوسط قصبية في الأجمة ، ثم قال (ع) : « ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند » .

أقول : وقد استفدت من هذا النبأ القدسي معنى لطيفاً يوافق الهيئة العصرية ، وهو ان السيارات مظلمة بالذات وتكتسب الأنوار من الشمس كالقمر وفاقا للمتأخرين ، فانهم متفقون على ان اجرام السيارات والاقمار

أراض كأرضنا ذات رمال وجبال لا تقتضى النورانية بذاتها ، فلا بد لها من أن تستعطي وتكتسب الأنوار من الشمس حتى تضيء ، بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا لا تحتاج الى اكتساب الشعاع من الشمس (١) .

• • •

وأما قدماء علم الفلك فالنقل المشهور عنهم من لدن بطليموس الى الألف الهجرى هو استغناء جميع السيارات من الشمس فى الضوء والنورانية ما عدا القمر (٢) وقد حكى ذلك عنهم فى حدائق النجوم وغيره .
ونقل العلامةتان المجلسى فى البحار والشيخ البهائى فى الحديقة الهلالية عن المنجمين ان القمر يختص بخواص لا توجد فى غيره من الكواكب وأشهر

(١) إذا كان اكتساب النور دليلاً على الظلمة الذاتية - كما يقول به سماحة المؤلف مستفيداً ذلك من الخبر حيث جعل كسب القمر والزهرة النور من الشمس دليلاً على الظلمة الذاتية - فاللازم أن تكون الشمس أيضاً مظلمة بالذات ، لما جاء فى ذيل الخبر : « فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ ، ونستنتج من سياق هذا الخبر ان القمر والشمس والسيارات كلها تكتسب النور من غيرها وكلها مظلمة بالذات على حد سواء ، فاذن لا بد من التأمل فى قول المؤلف : « بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا ... » ، وهذا القول مناقض مع كيفية الاستدلال - (ف) .

(٢) هذا ضد ما اختاره محبى الدين وأضرابه ، فكأن القدماء كانوا بين قولين لا ثالث لهما : أحدهما استضاءة العموم من الشمس حتى الثوابت وثانيهما استغناء العموم عن الشمس حتى السيارات ما عدا القمر . وأما الهيئة الجديدة فانخذت مسلكاً وسطاً وقالت باستغناء الثوابت عموماً واستضاءة السيارات عموماً . وهذا هو مذهب الشرع المحمدي .

تلك الخواص ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكيلاته ، واكتسابه النور من الشمس ... الخ .

فاستعطاء الضياء من الشمس كبقاى الخواص كان لديهم مخصوصاً بجرم القمر فقط ، وأضحى اليوم كبقاى الخواص مشتركا بين جميع السيارات عند المتأخرين ، وان الجميع مظلمة ذاتاً لولم تسق الشمس سطوحها من فيض أشعتها .

وهذا الخبر القدسى المعنون يشير بظاهره الى مذهب المتأخرين ، وان الشمس تسقى من فيض ضوئها جرم القمر كما هو المسلم بين من تقدم وتأخر ، وكذلك تسقى بقية السيارات بما أفاض الله تعالى عليها ، فتسقى الزهرة مثلاً من أنوارها مقداراً لا يعلمه إلا الله تعالى وأولياؤه . واللوح المحفوظ كناية عن حقيقة خفية فى عالم الوجود نشرحها فى بقية كتبنا انشاء الله تعالى والشمس تسقى منها بل كل ما فى عوالمنا مستفيض من بحار جودها (والله أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير) .

وقد ذكر الامام (ع) فى هذا الخبر القدسى استضاءة الزهرة والقمر من قرص الشمس وانها مقدرة بمقدار خاص ، أى يستضىء القمر من الشمس قدرأ معيناً ، وكذلك الزهرة تأخذ من الشمس مقداراً معيناً من النور وهذه التقادير معينة فى نفس الأمر ولكن لا يعلمها إلا الله تعالى وأولياؤه المقربون اليه .

وقد بذل المتأخرون همها ناهضة وأموالا باهضة حتى عرفوا بمعونة الآلات الدقيقة على سبيل التقريب مقدار ما تستفيده السيارات من نور شمسنا ونارها ، فقالوا : ان الزهرة تكتسب من نور شمسنا ثلاثة أضعاف ما تفيضه على الارض ، ويكتسب منها عطارد ثمانية أضعاف ما تفيضه على

الارض ، واختصت القناعة بالسيارات العليا (والقناعة شأن الاعلون) فتكتسب نجمة زحل من نور الشمس بجزء من تسعين جزء مما تفيضه على الارض ، ويكتسب أرافوس منه بجزء من ثلاثة وستين جزء مما تفيضه على الارض ، ويكتسب نبتون منه بجزء من تسعمائة جزء مما تفيضه على الارض على ما صرح به فلامريون الفرنسي .

وعرفوا أيضاً مقدار شكل الشمس في عين الناظر اليها من كل سيارة فقالوا : ان الشمس تترأى كدائرة قطرها شبر لمن في أرضنا ، وشبر ونصف لمن في الزهرة ، وقدمان لمن في عطارد ، ونصف قدم لمن في المريخ ، وكرامة لمن في المشتري ، وكسارنجة لمن في زحل ، وكبيضة لمن في أرافوس ، وكجوزة أو لوزة لمن في نبتون على ما قدره كثيرون .

ومعرفة هذه الاقدار تحقيقاً وتقريباً كان في القرون الماضية من غوامض الاسرار المختصة بالله جل عليه وبمن أوحى اليه ، ولذلك قال الامام (ع) « هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبة في الاجمة ، . يعني ان هذه الاسرار في تلك العصور لا تعرف إلا باحاطة غيبية بالمبادئ القدسية . فيكون بناءً على ذلك عرفان هذه الاقدار وعرفان بواطن الاشجار متلازمان ، لسكونهما معلولين لعلة واحدة هي المبدأ أو المنشأ لهما - أعني بها انكشاف ما في الطبيعة لدى النفس المتصلة بما فوق الطبيعة .

(تتمة مهمة)

ويقرب من مضمون هذا الخبر الممنون خبر آخر وجدته في البحار ج ١٤ والاحتجاج عن ابان بن تغلب ان الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع)

قال للنجم الباني : كم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة ؟ فقال الباني : لا أدري . فقال أبو عبدالله (ع) : صدقت فكم ضوء المشتري على عطارد درجة ؟ فقال الباني : لا أدري ... الخ .

أقول : وقد استفدت من ظواهر هذا الخبر لطائف :

(منها) كون السيارات المظلمة تكتسب الانوار من الشمس ، فان الامام عليه السلام ذكر عطارد والمشتري والقمر بسوق واحد وقاس بين انوارها . وقد أوضحنا في المقالة الأولى من الخاتمة ان المقايسة انما تقع مناسبة وفي محلها إذا كانت بين المتجانسات ، مثل ان يكون الطرفان كلاهما منيرين بالذات كالثوابت ، أو يكون كلاهما مظلمين بالذات ويكتسبان النور من الغير كالسيارات ، فاذا كانت السيارات كالقمر تكتسب الانوار من الشمس كما في الهيئة العصرية ظهر لهذه المقايسة موقع مناسب جداً . وقد مر في الامر الاول من مسألة القمر ما يشير الى استضاءة السيارة .

(ومنها) ان ضوء المشتري فائق في نفس الامر على ضوء القمر كثيراً وان كان النظر الحسي يفوق ضوء القمر عليه ، وكذلك بالنسبة الى عطارد فان ضوء المشتري فائق عليه ، فالشريعة والفلسفة متوافقان في هذه المسألة أيضاً وان خالفهما الحس البدوي .

(ومنها) ترتيب السيارات ، فان ترتيب بيان الامام (ع) وذكره لاسماء السيارات موافق للنظام الحديث الموافق للقرآن والاحاديث كما مر في الامر الاول من مسألة أوصاف القمر ، فانه (ع) ذكر المشتري أولاً ثم عدد السيارات نازلاً منه ، فسمى ما هو بعد المشتري بواحد أعنى القمر ، ثم ذكر ما بعد القمر بواحد أعنى عطارد على النظام الجديد ، فيتجه لهذا الكلام نظام . بخلاف ما لو اعتبرنا الهيئة القديمة فانه لم يبق لهذا الكلام التام نظام

معه بل ينحل إلى ترتيب مشوش - كما لا يخفى .

المقالة الثالثة

في كتاب فرج المهوم للسيد ابن طاوس والبحار بأسانيد كثيرة عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال للمنجم الفارسي سرسفيل الدهقان على سبيل التعميز والامتحان : « أخبرني عن طول الاسد وتباعده عن المطالع والمراجع ، وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ » .

أقول : قد اشتهر بين المتأخرين اطلاق التوابع على الاقمار من جهة انها تابعة في السير للكرات السيارة وفي المولد أيضاً على ما يقولون كتابعة السيارات للشمس . وقد يصفون الشموس بالجوامع نظراً الى انها هي الجامعة بنظامها شمل السيارات والحافطة بجذبها بناتها عن الشتات . ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الاقمار التابعة وبين عنوان الشموس الجامعة ، وان السيارات بنات الجوامع وأمها التوابع ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه وهكذا في اكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع وتتوسط بينهما في السير وفي الجذب وفي التكوين وفي المحل وفي الحجم وفي غير ذلك . وعلى هذا يتضح معنى قول وصي النبي (ع) : « وما الزهرة من التوابع والجوامع ، أي وما نسبة عنوان سيارة زهرة من عنوانيهما .

ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصرية لقال : نسبة عنوانها هي التوسط بين التوابع والجوامع ، أي ان نسبة الاقمار الى السيارات كنسبة السيارات الى الشموس كما فصلناه . وبناءً على هذا يكون المقصود من ذكر زهرة مطلق السيارات وكافتها . وإنما خص زهرة بالذكر دون البقية لسكونها أظهر أفراد السيارات لدى الحواس وأعرفهن بين الناس .

جبل قاف

بقلم

تتماحته الامام مسجته
السيد هبته الدين الحسيني الشيرتاني

مذكرة

مكتبة الأستاذ
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

عزيزي القارىء

(جبل قاف) اسم يتردد كثيراً في آثار الشريعة الاسلامية ويلوح لنا من هنا وهناك في الأحاديث النبوية وما ورد عن أهل بيته المعصومين (ع) . فهو جبل يحيط بالدنيا من زبرجدة خضراء عليه كتفا السماء وطوله مسيرة ألف سنة ... الخ .

فأذن أين هذا الجبل ولماذا لم نصل اليه مع كثرة الوسائل الثقيلية ؟ ان هذا سؤال يتردد كثيراً على الألسن ويصحبه تبسم فيه شيء من التهمك والسخرية من الذين يريدون شن الغارات على الاسلام وعلى مقدساته وعقائده ، انهم يجدون طريقاً للغمز في التعاليم الاسلامية الغراء ، ذلك لأنهم لم يطلعوا على هذه الاسرار التي كانت مخبوءة لهذا العصر وما بعده حيث يتطلبان معاجز غير تلك المعاجز التي أبداهها الرسول الاعظم لأهل عصره وأظهرها أهل بيته المعصومون لزمانهم الذي كانوا يعيشون فيه .

ان (جبل قاف) ليس بشيء خيالي بعيد عن الواقع وإنما هو ظل الأرض المخروطى المخضر من اختلاط النور والظلمة هكذا يفسر هذا الاسم سماحة العلامة الأكبر سيدنا السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في رسالته هذه التي نقدمها كتمكئة لسكتابه القيم (الهيئة والاسلام) ، راجين من المولى جل وعلا أن يديم حياة سيدنا ليكون نبراساً نستضيء به في الظلم .

السيد احمد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد خانم أنبيائه ، وعلى آله وأوليائه .

أما بعد : فإن الأخبار الماثورة عن النبي والآئمة من أهل بيته الكرام - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - في شأن (جبل قاف) لما كانت صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ، وهي الطريقة التي قال عنها المصطفى صلى الله عليه وآله : ونحن معاشر الأنبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ، ، ومن أجله أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والأسماع ، وصار من أجل ذلك يتخذ الذين في قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً أمثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالأثار الاسلامية .

ولذلك اندفعت الى تفسير تلك الظواهر الماثورة وكشف أسرارها المستورة ، والتوفيق بينها وبين الكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك .

فان أصبت الحقيقة فيما فسرت فذلك من فضل ربي ، وان أخطأت فان ربي غفور رحيم .

«الفصل الاول»

(الآثار الاسلامية حول جبل قاف)

ان الاخبار الماثورة حول جبل قاف وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ
عشرين أثراً أو اكثر نوردها قبل الشروع في تفسيرها :

١ - ما في تفسير الحافظ علي بن ابراهيم القمي من أبناء القرن الثالث
الهجري في شرح قوله تعالى : (حمسق) بسنده القوي عن الامام الباقر محمد
ابن علي بن الحسين عليهم السلام انه قال : « وق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر ،
خضرة السماء من ذلك الجبل » - الخ . وهو مروى في البحار للمجلسي وفي
البرهان للسيد البحراني وفي مفتاح الجنان للشيخ البرغانى .

٢ - ما في بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ
وفي منتخب البصائر لحسن بن سليمان الحلبي : « ان الله تعالى خلق جبلاً محيطاً
بالدنيا من زبرجد أخضر ، وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل » .
وهو مروى في البحار والبرهان والمفتاح أيضاً .

٣ - ما في معاني الاخبار لصدوق المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي
المتوفى سنة ٣٨١ هـ مسنداً عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) انه قال في
خبر طويل : « واما ق فهو الجبل المحيط بالأرض ، وخضرة السماء منه ، وبه
يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها » . وهو مروى أيضاً في البحار والبرهان
وغيرهما .

- ٤- ما في الدر المنثور للحافظ السيوطي جلال الدين من أبناء القرن التاسع بسنده عن عبدالرحمن بن بريدة قال : « ق جبل من زمرد محيط بالدينيا عليه كنف السما » ، وهو مروى في البحار أيضاً .
- ٥- ما في الدر المنثور وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي محمد باقر المتوفى سنة ١١١١ هـ عن مجاهد انه قال : « ق جبل محيط بالأرض » ، ورواه الفيروز آبادي في القاموس في مادة (قوف) .
- ٦- ما في تفسير علي بن ابراهيم القمي أيضاً وفي غيره قال : « قاف جبل محيط بالديانم وراه يأجوج وماجوج وهو قسم » . ورواه الطريحي أيضاً في مجمع البحرين في مادة (قوف) عند تفسير آية (ق . القرآن المجيد) .
- ٧- ما في البحار والدر المنثور عن ابن عباس (رض) صاحب النبي (ص) وابن عمه قال : « خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم » .
- ٨- ما في مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ عن الضحاك وعكرمة من أصحاب النبي (ص) : « ان قاف اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء وخضرة السماء منها » .
- ٩- المقطوعة المروية في البحار وفي كتاب الاقاليم والبلدان : « ان جبل قاف محيط بالأرض كحاطة بياض العين بسوادها » .
- ١٠- ما في باب البلدان من كتاب البحار من جملة مسائل عبدالله بن سلام الاسرائيلي عن النبي (ص) فقال فيما قال : « أخبرني ما بال سما الدنيا خضراء ؟ قال (ص) : « يا بن سلام اخضرت من جبل قاف » ، قال : صدقت يا محمد .
- ١١- ما في البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له

(قاف) السماء الدنيا مترفرة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكسذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل .

١٢ - ما في البحار والدر المشور أيضاً عن ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله (ص) ونحن في المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم أنتم ؟ فقلنا : نتفكر في الشمس ... الى ان قال (ص) : « ان من وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورنا لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة » - الخبر .

١٣ - ما في باب الجبل من كتاب البحار عن بعض المفسرين « ان الله تعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » - الخبر .

١٤ - ما في تفسير القمي وغيره عن عبدالله بن عباس في تفسير آية (رب العالمين) قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالماً وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفه عين قط ، ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، وكل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

١٥ - ما في كتاب المحتضر (بالضاد المعجمة) وفي البحار أيضاً عن الامام الرضا علي بن موسى (ع) : « ان الله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء ، قال الراوى : قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب ، والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس ، وهو مروى في تفسير البرهان أيضاً .

أقول : وانما ذكرت هذه الرواية في عداد اخبار جبل قاف مع انه لم يذكر اسمه فيها لأن الصفات المختصة بهذا الجبل قد ذكرت محمولة على موضوع

سمى بالنطاق تارة وبالحجاب أخرى ، مثل كونه من زبرجدة خضراء . وكون اخضرار السماء من خضرته ، ومن وجود العوالم المتعددة خلفه ، ولا ينافي ذلك تسميته بجبل قاف أيضا إذ كل هذه الأسماء سمات وصفات بعضها أشهر من بعض كما سيتلى .

ولا يبعد ان يكون التعبير عنه بالنطاق اشارة الى كونه محيطة بالارض - كما مر عليك في الاخبار السالفة . والنطاق والمنطقة الحزم المحيط بخضر المرء .
١٦ - ما في الدر المنثور وغيره عن كعب الاحبار في قوله تعالى في سورة ص : (حتى توارت بالحجاب) انه قال : « حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق ، فنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء ، فمن ثم يقال البحر الأخضر » .

أقول : والاعتراض الذي أوردته في الخبر السابق وارد هنا أيضاً ، كما ان جرابنا عنه هنالك نافع في هذه الرواية بالطريق الأولى - كما لا يخفى .
١٧ - ما في البحار والدر المنثور عن ابن مسعود صاحب النبي (ص) انه قال بمثل ما نقلناه عن كعب الاحبار في الحديث السالف .

١٨ - ما في البحار وكتاب جامع الاخبار المنسوب الى شيخنا الصدوق ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن عرض قاف وطوله واستدارته ؟ فقال (ص) : « مسيرة ألف سنة » الى ان قال : « وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوات من نور : ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والاخرى في وسط السماء » .

١٩ - ما رواه المحدث الفاضل الفيض الكاشاني في روضة الوافي والشيخ الصفار في بصائر الدرجات بالاسناد عن الامام الباقر محمد بن علي (ع) « ان الله تعالى خلق جبلا محيطة بالدنيا من زبرجد أخضر ، وان خضرة السماء من

ذلك الجبل ، ، وخلق خلقه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة

٢٠ - ما رواه المجلسي في باب العوالم من كتاب البحار عن ابن عباس عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال : « ان من وراء قاف عالم لا يصل اليه أحد غيري ، وأنا المحيط بما ورائه وعلى به كعلمي بدنياكم هذه . »
ومعنى « لا يصل اليه أحد غيري ، ان في ذلك العصر لم يكن أحد يدرك هذا العلم غيره .

(خاتمة)

قد استفاضت هذه المضامين المروية في جوامع الحديث ، فلا يضرها ضعف أسانيدھا ظاهراً ، ولكن هم الخطب بقرابتها واستنكار العقول لجملة من ظواهرها ، لجزمها بانتفاء جبل من الصخر يحيط كالحائط بالأرض ويقدر بمسيرة ألف سنة ، وهو بعينه من زبرجد أخضر وتؤثر خضرته في السماء ، وخلقته كذا وكذا من العوالم والاقوام واشياء تنافي اصول الهيثنين (القديمة والجديدة) بل تناقض مقالات السواح والرحالة .

إذن فلا مناص من توجيه الظواهر وتأويلها الى معنى صحيح يتفق مع الفن وبصدقه العيان والبرهان ، وقد خطر لي توجيهها الى مثل هذا المعنى لمكنه غريب لدى الناظر اليه لأول وهلة . نعم غريب لدى النظر لكن التأمل في شواهد وفي كمال توافقه مع المضامين الماثورة المذكورة يعطى العلم أحياناً بكونه المقصود لدى أصحاب تلك المقالات بطريق الاشارة والرمز .

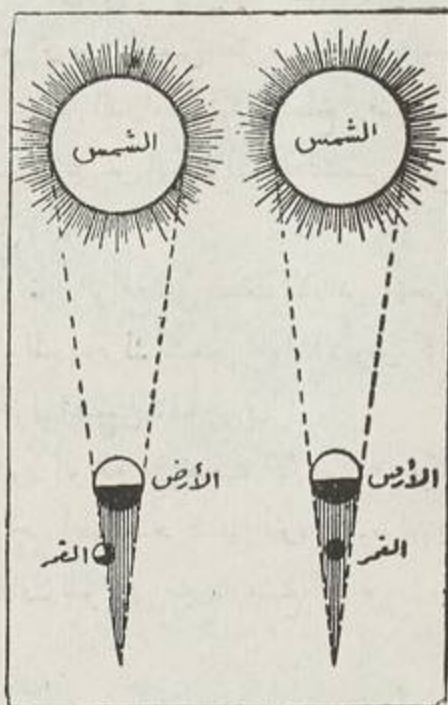
« الفصل الثاني »

(تسمية جبل قاف)

ذهب البعض الى ان (جبل قاف) هو سلسلة جبال ممتدة من نواحي بحر قزوين - بحيرة خزر - الى سواحل البحر الاسود في جنوب روسيا وشمال شرقي الاناضول وشمال غربي ايران حيث الاراضي الموسومة بـ (قفقاسية) . ويؤيد هذا الزعم ان كلمة قفقاز أو قوقاس منحوتة من لفظ قوه قاف ظاهراً ، وأصل هذه كوه قاف ، وهي فارسية معناها جبل قاف . لكن هذا التفسير على فرض صحته لا يكفل شرح المأثورات الاسلامية التي أوردناها في الفصل السابق ، ولا ينطبق على هذا الجبل شيء من تلك الصفات التي نحن بصدد شرحها وحلها ، اللهم إلا بعض تلك المأثورات كالرواية السادسة .

إذن فولّ وجهك شطر المعنى الذي يتفق مع المضامين المأثورة وأوصافها المذكورة ، وهو على غرابته في بادىء النظر يفتقر الى تمهيد ، وهو : انك لو تصورت كرة الارض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها لوجدت الظل شجراً مظلماً على شكله المخروطي ، قاعدته الوسيعة عند الارض ورأسه الدقيق نحو السماوات على هيئة جبل عظيم - انظر شكل (١) . أفلا يجوز لك اطلاق اسم الجبل على هذا الشكل المخروطي العظيم على

سبيل المجاز والتشبيه لتمام الشبه بين هذا الظل وبين الجبل في الشكل ؟ بلى
 لاشك من منصف في جوازه ، خصوصاً إذا قامت هناك قرينة لفظية أو عقلية .
 فيصح بناءً عليه أن يكون اطلاق الجبل على مخروط ظل الارض في
 المقالات الاسلامية من هذا القبيل ، لا سيما وموارد استعماله مقرونة بالقرائن
 فلا مانع لنا من جهة الصدق العرفي في هذا المقام ، وعليه فلنبحث عن
 تطبيق تلك العلامات ودلالة هاتيك القرائن والصفات ، وهي عشرة :



(ش - ١) كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص
 الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً .

القرينة الأولى

توصيفه بالقاف حتى صار اسماً له ، وسيأتي ان الارضين السبع في كل منها جبل قاف - كما مر في الرواية الحادية عشرة - فلا يكون اسم قاف علماً شخصياً لشيء كما يظن ، بل يعتبر اسم جففس متكثراً لافراد . ويقرب ما نبتغيه ذكر جبل قاف في القاموس وجمع البحرين وغيرهما في مادة (قوف) بمعنى تبع ، وجواز أخذه من قفي يققو فهو قاف بمعنى متبوع الاثر في المسير وظل الارض يتبع اثر نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .
والشمس ترسل على الدوام أشعتها الى سطح أرضنا وسطوح بقية السيارات فيستدير بها النصف النوعي من الكرة المواجه للشمس ويبقى النصف الآخر في ظلام - انظر شكل (١) .

ومعلوم ان النور الواقع على نصف الارض متحرك دائماً من المشرق الى المغرب ، سواء قلنا بتحرك الشمس حول الارض كالقدماء أو قلنا بتحرك الارض حول الشمس كالمتأخرين .
فاذا كان النور الواقع على نصف الارض متحركاً كان الظل الحادث منه في النصف الآخر أيضاً متحركاً على أثره ومتبعاً له في سيره ، وصدق على هذا الظل انه قاف للنور في سيره ومتبوع لأثره .

القرينة الثانية

وصف هذا الجبل بأنه محيط بالأرض - كما في الرواية الثالثة والخامسة والثامنة والتاسعة - أو انه محيط بالدنيا أو العالم ونحوه - كما في الرواية الأولى والثانية والرابعة والسادسة والسابعة والسادسة عشرة والتاسعة عشرة .
ومعلوم ان مرادهم من الدنيا والعالم والخلائق هو هذه الأرض وما

عليها ، وان ظل الارض يحيط بها وبما عليها على التوالي كاحاطة بياض العين بسوادها . فما ألفت هذا التشبيه الوارد في نص الرواية التاسعة ؟ في حين انه لا يوجد جبل من الصخر يحيط بالارض أو بالخلاتق .

القرينة الثالثة

وصف هذا الجبل بارتفاع عظيم وانه كمسيرة ألف سنة في المسافة - على ما في الرواية الثامنة عشرة - وان السماء الدنيا طرفاها على هذا الجبل - كما في الرواية الرابعة - مع ان أعظم جبال الأرض ارتفاعا كجبال هميالا لا تزيد على ثلاثة فراسخ البتة .

لكن ذلك البعد المأثور صالح للانطباق على مخروط ظل الارض ، إذ طوله عند القدماء يقرب من فلك الزهرة ، وعند المتأخرين يقرب من ثمانمائة ألف ، أى مائتي ألف فرسخ ونحو ستين ألف فرسخ .

وبعد اضافة ابعاد عرضه ومساحة استدارته - كما في الخبر - يبلغ مسيرة ألف سنة أو أكثر ، على ان المسير المأثور مجحول القدر من حيث الآلة والزمان وأما كون السماء الدنيا طرفاها عليه فان فسرت السماء بفلك القمر - كما إرتأه القدماء - فطر فاقوس من فلك القمر ملازم لهذا الظل - انظر شكل (١) وبعد القمر عند القدماء قريب من اثنين وأربعين ألف فرسخ ، وعند المتأخرين قريب من اثنين وستين ألف فرسخ .

وان فسرت السماء الدنيا بما في (الهيمة والاسلام) فانطباقه يصبح في غاية الوضوح .

القرينة الرابعة

كون هذا الجبل ذا ذوائب ثلاث من نور : ذؤابه في المشرق ،
وذؤابة في المغرب ، والأخرى في وسط السماء - كما في الرواية الثامنة عشرة .
وهذا الوصف أيضا لا ينطبق إلا على مخروط ظل الأرض ، فان
شكله مثلث مستطيل محفوف بالخطوط النورية من كل جهة ، فلا يبرح مستترا
وجبه الشرقي ووجهه الغربي ورأس مخروطه السماوي أما بنور القمر أو من
احاطة الاشعة الشمسية ، فيصدق عليه عندئذ انه ذو ذوائب ثلاث من نور
- انظر شكل (١) .

ولا يخفى لطافة تشبيه ذلك بالذوائب ، فان الجبال النورية والخطوط
الظلامية مسترسلتان كالذوائب من جوانب هذا المخروط ومشتبكتان عليه .

القرينة الخامسة

تشبيه هذا الجبل بالزمردة الخضراء كما في الرواية الاولى والرابعة والثامنة
والثامنة عشرة ، وبالزبرجد الأخضر كما في الرواية الثانية والخامسة عشرة
والتاسعة عشرة ، وبالياقوتة الأخضر كما في السادسة عشرة والسابعة عشرة
والفطن الخبير إذا اطلع على توصيف الشيء تارة بالزمرد الأخضر
وأخرى بالزبرجد الأخضر ومرة ثالثة بأنه ياقوت أخضر عرف من ذلك ان
المقصود انما هو توصيف ذلك الشيء بخضرة هذه الاعيان المختلفة في ذواتها
والمترددات في صفاء الخضرة ، إذ الشيء الواحد لا يكون زمرداً وزبرجداً
وياقوتاً في وقت واحد ، فليس الغرض إلا ان جبل قاف في الخضرة كهذه
الخضروات ، لا أنه من نفس هذه الأ-ججار الثمينة كما يتوهم .

ولما قلنا أن يقول : سلمنا قصد الخضرة من وصف جبل قاف بالزمرد
والزبرجد ، كما سلمنا انطباقه على مخروط ظل الأرض ، لئلا يكون هذا

المخروط ليس له لون ما حتى يوصف بالخضرة أو الحمرة ؟
والجواب عن ذلك : ان العرف يصف الظل بالسواد وبغيره كما يصف
النور بالبياض وغيره ، وهذا مما لا شبهة فيه ولا شك يعتريه ، وظل الأرض
له باطن شديد الظلام موصوف بالسواد عرفاً ، وهو جزؤه المصادف
لأوساط الليل ، وله سطوح ظاهرة هي أوائل الظل المشتبك ظلانها بالضياء
وهذه أشبهه بأن تكون خضراء لأن لون الخضرة متوسط بين السواد والبياض
أو مزيج النور والظلام .

ولا يخفى ان العبرة في لون الأشياء انما هي بسطوحها الظاهرة دون
البواطن ، فان الزنجي اسود والرومي أبيض باعتبار ألوانها الظاهرة ، فعليه
أصبح سائغاً وصف الظل بالخضرة والزرقة ونحوهما باعتبار ما يترامى من
أطراف ظل الأرض المختلط فيها بياض النور بسواد الظلام .
ويتأيد هذا المعنى بشاهد لفظي مذكور في الرواية الثامنة عشرة وهو :
ان جبل قاف « زجة من زمردة خضراء ، والزج في اللغة طرف الشيء ،
فيتفق مع تفسيرنا المذكور .

القرينة السادسة

ان السماء خضرتها من خضرة ذلك الجبل كما في الرواية الأولى والثانية
والثالثة والثامنة والعاشره والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة
عشرة . وهذا الأمر انما يستغرب ان اخذت لفظة (من) الجارة نشوية فيكون
المعنى بناءً عليه ان خضرة السماء ناشئة من خضرة هذا الجبل ، فلا ينطبق
حينئذ على الظل . وأما ان اخذناها جنسية انطبق على الظل ويسكون المعنى
ان خضرة السماء من جنس خضرة الظل ، كما يقال : « الزنجي من البشر »

أى من جنس البشر ومن صنفيهم وكما تقول: « ان الزهرة من السيارات ،
أى من جنسها .

وهذا معنى صحيح يألف به ظاهر ألفاظ الاخبار ، إذ الخضرة الظاهرة
في جهة السماء إنما هي من جهة ان الانوار المنعكسة عن الارض تختلط مع
الظلمة المتوطنة فوق الهواء وفي موضع التعادل بين المختلطين يحصل لون
متوسط بين قوة النور وبين قوة الظلمة ، وسبق في القرينة الخامسة ان أوائل
الظل أشبه بالخضرة والزرقة اللازوردية .

ويؤيد ما ندمه كلام العلامة المحقق فيلسوف الاسلام نصير الدين
الطوسي المتوفى سنة ٥٦٧٢ في كتابه (التذكرة) وخلاصته : « ان الحكماء
قالوا : ان الزرقة التي يظن الناس انها لون السماء تظهر في كرة البخار ، لأنه لما
كان أطف أجزاء البحار اعلى واكشفه الاسفل كانت أجزاءه القرينة منا
أنوار ، إذ انعكاس النور من الاكشف أشد ومن الالطف أقل ، فصار بذلك
الطبقات العليا من الهواء أظلم من الطبقات السافلة ، فيرى الناظر في كرة البخار
لونا متوسطا بين الظلام والضياء ، وهو اللون اللازوردى ، - الخ .

فاذا ثبت ان خضرة السماء اللازوردية إنما هي اختلاط النور والظلام
في طبقات الهواء الوسطى ، كما ثبت ان أوائل الظل المخروطى لازوردية اللون
وانها حادثة من اختلاط النور والظلمة وتعادلهما ، يثبت جليا أن خضرة السماء
من جنس خضرة ظل الارض ومن قبيلها .

وأما خضرة لون البحر (كما تشير اليها الرواية السادسة عشرة) فهي
أيضا من اختلاط النور النافذة في الماء مع الظلمة المستوطنة في قعر البحر ،
فكلما بعد النور من سطح الماء غلبت عليه الظلمة ، فيحصل عند اعتدال النور
والظلام لون متوسط أخضر كاسبق . وهذا هو السر في ان البحار العميقة يضرب

لونها الى السواد ، فاذا اغترفت من مائها غرفة ذهب عنه سواده في يدك فظهر ان خضرة البحار من قبيل خضرة السماء ، وكلاهما من قبيل خضرة ظل الارض أما قوله في الرواية السادسة عشرة : « حتى توارت بالحجاب ، فضمير التأنيث راجع إلى الشمس عند اكثر المفسرين ، وصدق الحجاب مجازاً على ظل الارض مناسب جداً ، لأن الحجاب يستر المرئيات عن الناظرين وظل الارض - وهو الليل - يستر المرئيات أيضاً عن الابصار أشد استتاراً ، وتوارى الشمس بظل الارض أيضاً ظاهر ، أي توارت الشمس واختفت بسبب الحجاب وظهور مخروط ظل الارض .

وهذا الوصف لجبل قاف الذي لا ينطبق إلا على ظل الارض قابل لأن يكون مستقلاً عن الاوصاف العشرة . وأما بقية الفقرات فيؤخذ شرحها بما قدمناه .

القرينة السابعة

ان من خلف جبل قاف بحار سبعة يفصل كل بحر أرضنا عن أرض من الارضين السبع كما في الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة وغيرهما ، ولا ينطبق هذا الوصف أبداً إلا على ظل الارض سواء حملنا الارضين السبع على الاقاليم كما هو رأى جماعة أو حملناها على طبقات الارض المتداخلة كما عليه الآخرون ، إذ ليس فيما بين الاقاليم بحار سبعة يفصل كل منها أرضاً عن أرض ، وليس في الارض بحر مسافته خمسمائة عام كما تشير اليه الرواية الثانية عشرة ، مع ان حصر الاقاليم الارضية فرضي غير حقيق . وليس أيضاً بين أطباق الارض بحار فواصل ولا جبال بوارز مع ان الطبقات الارضية ثلاث عند القدماء وغير محصورة عند المتأخرين . فاذا لم يتم التفسير بالاقاليم ولا بالطبقات ونحوهما فالأقرب ما حققناه

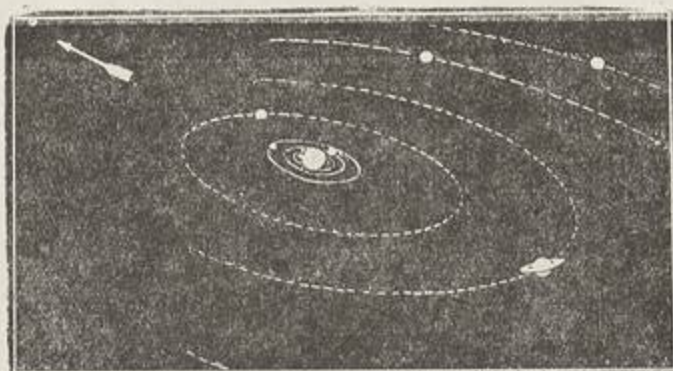
بدلالة الآيات والروايات في أبواب الأرضين والسموات من كتاب (الهيئة والاسلام) ، وتفسير البحار السبعة بالبحار السماوية المتكررة ذكرها في الأحاديث الشريفة ، وموجز ذلك :

إن السيارات السبع - حسب ما حققه الفلكيون المتأخرون - اجرامها أراضي ذات وهاد وأنجاد وأنهار وجبال مثل أرضنا هذه ، فتصدق عليهم كلمة (الأرضين السبع) صدقاً حقيقياً ، وصرح بذلك الامام الرضا على بن موسى عليه السلام في رواية الحسين بن خالد ، ولكل كرة من هذه الأرضين ظل مخروطي يحدث ورائها من مقابلة الشمس لها ويدور حولها على شاكلة ظل الارض - كما سنينه في القرينة الثامنة .

والفضاء المتوسط بين سيار وسيار - أو بالاحرى بين مدار ومدار - مواج بسيل شفاف اثيري يسمى (اتر) فيشبه البحر الهائج (١) وينقسم الى سبعة أبحر سبب انقسام مدارات السيارات إلى ثمانية ، فالفواصل السبع بين هذه

(١) ويؤكد تشبيه ذلك بالبحار أمران ، هما :

- ١ - عظمة الطول والعرض والعمق للفضاء المتوسط بين مدار ومدار ، حتى ان أقل البعد من أقربها عدة ملايين من الفراسخ .
- ٢ - ان الكرات السيارة لا بد لسلك منها من ظل مستطيل يحدث خلفه بسبب وقوع نور الشمس على نصفها ، فيكون كل من الكرات الكبيرة والصغيرة شبيهاً بالسلك الطويل ، رأسه الجرم البيضوي لسكرة والبدن ظلها المستطيل المشبك سطحه من اختلاط النور والظلام - انظر شكل (١) فلا تحسب المتخيلة إذا صادفت هذه الاشباح جارية في الجو إلا صور أسماك وحياتان صغار وكبار تسبح في بحر الفضاء . فيحصل بهذه الملاحظة مشابهة تامة بين مجارى هذه السيارات وبين البحار .



(ش - ٢) مجارى الأفلاك بحسب الهيئة الجديدة

المدارات الثمان يصح تسميتها بمجراً سبعة حسبما نوضحه لك قريباً - انظر شكل (٢) .

فبناءً على مشابهة السيارات السبع مع أرضنا في ظلها وبقية أحوالها وانقسام أفلاكها إلى مدارات ثمان أولها لعطارد وآخرها لنبوتون تكون الابحر السماوية بين الأفلاك سبعة (١) وتكون الارضين سبعة كما قال في الرواية (١) ويؤيد توجيه البحار السماوية بالمجارى المتوسطة بين مدارات النجوم

أمور هي :

أ - توصيف تحرك السيارات بالسباحة في الآيات والروايات كما قال تعالى في سورة يس : (وكل في فلك يسبحون) وقال الامام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التي تسبح في الفلك » . وقد أثبتنا -

الحادية عشرة : « حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل ، وكما قال ﷺ في الرواية الثانية عشرة : « ان وراء قاف (يعنى ظل أرضنا) سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع أرضين (يعنى السيارات السبع) يعنى نورنا لأهلها ، - الخ .
 ويعنى من قوله : « يعنى نورنا لأهلها ، ان شمسنا مضيئة على أهالي تلك الأرضين .

القرينة الثامنة

تعدد جبل قاف وانه متكرر الافراد في عالمنا وان كان منفرداً في أرضنا خاصة ، ويظهر ذلك من الرواية الحادية عشرة ، فان الظاهر منها - بدلالات شرعية في كتاب الهيمه والاسلام ان الفلك في عرف الشرع هو مجرى السيار ومداره ، فوصف السيارات بالسباحة تناسب ملاحظة مجاريها في الفضاء كالبحار حتى تكون تحركاتها في ذلك الفضاء سباحة .

ب - تحديد أعماق هذه البحار في بعض الأخبار بمسيرة خمسمائة عام كالمروى في توحيد الصدوق وفي بحار شيخنا المجلسي وغيرهما بسند قوى ان رسول الله ﷺ قال : « ان في السموات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام ، وهذه المسافة قد وردت متكررة في تحديد ما بين الارضين السبع ، أى من كل سيار الى كل سيار وفي تحديد ما بين السموات السبع ، أى من سماء سيار الى سماء سيار أخرى - على ما شرح في الهيمه والاسلام .
 فيدل المجموع على المطلوب .

ج - تصریح أخبار آخر بوجود بحار من نور في السموات تتلأل أنوارها ، كذلك الفضاء المتوسط بين المدارات ممتلئ من الأنوار المتلألئة ، وأى نور حسى أقوى منها وأهم ؟

تعداد سبع أرضين ومع كل أرض بحر يحيط بها وجبل فيها اسمه (قاف)
أو بالأحرى سمته وصفته نظراً الى متابعة الظل للنور في سيره واقتفائه لآثره .
وهذا المعنى الغريب الذي كان يعد من الأسرار الغامضة يتضح بعد الاطلاع
على الكشفيات الجديدة في فن الفلك فان كلا من السيارات السبع أرض كأرضنا
ولكل منها ظل منحروطي الشكل شبيه بالجبل كالموجود في أرضنا ، ويحيط
ذلك الجبل بتلك الأرض احاطة بياض العين بسوادها ، وكل سيارة منها
تجرى في بحر موج سيال شفاف اثري يسمى (اتر) عند الافرنج ، وهو الحامل
لاهتزازات دقائق النور والكهربائية .

ويتضح أمر هذه القرينة مما أوضحناه في القرينة السابعة ، كما انه يتضح
تسمية كل ظل من الظلال المنحروطية للسيارات بجبل قاف مما شرحناه في القرينة الاولى
القرينة التاسعة

ان من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة أربعين يوماً
للشمس كما في الرواية الثالثة عشرة . ومعلوم ان هذا لا يتجه إذا حملنا جبل
قاف على الجبال الحجرية البارزة على متن الأرض .
وقبل العلم بالكشفيات الأخيرة في علم الفلك فسرت هذا الحديث بأن
الرواية تشير الى الأراضي القطبية ونواحيها التي هي مغمورة تحت الثلوج
وترى بيضاء على الدوام كالفضة أو أشد بياضاً وهي المسماة بـ (المنطقة المتجمدة) .
وبما ان العرب عرفوا البلاد القوقاسية وأن الأراضي البيضاء بالثلوج واقعة
في شمالي تلك البلاد صح اخبارهم بأن من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة الخ .
وكنا نفسر جبل قاف بجبال القوقاس ، ونفسر « مسيرة الشمس فيها
أربعين يوماً » بظهور الشمس في المناطق المتجمدة نحو شهرين أو اكثر من
جملة أيام السنة ، في حين ان الرواية تتضمن ما يبعد هذا التفسير ، فان قوله

« طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس، لا ينطبق على أى قطعة فى مناطق الارض
وعليه فالأقرب تأويل هذه الارض البيضاء بأرض (عطارد) فإن
جرمها من شدة القرب الى قرص الشمس معنى أشد الاضاءة ، حتى ان
حرارة الشمس على كرة هذا السيار يقاس بثمانية أمثال حرارتها فى أرضنا،
ودرجة الضوء تقاس فى عطارد بأكثر من هذا المقياس جداً ، فيناسب قوة
الضوء فيها تمثيلها بالفضة المجلوة والتعبير عنها بالارض البيضاء .

ولا يخفى ان أرض عطارد واقعة من وراء ظل أرضنا المخروطى أثناء
النهار كما هى واقعة تجاهنا ليلاً ، فيصح على تفسير جبل قاف بظل الارض
قوله : « ان من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة » .

فان سألتهم بعد هذا عن تفسير قوله : « طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس »
أجبناكم أن الفلكيين المتأخرين ضبطوا الحركة السنوية لسيارة عطارد بمدة
ثمانين يوماً وبضعة أيام ، فهى فى نصف هذه المدة مستضيئة بضياء الشمس
فترى بيضاء وفى نصفها الآخر مظلمة بالظل المخروطى الحادث فيها ، ونصف
المدة المذكورة يكون أربعين يوماً بالتقريب .

ولى تأويل ثالث للرواية المذكورة مبنى على صحة ما ادعاه بعض الفلكيين
فى استكشافه سنة ١٢٦٤ هـ سنة ١٨٤٦ م سيارة جديدة أقرب إلى قرص
الشمس من سيارة عطارد وسموها (فلكان) فان شدة استضاءتها من الشمس
جعلتها مشتعلة فى منظر الرأى كالبركان المنفجر ، فأرضها أشد بياضا من
عطارد وأقرب إلى تفسير الرواية بها لو تم أمرها ، إذ انها تبعد عن قرص الشمس
سبع درجات من الفلك فى حين ان عطارد تبعد ثمانى وعشرين درجة
تقريباً ، وقد شرحت انطباق حركتها السنوى على قوله : « طولها مسيرة أربعين
يوماً للشمس » فى الهيئة والاسلام .

وتوجد آثار نبوية أخرى تشير الى هذه الارض البيضاء أوردها شيخنا المجلسي في السماء والعالم من كتاب البحار ، فروى عن مناقب الشيخ رجب البرسي المؤلف سنة ٨٠٠ هـ وعن مصباح الكفعمي من علمائنا في القرن التاسع الهجري بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال له جبرئيل في حديث طويل : « والذبي بعثك بالحق نبيا ان خلف المغرب أرضا بيضاء فيها خلق من خلق الله ، الى ان قال الامام : « ومسير الشمس في بلادهم أربعون يوما ، - الخ .

وروى عن السيوطي في الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه جعفر بن محمد عليه السلام - قال : قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله - يعني احتراماً له - فقصد النبي نحوهم فسكتوا فقال صلى الله عليه وآله : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء وأين تذهب ؟ وتفكرنا في خلق الله تعالى . فقال النبي صلى الله عليه وآله : « كذلك فافعلوا ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى ، فان الله تعالى وراء المغرب أرضا بيضاء وفورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى ، .

وان أبيتهم من حمل هذين الخبرين على سيارة فلكان أو عطارد الواقعتين من جهة مغرب أرضنا نهاراً فاتخذوا الخبرين نبأ غيبياً عن أراضي أمريكا المكتشفة سنة ١٤٧٦ م الواقعة خلف مغربنا تماماً .

القرينة العاشرة

ان وراء جبل قاف خلائق أو عوالم كثيرة لا يعرفون آدم ولا ولده وكل عالم منهم اكثر من ثلاثمائة أمثال آدم وما ولد كما في الرواية الرابعة عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين .

ويستدعى توضيح الموضوع من مجموع ذلك أبحاثاً خمسة :

(البحث الأول) ان الجمل المذكورة في هذه الأحاديث لا تنطبق على الجبال الصخرية في أرضنا بجبال القوقاس ، إذ ليس من وراء هذه الجبال بحار سبعة ولا سبعون ألف أمة ولا أقوام لا يعصون الله أولم يفترض عليهم الصلاة والزكاة ، كما انه ليس من ورائها مئات العوالم التي يزيد واحدتها عن آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

والعالم يفسر عند أعلام اللغة كالفيروز آبادي في قاموسه بأنه الخلق كله ، أو ما حواه بطن الفلك ، أو انه مجموعة الكائنات والامم ، وعلى هذا يعود من المحتم فرض أمثال هذه العوالم خارج أرضنا هذه .

(البحث الثاني) إذا أبت الروايات الأربع حمل جبل قاف على الجبال الصخرية الأرضية وجهناك نحو التأويل الذي شرحناه، وتقريبه: ان الظل المخروطي لأرضنا الممتد الى ما وراء فلك القمر (انظر شكل - ١) يوجد من ورائه خلف البحار السبعة (٩) أعني ما وراء مجارى السيارات السبع (انظر شكل - ٢) عوالم وسبعة الاكثاف ذوات شمس كشمسنا هذه . وحول كل شمس سيارات كثيرة كبيرة تدور كل بمجموعة منها حول شمسها المتمركزة في الوسط على هيئة أفلاك

(١) قد سبق في القرينة السابعة ذكر البحار السبعة السماوية وانها في وراء جبل قاف مستشهادين على ذلك بالروايتين الحادية عشرة والثانية عشرة، وقد نبهنا هذا البحث المهم على ان الرواية الرابعة عشرة مؤيدة أيضاً لتلكا الروايتين ، إذ انها تصرح بوجود البحار السبعة من وراء جبل قاف ، وما هي إلا البحار السماوية التي مر تفسيرها بأوضح بيان ، وأصبح بذلك مجرداً في تأويل الأحاديث يتقوى بعضه بعضاً .

شمسنا هذه ، وتلك الكرات القصية عنا لا تخلو من مخلوقات لرنا سبحانه هي
أحياء عاقلة على شاكلة احياء أرضنا أو أرقى مما يعبدون الله تعالى ولا يعصونه
ما أمرهم به وهم بأمره يعملون .

ونظراً الى افتراض الشموس وسياراتها الكثيرة الكبيرة لا يبعد أن
تشتمل على سبعين ألف أمة أو ما يزيد عددهم على الجن والانس ، أو ان تعد
عواملهم مئات العوالم بل ألوفاً . ولا يستبعد أن يكون الواحد منها مشتملاً على
أكثر مما ولده آدم بثلاثمائة مرة أو أكثر ، فتنتطبق الروايات والمأثورات
الاسلامية على هذا الوجه القريب .

(البحث الثالث) ان اصول الهيئة الجديدة المؤيدة والكشفيات الأخيرة
حملت عامة الفلكيين على القول بوجود عوالم من جنس عالمنا الحيواني وأنظمة
شبيهة بنظامنا الشمسي وكائنات أرضنا من وراء ظلمها المخروطي .

وبيان ذلك على سبيل الاجمال : ان الكواكب المحسوسة بأعيننا قد
لا يزيد عددها على ثلاثة آلاف كوكب ، وهي منقسمة على أقدار ستة حسب
اختلاف تلاتها وتفاوت درجاتها في التشعشع ، فأظهرهن كالشعري من القدر
الأول وأخفاهن كالسهي من القدر السادس .

وأما النظارات الفلكية (تلسكوب) أي دور بين فن حينما اخترعها
(غاليله) المتوفى سنة ١٦٤٢م الى ان تكاملت في عصرنا الحاضر قامت - والحق
يقال - بكشف ما يدهش العقول من أسرار السماوات وعوالمها المستورة
فأصبحت بفضلها الكواكب تعد اليوم بأكثر من مائة وأربعين مليوناً ، ولا
يخضع منها للدوران حول شمسنا هذه إلا ثمانية نجوم تسمى السيارات ، وهذه
السيارات ثابت بالاتفاق لديهم كونها أراضي ذات وهاد وروابي وأنهار وأقمار
على شاكلة الأرض التي نحن عليها .

وأما بقية الكواكب - وتسمى الثوابت - فقد أجمع الفلكيون في عصرنا على انها شمس كشمسنا هذه أو اكبر ، ولسكن البعد السحيق الفاصل بينهم وبين مركزنا يصغر منظرهن الى حد قد يسترهن عن الابصار ، فالذنب للعين لالنجم في الصغر .

وحسبك ان أقرب هذه الكواكب الثوابت اليها نجمة تسمى (دلفا) يصل نورها الى أعيننا في مدة ثلاث سنوات ، في حين ان النور يسرى في كل ثانية زهاء ستين ألف فرسخ ، ولا توجد حركة ما أسرع من حركة النور ، فكيف يكون بعد هذا الكوكب عنا ياترى ؟! يكون بعده عن مدار نبتون نحو ستة ملايين مليوناً من الفراسخ ، في حين ان مدار نبتون يبعد عن مركز شمسنا اكثر من تسعمائة مليون فرسخاً .

فهل يجوز العقل وصول نور شمسنا الى نجمة دلفا حتى يضيئها ويضيء ما هو أبعد منها ؟ كلا ثم كلا . لان شمسنا العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بمليون وأربعمائة ألف مرة قد صغرت في أعيننا ، فترى قرصها نحو شبر بسبب بعدها عنا نحو ثلاثين مليوناً من الفراسخ ، فاذا صار بعد الشمس عن مدار نبتون ثلاثين مرة مثل بعدها عن أرضنا صغر بالضرورة منظرها في مدار نبتون لحد يجعلها كحمصة أو كنجمة في بادية النظر .

فشمسنا التي صغرت على عظمتها عند مدار نبتون لهذا الحد المدهش كم يكون ليتها شعري قدرها ونورها في حدود دلفا التي تبعد عن مدار نبتون نحو ستة آلاف مرة مثل البعد الذي بين مدار نبتون ومركز الشمس ؟ أجل يتلاشى نورها في أثناء المسافة ، فلا يمكن أن يستفيد جرم دلفا من نور شمسنا أو من حرها شيئاً ما .

ولا بد حينئذ من تصديقنا باستقلال نجمة دلفا بنفسها في نورها وناورها

فتكون شمسا كشمسنا هذه في الانارة والادارة .

وإذا صح القول في نجمة دلغا وتم استقلالها من بين الثوابت كان غيرها من الكواكب الثابتة أولى منها بهذا الامر وأحق ، إذ المسافة بين الشمس والثوابت الأخر أبعد وأبعد ثم أبعد ، فإن النور من نجمة دلغا يصل الى أرضنا في نحو ثلاث سنوات ، ويصل النور من بعضهن (كالشعري) اليها نحو عشرين سنة ، ويصل النور من البعض الآخر (كنجمة الجدى القطبية) نحو خمسين سنة وفي السماء نجوم يصل نورها اليها في خمسة آلاف سنة ، فكيف تكون المسافة - ياترى - بين هذه النجوم وبين شمسنا ، وكيف يكون القدر المضروب لمثل هذه الكواكب ؟ وهل يجوز مع ذلك دعوى استفادة الكواكب طرأ أشعتها وأضواؤها من شمسنا هذه كما زعمه الأقدمون ؟ كلا !

فلو صححت من الفلكيين هذه الدعاوى التي يستندون في اثباتها على أدواتهم الدقيقة وآلاتهم الحديثة لزم أن يكون الكون ظرفا لشموس تفوق الحد والحصر ، وان تكون شمسنا العظيمة هذه حقيرة جدأ في جنب تلك الشموس بتمام معنى الكلمة .

وعليه يستبعد العقل من خالقنا الحكيم جل شأنه أن يترك هاتيك الشموس مسلوبة الفوائد غير مر بوظة بنظام وأحكام ليس في حضانتها أراضى مأهولة بالأحياء ، وقد قامت ضجة في الفلاسكيين ولا تزال حتى اليوم قائمة على ان المريخ والمشتري وزميلاتهما من سيارات شمسنا مأهولة بالأحياء ومسكونة من قبل أناس متقدمين في القمدن والحضارة .

وقد أوردنا كلمات القوم ومؤيداتهم في بحث السيارات المسكونة من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا المآثورات الاسلامية التي تنص على وجود الحيوان والانسان في السكرات السماوية .

فالمخالف الحكيم الذي لم يهمل فوائد شمسنا هذه الحثيرة ولم يدع مواهبها ضائعة في الفضاء حتى أوجد منها ولها السيارات والمدارات ، ولم يترك أراضي السيارات سدى وعبثاً حتى أوجد فيها ومنها المواليد والأشجار النامية وأجرى لها وعليها الانهار والأقمار ، وأسكنها أنواعا من الحيوان والانسان متنعمين بجوده و مترنمين بآيات مجده ، كيف يعقل أن يترك سبحانه مئات الملايين من شمس هذا الكون الواسع مهملة ضائعة لا يستفاد من مواهبها وقواها وفيهن آلاف الآلاف من الشمس التي هي أعظم من شمسنا وأعظم ثم أعظم ؟

لذلك لا نستبعد ما جاء في مشهد الكائنات من كشف سيارة لبعض الكواكب الثابتة في برج السنبلة سموها (أونوريا) وهي نجمة من القدر الثاني عشر ، كما لا نستبعد ما ادعاه فلنكس ورنه الفرنسي من اكتشافهم سيارة حول كوكب الشعرى ، وما قرع من السمع من هذا القبيل .

(البحث الرابع) - قد عرفت الرأي السائد بين الفيلسوفين في العصور الاخيرة واتخاذهم الكواكب الثابتة شمساً مستقلة كشمسنا في اناراتها وادارتها ومركزيتها لسياراتها ومداراتها وان السيارات طراً أراضي كأرضنا هذه مسكونة أو انها صالحة لسكنى الاحياء ، فاعرف الآن عن نبي الاسلام والائمة من آله - عليه وعليهم السلام - اشاراتهم وعباراتهم الناطقة بوجود عوالم مأهولة بالاحياء خارج أرضنا هذه ، وانها لا تنطبق إلا على كائنات الكرات السماوية ، سواء كانت في حضنة شمسنا هذه أو في حضنة الشمس الاخرى التي ذكرناها . ونخص من بينها أخباراً ستة :

أ - المروى في أبواب السماء والعالم من كتاب بحار الانوار للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ بالسند القوي الى الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : ان لله عز وجل اثني عشر عالم ، كل عالم منهم اكبر من سبع

سماوات وسبع أرضين ، ما يرى عالم منهم ان الله عز وجل عالماً غيرهم ، .
فقد دل على أن في الكون عوالم تنوف على الالوف كل عالم منها عبارة
عن سماوات وأرضين وأكبر من عالمنا المؤلف من سبع سماوات ومن الارض
مثلهن ، ويشير الى اشتغالها على الاحياء العاقلة التي لا تعرف عن عالمنا خيراً
ولا أثراً .

ب - المروى في البحار وفي فرج المهموم للسيد بن طاوس المتوفى سنة
٦٦٤ هـ بسنده عن الامام السجاد على بن الحسين السبط (ع) انه قال لمنجم:
« هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم ؟ » .

ج - المروى في كتاب الشيخ ابى الليث السمرقندى وفي كتاب متشابه
القرآن لمحمد بن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هـ عن النبي ﷺ انه قال :
« ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، .

د - المروى في الكافي للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ بسنده عن ابى حمزة
الثمالى قال : قال لى أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر الى
السماء فقال : « هذه قبة أينما آدم ، وان الله عز وجل سواها تسع وثلاثين قبة
فيها خلق ما عصوا الله طرفه عين ، .

هـ - المروى في البحار وفي فرج المهموم وفي كتاب الاحتجاج للشيخ
الطبرسى من علماء القرن الخامس الهجرى مستنداً الى أمير المؤمنين على بن
أبى طالب عليه السلام انه قال لسرفيل الدهقان المنجم: « فى البارحة سعد سبعون ألف
عالم ، وولد فى كل عالم سبعون ألفاً ، والليلة يموت مثلهم ، .

و - المروى في البحار وفي كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه
المتوفى سنة ٣٨١ هـ بسنده عن جابر الانصارى الصحابى ان الامام الباقر محمد
ابن على عليه السلام قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد ،

أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين .

وهذا الخبر المقدس صريح في المطلوب ، كما أن المأثورات السابقة عليه لا تقصر عنه في الصراحة ، وقد شرحناها وعززناها بأمثالها في مبحث تعدد العوالم من كتاب الهيبة والاسلام ، وذكرنا ان اختلاف أعدادها عند الاخبار عنها محمول على رعاية أفكار السائلين ومقدار تحمل عقولهم ، عملاً بالحديث الشريف النبوي القائل : « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

وبالجملة فهذه مأثورات إسلامية تؤيد كل التأييد علماء الفلك المتأخرين في عقيدتهم بكثرة الكرات المأهولة في السماوات ، ولو صححت آراؤهم هذه لاضحت هذه المأثورات الثابتة عن أئمة الاسلام براهين ساطعة على صحة هذا الدين القويم وصدق نبيه العظيم بل لا أجد اليوم برهاناً أقوى دلالة منها على قداسة نبينا الامين وقداسة الائمة من آله الطاهرين - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وان نفوسهم القدسية كانت مربوطة بالعوالم الغيبية ومستمدة من الاسرار الربوبية .

(البحث الخامس) إذا ترجع لدى الناظر ما أوردناها من آراء الفلكيين بشأن الكرات السماوية المأهولة بالاحياء وكثرة هاتيك العوالم خارج أرضنا تلك الآراء المعززة بظواهر الاحاديث الشريفة تسنى له أن يفسر المأثورات الاسلامية الواردة في جبل قاف والعوالم التي من ورائه ، فان قوله في الرواية الرابعة عشرة : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالماً وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يبصروا الله تعالى طرفه عين قط ولم يعرفوا آدم

ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولده يفسر منه جبل قاف بهيئة ظل الكرة الأرضية المخروط الشبيه بالجبل - انظر شكل (١) وما ذكرناه في الفصل الثاني .

وأما البحار السبعة التي هي خلف قاف فهي المجارى المتوسطة بين مدارات السيارات المواجهة بالسيال الأثيرى - انظر شكل (٢) وما فى القرينة السابعة. وتفسير المثات من العوالم فيه بوضعيات الخلائق الكائنة فى السكرات خارج نظامنا الشمسى - كما شرحناه فى البحث الثالث .

وكذلك القول فى تفسير الرواية التاسعة عشرة ، فتطبق الروايتان على ما ارتأيناه فى جبل قاف ويكون قرينة عليه .

وأما قوله فى الرواية الخامسة عشرة: « ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم أكثر من الجن والانس ، ففسر أيضاً بعوالم المخلوقات خارج أرضنا ، وقد فصلنا عنها المقال .

فظهر والله الحمد - بعد التأمل فى القرائن العشر - ترجيح تفسيرنا لجبل قاف على بقية المحتملات فيه ، وأضحى بفضل شروحنا الوافية وتحقيقاتنا المهمة هذا الرمز الغريب أو اللغز العجيب جلياً أمره كبقية الرموز والأسرار الديفية التى كشفنا الاستار عنها فى هذا الكتاب ، بعدما لبثت تحت ستار الغموض ثلاثة عشر قرناً ، وأضحى فى مثل هذا اليوم هى البراهين الوحيدة لاثبات صدق النبى الأمين وصحة مذهب الأئمة من أهل بيته الطاهرين الذين اختصوا بعلمه وأسراره كما اختص جدهم النبى بالوحى المبين ، فعليه وعليهم أفضل الصلوات والتحيات .

فهرس تفصیلی

۳	تقدیم بقلم السید أحمد الحسینی
۱۷	بین یدی الکتاب
۲۱	مقدمة المؤلف للطبعة الثانية
۲۳	مقدمة الطبعة الأولى
۲۳	الأغراض الداعية لتألیف الکتاب

(مقدمات الکتاب)

۲۹	أصناف المقالات المعتمدة علیها فی الکتاب
۳۴	المصادر المعتمد علیها
۳۹	طریق ترجیح أحد المتعارضین
۴۱	الشواهد الداخلية علی صحة النسبة
۴۴	الفرق بین التفرس وكشف المغیب
۴۷	تدرج الشریعة فی اظهار الخفايا
۴۹	التمدن الاسلامی أكمل من كل تمدن
۵۲	سبب سكوت الأديان الأخرى عن الاسرار السكونية
۵۵	فی المتفق علیه والمفترق من الهيئات
۵۵	هيئة ذيمقراطيس
۵۶	هيئة بطليموس

٥٨	هيئة المصريين
٥٨	هيئة تيخو براهة
٥٩	هيئة فيثاغورس
٥٩	الهيئة الجديدة

(المسألة الاولى)

٦٤	في حقيقة الفلك ومعناه
٦٩	الاستشهاد بأية « وكل في فلك يسبحون » ،
٧٠	الاستشهاد بأية « والسبحات سبحاً » ،
٧١	الاستشهاد بأية « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » ،
٧٣	الاستشهاد بأية « والقمر قدرناه منازل » ،
٧٣	في قول علي <small>عليه السلام</small> : ثم علق في جوارها فلما
٧٤	الاستشهاد بقول الصادق <small>عليه السلام</small> في حقيقة الفلك
٧٦	أخبار علي <small>عليه السلام</small> عن عدم استدارة الفلك
٧٧	نكات في كلام علي توافق المتأخرين

(المسألة الثانية)

٨٠	هيئة الأرض وما تقوم عليه
٨١	مذاهب الحكماء في شكل الأرض
٨٢	أخبار تشير الى استدارة الأرض
٨٥	فيما تقوم الأرض عليه
٨٦	أحاديث في كون الأرض غير محمولة

حديث خلق الأرض على قرني الثور أو على الحوت وتوجيه ذلك على رأى نيوتون

٨٧

(المسألة الثالثة)

- ٨٩ تحرك كرة الأرض
٩١ تاريخ نمو القول بحركة الأرض
٩٢ الآيات الدالة على تحرك الأرض
١٠٣ تصريح الامام الصادق عليه السلام بتحرك الأرض
١٠٤ دحو الأرض من تحت السكبة
١٠٦ تصريح الامام على عليه السلام بتحرك الأرض
١٠٧ المعنى اللغوي للبك والمك والدحو والدح
١٠٨ توصيف على عليه السلام خلق الأرض
١١٠ عدد حركات الأرض

(المسألة الرابعة)

- ١١٥ تعدد الأرضين ونفي انفرادها
١١٦ السيارات أراض عند المتأخرين
١١٧ ما يدل من القرآن على كون الأرضين سبعة
١١٨ تصريح الرضا عليه السلام بأن فوقنا ستة أراض أخرى
١١٩ كون تقسيم الاقاليم غير حقيقي
١٢٠ ما شاهده النبي صلى الله عليه وآله في معرجه من تعدد الأرضين
١٢١ ما جاء في جبل قاف وشرحه

- ١٢١ اشارة النبي الى نجيمات المشتري
 ١٢٤ البحار السبعة الفاصلة بين الارضين
 ١٢٦ أحاديث في البحار السماوية
 ١٢٩ اضاءة الارضين بعضها لبعض ومسكونيتها
 ١٣١ علم الاولياء عليهم السلام بأخبار الارضين
 ١٣٢ خبر ابن سلام وترتيب الاراضي والبحار
 اشارة النبي الى جريان الارض وكثرة خضرة المريح وسعة
 المشتري ولون نباته
 ١٣٤
 ١٣٦ خلو بعض الارضين ومسكونية بعضها
 ١٣٨ ما ينتظر من تزاور سكان السماوات

(المسألة الخامسة)

- ١٤١ ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة؟
 ١٤٢ وجه اعتبار الارضين سبعة
 ١٤٣ إخبار الشرع الاسلامي عن فلكان ونبتون
 ١٤٧ توقع كشف جديد

(المسألة السادسة)

- ١٥٠ حقيقة السماوات السبع والارضين السبع
 ١٥٢ أقوال القدماء في حقيقة السماء
 ١٥٢ السماء في العرف واللغة والشرع
 ١٥٤ طبقات الهواء والاختلاف في نهايتها

- ١٥٥ تحقيق السكره البخارية وتحديدھا
- ١٥٧ ما دل على خلق السماء من بخار الماء
- ١٥٨ ما دل على خلق السماء من الدخان
- ١٥٩ المشابهة بين البخار والدخان
- ١٦٢ ما دل على خلق السماء من الموج أو البحر
- ١٦٣ ما دل على ان السماء معدن الماء
- ١٦٤ ما دل على تقدم خلق الارض على السماء
- ١٦٦ ان الحضرة الموجودة في الجو هي لون السماء
- ١٦٧ الاخبار الدالة على ان السماء تحت مدار الكواكب
- ١٦٨ انتهاء الهوا بالسماء
- ١٧٠ في انفصال كل سماء عن الاخرى
- ١٧١ اشارة الشريعة الى وزن السماء والارض
- ١٧٢ الوزن عند القدماء والمتأخرين

(المسألة السابعة)

- ١٧٦ ترتيب السماوات السبع والارضين السبع
- ١٧٨ الترتيب الاسلامى في السماوات والارضين
- ١٧٩ تصريح الرضا عليه السلام بالترتيب الاسلامى
- ١٨١ تباعد الارضين بمسيرة خمسمائة عام
- ١٨٤ تحديد المتأخرين للفواصل بين الاراضى السيارة
- ١٨٥ نتائج هذه المسألة

(المسألة الثامنة)

- ١٨٧ كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام
 ١٨٨ حركتنا الشمس
 ١٨٨ مخالفة ظاهر القرآن مع القدماء في تحرك الشمس
 ١٩١ دلالة القرآن على تحرك الشمس
 ١٩٤ دوران الشمس وفوائده لنا
 ١٩٧ اشعار كلام على عليه السلام بتحرك الشمس
 ١٩٨ اشعار القرآن بمركزية الشمس
 ٢٠٠ توجيه خبر يوم موافقة القدماء نحو الهيئة العصرية
 ٢٠٢ حركة الارض ومعرفة الدرجات والبروج
 ٢٠٥ شرح قوله تعالى : « تغرب في عين حمئة »
 ٢٠٥ ما رأى ذو القرنين في سياحته

(المسألة التاسعة)

- ٢٠٧ تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس
 ٢٠٨ هل ان الشمس مصدر الحرارة والنور أم لا ؟
 ٢٠٩ آراء الحكماء في كون الشمس مثار النار
 ٢١٠ تصريح القرآن بكون الشمس سراجاً وهاجاً
 ٢١١ تصريح الباقر عليه السلام بتركب الشمس من نور ونار
 ٢١٣ اظهار على (ع) ان وجه الشمس لو كان الى الارض لاحرقتها
 ٢١٤ ما يتلف من حرارة الشمس

- ٢١٥ زوال حرارة النيرين يوم القيامة
 ٢١٦ شدة هيب الشمس وأمطارها
 ٢١٩ قطر الشمس وكمية جسامتها
 ٢٢٠ بيان على عليه السلام لحجم الشمس
 ٢٢٤ وزن جرم الشمس
 ٢٢٧ دوام كرة الشمس أو زوالها وفناؤها
 ٢٣٠ تصريح الشريعة الاسلامية بفناء الشموس
 ٢٢٣ وحدة الشموس وتعددتها
 ٢٣٦ إخبار الصادق عليه السلام بتعدد الشمس والقمر وعوالم آخر
 ٢٣٨ ان في الشمس والقمر كائنات حية
 ٢٣٩ لكل بيثة مخلوق يناسبها
 ٢٤٤ اظهار الامام كثرة الشموس والاقار

(المسألة العاشرة)

- ٢٤٧ فيما يتعلق بالقمر وأوصافه
 ٢٤٧ محل القمر من الانجم
 ٢٤٨ اشارة القرآن الى محل القمر
 ٢٤٩ بيان على عليه السلام في محل القمر
 ٢٥١ حديث في محل الرجوم والقمر
 ٢٥٢ وحدة قرص القمر أو تعدده
 ٢٥٣ تصريح الشريعة بكثرة الاقار
 ٢٥٤ آراء الحكماء في حرارة نور الشمس

- بيان الامام الباقر عليه السلام في حرارة نور القمر وتركب جرمه
 وبقية شؤونه ٢٥٥
 الجبال النارية والبراكين في القمر ٢٥٧
 تصريح الامام الرضا عليه السلام بحرارة نور القمر ٢٥٨

(المسألة الحادية عشر)

- عدد السيارات ٢٦٠
 تقلبات الافرنج في عدد السيارات ٢٦١
 ميزان قنقوس وكشف النجوم ٢٦١
 ما دل في الشريعة على ان السيارات سبعة ٢٦٤
 ما دل في الشريعة على انها احدى عشر ٢٦٥
 أسماء السيارات الواردة في الشريعة وتطبيقها على السيارات
 المكتشفة عند المتأخرين ٢٦٦
 وجه تعداد احدى عشر سيارة ٢٧٣
 إخبار الصادق عليه السلام بأربع نجوم خفية ٢٧٥

المسألة الثانية عشر

- في وجود جنس الحيوان في السيارات ٢٧٨
 اتفاق حكماء الغرب في مسكونية السيارات ٢٧٩
 أدلة الحكماء في المسكونية ٢٧٩
 أقوال الحكماء في مسكونية السيارات ٢٨١
 دفع استبعاد مسكونية نبتون وعطارد ٢٨٧

- ٢٨٩ المقصود من الاستدلال بأراء الغريين
 ٢٩٥ آيات تدل على مسكونية السيارات
 ٢٩٧ حديث القباب وشرحه
 ٢٩٨ أخبار مسكونية الأرضين السبع
 ٣٠٣ تفسير قوله تعالى : « ومن الارض مثلن »
 ٣٠٤ الارض البيضاء خلف مغربنا

المسألة الثالثة عشر

- ٣٠٨ في الشهب والمذنبات وأحجار الجو
 ٣٠٩ اختلاف الحكماء في حقيقة المذنبات
 ٣١٠ اختلافهم في منشأ حدوث المذنبات
 ٣١١ أقوال الحكماء في الشهب والنيازك
 ٣١٤ الرأي الاسلامي في الشهب والمذنبات
 ٣١٧ تحقيق زينة السماء الدنيا بالنجوم
 ٣١٨ تقسيم النبي ﷺ للنجوم وفاقاً للمتأخرين
 ٣١٩ اظهار على ﷺ ما يوافق ترتيبنا فقط
 ٣٢٠ حديث « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا »
 ٣٢٠ اشارة الامام الحسن ﷺ الى الترتيب الحديث
 ٣٢١ تفسير على ﷺ للطارق

المسألة الرابعة عشر

- ٣٢٣ تعدد العوالم والنظامات

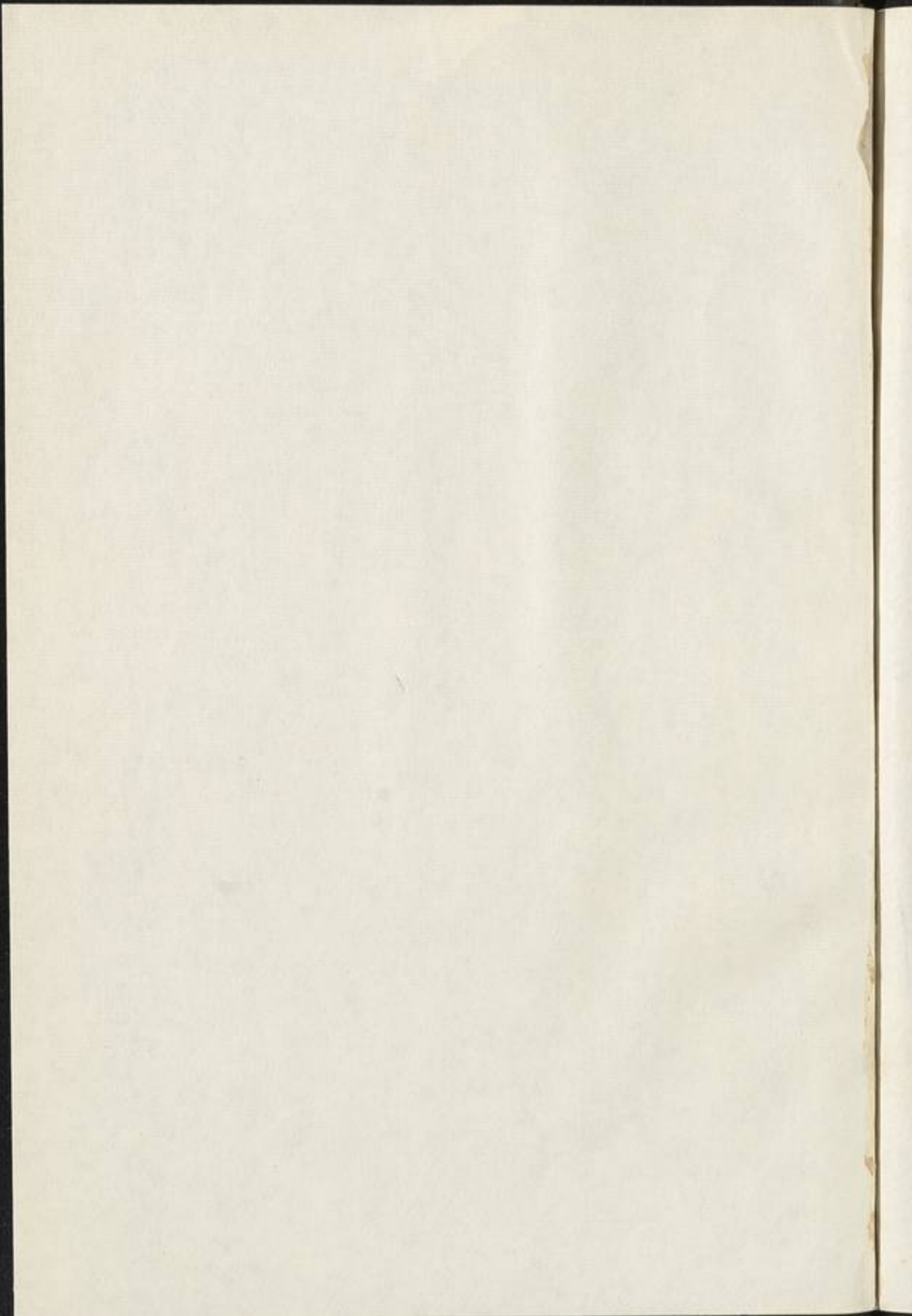
- ٢٢٤ آراء الحكماء في بعد الثوابت
 ٣٢٧ الثوابت شمس ذات أراضى
 ٣٢٧ مقدار اشراق بعض النجوم
 ٣٣١ تصريح الشرع بكثرة النظمات
 ٣٣٢ اخبار تعدد العوالم
 ٣٣٧ شرح حديث القباب المشهور
 ٣٣٨ احصاء الوفيات في كل يوم
 ٣٣٩ أخبار تعدد مبادئ الفسل
 ٣٤٩ تحقيق حول العرش والكرونى
 ٣٤٤ في قناديل العرش وحجبه
 ٣٤٤ مشابهة النظمات مع القناديل
 ٣٤٥ سعة أفلاك المذنبات وقوة شمسنا
 ٣٤٦ اظهار الشريعة شرح عوالم الكون الوافرة وتشبيهها بالقناديل

خاتمة الكتاب

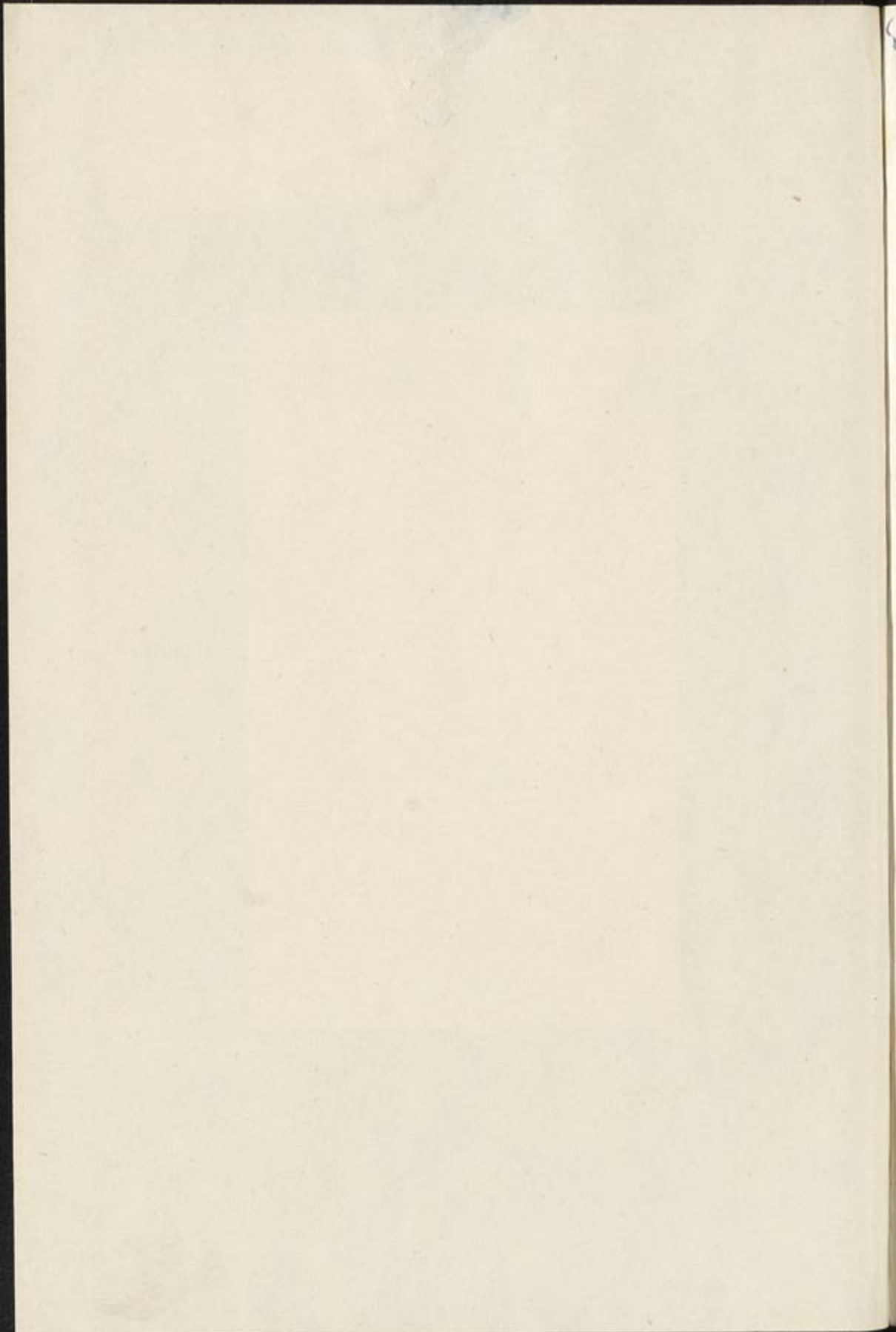
- ٣٤٨ مقالات إسلامية توافق الهيئة العصرية
 ٣٤٨ إخبار الامام عليه السلام عن نجمة أرانوس
 ٣٥٣ تكتسب السيارات النور من الشمس
 ٣٥٤ آراء القدماء في اكتساب السيارات النور
 ٣٥٦ مقدار اكتساب السيارات من نور الشمس
 ٣٥٧ فضل نور الشمس على السيارات
 ٣٥٧ توسط السيارات بين التوابع والجوامع

رسالة جبل قاف

- ٣٦١ عزيزى القارىء
 ٣٦٢ مقدمة المؤلف
 ٣٦٣ الأخبار الواردة فى جبل قاف
 ٣٦٨ تسمية جبل قاف
 ٣٧٠ ان جبل قاف محيط بالأرض
 ٣٧١ وصف جبل قاف بارتفاع عظيم
 ٣٧٢ الذوائب النورية الثلاث لجبل قاف
 ٣٧٢ تشبيهه جبل قاف بالزمردة الخضراء
 ٣٧٣ خضرة السماء من خضرة جبل قاف
 ٣٧٥ ان من وراء جبل قاف بحار سبعة
 ٣٧٨ تعدد جبل قاف
 ٣٧٩ الأرض البيضاء وراء جبل قاف
 ٣٨١ من وراء جبل قاف عوالم كثيرة
 ٣٨٤ عدم وصول نور الشمس الى الثوابت
 ٣٨٧ أحاديث ستة فى تعدد العوالم



20.



Cornell University Library
 BP190.5.S3 S52 1965

Hayah wa-al-Islam, talif Hibat al-Di



olin 3 1924 029 185 755

All books are subject to recall after two weeks
 Olin/Kroch Library

DATE DUE

JAN 13 1968			
GAYLORD			PRINTED IN U.S.A.

